وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر

# مجلة دراسات تاريخية

دوريّة علميّة محكّمة

2 العدد الثاني 2019

تصدر عن
مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر
Aden Centre for Historical Studies, Research and publishing

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

مجلة دراسات تاريخية
دورية علمية محكمة

# محتويات العدد


| المحتوى | الصفحة |
|---|---|
| **تاريخ الاستيطان القديم في خليج عدن.**<br>د. أحمد بن أحمد باطايع | 5 |
| **هل كانت يَثْرِب مملكة؟ دراسة تاريخية لنشأة المدينة وتطورها قبل الإسلام.**<br>الأستاذ الدكتور عارف أحمد إسماعيل المخلافي | 41 |
| **التأثيرات السياسية والفكرية لقبائل البربر الخارجية في المغرب على بلاد الأندلس عقب الفتح الإسلامي.**<br>د. سعيد ناجي غالب قائد اسكندر | 83 |
| **مؤلفات أهل اليمن عن الأُسر والبيوتات الشهيرة (دراسة في التراث العربي – الإسلامي).**<br>الأستاذ المتمرس الدكتور: محمد كريم إبراهيم المدحتي | 127 |
| **خصوصية العلاقة بين الأمراء الحاتميين والدولة الرسولية في عهد الملك المظفر يوسف بن عمر (٦٤٧ – ٦٩٤هـ).**<br>د / محمد منصور علي بلعيد<br>د / محمد عبدالله سعيد الميسري | 159 |
| **العلم والذهنيات العامة في تاريخ اليمن الوسيط من خلال كتاب "العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية" لعلي بن الحسن الخزرجي.**<br>أ.د. أحمد السري | 201 |
| **غزة والخليل في عيون الرحالة اليهود أواخر العصور الوسطى دراسة حالة الرابي ميشولام بن مناحم الفولتيري ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م.**<br>د. مصطفى وجيه مصطفى | 269 |
| **قطر في كتابات الرحالة الغربيين.**<br>د. علي عفيفي علي غازي | 305 |


**مجلَّة دوريَّة علميَّة محكّمة**

**يصدرها مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر بترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**العدد الثاني ٢٠١٩م**

**المشرف العام**

**الأستاذ/ محمد سالم علي جابر**

**المدير العام**

**د. محمود علي السالمي**

**رئيس التحرير**

**أ. د. طه حسين هُديل**

**هيئة التحرير**

**أ.د. محمد عبد الله بن هاوي باوزير**

**أ.د. علي صالح الخلاقي**

**أ. مشارك. د. أحمد بن أحمد باطايع**

**أ. مشارك. د. عبد الحكيم محمد ثابت العراشي**

**توجه المراسلات والبحوث المقترحة للنشر باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة:**

**hsj@aden.center**

**أو على عنوان مركز عدن للدراسات التاريخية والنشر**

**عدن، الشيخ عثمان، شمسان مول، مكتب:٦ إيميل:**

**info@aden.center**

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

## الهيئة الاستشارية الدولية للمجلة


| | |
|---|---|
| أ. د. حسين عبد الرحمن باسلامة | (جامعة عدن) |
| أ. د. ناصر صالح حبتور | (جامعة عدن) |
| أ. د. عبد الله سعيد الجعيدي | (جامعة حضرموت) |
| أ. د. محمد سعيد داوُد | (جامعة حضرموت) |
| أ. د. حسين عبدالله العمري | (جامعة صنعاء) |
| أ. د. عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع | (جامعة صنعاء) |
| أ. د. جمال محمود حجر | (جامعة الإسكندرية) |
| أ. د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس | (جامعة عين شمس) |
| أ. د. حسن خضيري أحمد | (جامعة جنوب الوادي مصر) |
| أ. د. عبد العزيز بن راشد السنيدي | (جامعة القصيم) |
| أ . د . سعيد بن عمر بن محمد آل عمر | (مدير جامعة الحدود الشمالية) |
| أ . د . عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد العبدالجبار | (جامعة الملك سعود) |
| أ. د. محمد كريم إبراهيم الشمري | (جامعة بابل) |
| أ. د. قصي منصور التركي | (جامعة دهوك) |


المجلة صادرة بقرار ترخيص رقم (1) من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
لعام 2018م وبرقم إيداع وطني : 1109 لعام 2018م


## حقوق الطبع محفوظة

لا يجوز إعادة نشر البحوث المنشور في المجلة أو أجزاء منها،
في أي وسيلة نشر، إلا بإذن كتابي من رئيس التحرير

**المواد المنشورة في المجلة لا تعبِّر إلَّا عن آراء أصحابها**
**ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلة أو رأي القائمين عليها**

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

## قواعد النشر في المجلة

1- أن يكون البحث في مجال التاريخ وعلومه، وأن يتسق عنوانه مع محتواه.

2- أن يكون متسمًا بالأصالة والابتكار، والمنهجية العلمية، وأن يمثِّل إضافة نوعية في مجال المعرفة.

3- أن يكتب بلغة سليمة خالية من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية.

4- أن يكون ملتزمًا بدقة التوثيق، وأن توثق قائمة المصادر والمراجع وترتب ترتيبًا هجائيًا في آخر البحث بطريقة التوثيق المتعارف عليها: اسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الجزء، اسم المحقق أو المترجم، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر.

5- أن تذكر الهوامش في أسفل الصفحات، وأن ترقم في كل صفحة ترقيمًا تسلسليًّا.

6- ألَّا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدِّم للنشر في أي جهة أخرى.

7- ألَّا تقل صفحات البحث الواحد عن 15 صفحة، وألَّا تزيد عن 30 صفحة، بما فيها الجداول والرسوم الخرائط والصور، إن وجدت.

8- أن يستخدم الباحث الخط الأسود Simplified Arabic بحجم 14 Normal، وبحجم 16 Bold في العناوين الداخلية.

9- أن يقوم الباحث بإجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين والأخذ بها، مع تعليل ما لم يتم الأخذ به.

10- قرار هيئة التحرير بشأن البحوث المقدمة للنشر نهائي، وتحتفظ الهيئة بحقها في عدم إبداء مبررات قراراتها بعدم النشر.

11- لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.

## مرفقات النشر

**عند تقديم البحث للنشر يشترط الآتي:**

1- أن يقدِّم الباحث طلباً كتابياً بنشر بحثه إلى رئيس تحرير المجلة. وأن يتعهد فيه بأن بحثه لم يسبق نشره، ولم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب أو رسالة علمية.

2- أن يقدِّم الباحث ملخصاً لسيرته العلمية، وأهم إنتاجه العلمي.

3- أن يقدِّم الباحث نسختين ورقيتين من بحثه، ونسخة إلكترونية.

4- أن يرفق مع البحث ملخصًا باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، بحيث لا تزيد كلمات الملخصين عن 300 كلمة.

5- أن يقدم الباحث نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، في حال استخدامها في البحث، إلا إذا وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

# تاريخ الاستيطان القديم في خليج عدن

د. أحمد بن أحمد باطايع[1]

**ملخص:**

بقيت معرفتنا بآثار السهول الساحلية للبحر الأحمر وخليج عدن، قليلة ونادرة لمدة طويلة بالمقارنة مع أقاليم أُخرى في العربية الجنوبية الغربية، إذ عرفت حصريًا عن طريق المسوحات الأثرية سيما أنها لم تشهد أية حفريات أثرية حتى العام 1994م.

يتناول هذا البحث منطقة عدن في سياقها التاريخي الذي يمتد من مضيق باب المندب حتى واحة أبين في الشرق، حيث وجدت مؤشرات استيطان كثيرة منذ عصور ما قبل التاريخ. كما أن الماضي الجيولوجي والمناخي كان له عظيم الأثر في استيطان هذه المنطقة، ونقصد بذلك الحركات التكتونية التي أدت إلى نشوء البحر الاحمر وبالتالي انفصال أفريقيا عن آسيا، فضلا عن التقلبات في حركة مستوى سطح البحر التي شكلت العقبة الرئيسية في فهم وتحديد انتشار المواقع القديمة (خلال عصري الباليستوسين والهولوسين)، وبالتالي بعدها النسبي عن الشريط الساحلي. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن ساحل خليج عدن شهد مظاهر للاستيطان منذ العصر الحجري القديم تمثلت بهجرة

(1) قسم الآثار-كلية الآداب-جامعة عدن.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الإنسان من شرق أفريقيا عبر مضيق باب المندب -كأقصر طريق-وانتقاله الى حضرموت. وقد مهد كل ذلك الطريق للتوسع في دراسة وكشف عدد من المواقع الاثرية على امتداد الساحل، وهي مستوطنات الصيادين وجامعي القواقع في عدن الصغرى وخور عميرة والتي تعود للعصر الحجري الحديث، فضلًا عن كشف ثقافات عصر البرونز الفخارية التي لم يسبق كشفها من قبل في ساحل تهامة وخليج عدن والتي استمرت حتى ظهور الفترة التاريخية.

**الكلمات المفتاحية:** الاستيطان القديم، باب المندب، عدن، السهول الساحلية، راس عمران.

## Abstract

Our Knowledge about the archaeology of the costal plain of the Red sea and the golf of Aden where for long seant and rare .It was known through archaeological surveys and was excavated only in.1994

This research studies the site of Aden in its historical context ،where there exist evidences of ancient habitation since prehistoric periods.

Recent discoveries denotes that early humans left/migrated from east Africa to Asia via Bab al Mandab and reached Hadramaut .This encouraged the archaeological investigations along the coast while revealed cultures not known before.

## تمهيد:

إن معرفتنا بآثار السهول الساحلية للبحر الأحمر وعلى وجه الخصوص في خليج عدن، بقيت بالمقارنة مع أقاليم أُخرى في العربية الجنوبية الغربية، لمدة طويلة قليلة ونادرة وأنها قد عرفت حصريًا عن طريق المسوحات الأثرية حيث إنها لم تشهد أية حفريات أثرية حتى العام 1994[1]. وإذا حاولنا تتبع هذه الرؤية، ربما يعود السبب في ذلك فيما يراه نفر

(1) Vogt and Sedov 1998:26؛ فوغت 2003: 19

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ليس بالقليل من الباحثين المهتمين بالدراسات التاريخية في اليمن، بأنه يجب الأخذ بعين الاعتبار الإطار الجغرافي والسياسي؛ إذ أن اليمن كان منقسما إلى شطرين، مما أدى إلى تطور الدراسات الأثرية في كل إقليم بشكل مستقل.

## أولاً: الموقع والطبيعة الجغرافية:

في سياق هذا البحث سنتناول ليس موقع عدن المدينة / الميناء فحسب، وإنما عدن في سياقها التاريخي، ونعني بذلك "عدن التاريخية". ونقصد بها المنطقة الممتدة التي تبدأ من مضيق باب المندب وإلى الشرق منه لمسافة 100 كم على ساحل خليج عدن حتى ميناء عدن والمنطقة الخلفية في واحة تُبَن إلى الشرق منه[1]، حيث توجد مؤشرات أثرية لاستيطان أكثر قِدما مما تعارفنا عليه في شبه جزيرة عدن وعدن الصغرى وامتداد ساحلها ليصل إلى رأس عمران قرب باب المندب[2] (خريطة رقم 1 ) وهو ما سيتم تناوله مفصلا في هذا البحث.

ومن حيث الطبيعة الجغرافية فإن اليمن تحتل موقعا متميزا في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية، وبذلك فإنها تقع في ملتقي البحر الأحمر مع منطقة خليج عدن.

إن هذا الموقع أدى إلى أن يتميز اليمن بأقاليم جغرافية وطبيعية شديدة الاختلاف لعبت دورًا هامًّا في تاريخ الاستيطان في المنطقة، فضلًا عن إنها قد قسمت تضاريسها إلى أقاليم طبيعية رئيسية:

إقليم حضرموت ورملة السبعتين ومناطقها المجاورة، ثم مرتفعات اليمن الوسطى والشرقية، فضلًا عن ذلك هناك الساحل الشرقي للبحر الأحمر الذي يعرف بساحل تهامة الذي يمتد لمسافة 500 كم بدءًا من جيزان في العربية السعودية

(1) Durrani 2006:1; Doe,1983: 123 -124؛ فوغت 2003: 19
(2) Doe 1983:123

شمالًا ونزولًا حتى باب المندب، وإلى الشرق منه لمسافة 100 كم على امتداد ساحل خليج عدن حتى ميناء عدن[1] (خريطة رقم 1).

ومن أجل إيجاد تفسير لمختلف مظاهر سطح الأرض هذه، تأتي أهمية توضيح الماضي الجيولوجي والمناخي فضلا عن الجيومورفولوجي لليمن، وأثر ذلك على ساحل خليج عدن. فمن وجهه النظر الجيولوجية فإن العربية الجنوبية كانت تشكل جزءًا من الصحن العربي القاري الملتحم مع القارة الافريقية، وعلى إثر الحركات التكتونية التي أدت إلى حركة الصدع القارية في منطقة البحر الأحمر التي بدأت منذ 30 مليون سنة، في أواخر العصر الثلاثي[2]،ثم تتالت الحركات التكتونية حتى تم صدع البحر الأحمر وخليج عدن، وبالتالي تم الانفصال التام لشبه الجزيرة العربية عن قارة أفريقيا.

وجدير بالذكر أن هذه الظاهرة التكتونية قد توقفت خلال عصر الميوسين المتأخر (12-15) مليون سنة[3] وعليه فإن البحر الأحمر وخليج عدن تكونا نتيجة لهذا الانفصال وعلى إثر ذلك برزت حركة رفع على جانبي هذا المنخفض أدت إلى بروز سلسلة جبلية مرتفعة في النهاية الجنوبية للبحر الاحمر في كل من إرتيريا / اثيوبيا (أبسينيا/ Abyssinian) من جهة والعربية الجنوبية الغربية من الجهة الأخرى.

وبما أن المستهدف بالدراسة "عدن التاريخية" أي ساحل خليج عدن فقد لاحظت العديد من البعثات الأثرية العاملة في السواحل اليمنية وفي تهامة وساحل خليج عدن، بأن العقبة الرئيسية في تحديد وفهم انتشار المواقع الأثرية القديمة،

(1) Durrani 2006:1
(2) Munro2001:12
(3) Munro 2001:13



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

برهنت على أنها تعود الى التغييرات الجيومرفولوجية المستمرة للمنطقة فضلًا عن حركة الشطآن الساحلية على وجهه الخصوص[1].

إن الشريط الساحلي لليمن شهد تغيرات عبر الزمن كاستجابة للتغيرات المناخية العالمية التي تعزى لأسباب عدة، منها الدورات الجليدية، فضلًا عن الأثر العالمي النطاق لتأرجح مستوى سطح البحر.

إذ تعرضت الأرض خلال العصر الرباعي الذي يمثل العصر الجيولوجي الأخير من تاريخ الأرض والحياة، الذي بدأ منذ حوالي ثلاثة ملايين سنة وما زال مستمرا حتى الآن إلى الكثير من التغييرات المناخية، وقد قسمه الباحثون إلى قسمين: الأول، عصر البلايستوسين (Pleistocene) ويبدأ من حوالي ثلاثة ملايين سنة حتى عشرة آلاف سنة. والثاني، عصر الهولسين (Holocene) ويبدأ من عشرة آلاف سنة ويستمر حتى الآن.

إن أهم ما يميز عصر البلايستوسين إنه عصر بارد حدثت فيه تقلبات مناخية كبيرة. إذ تتابعت على امتداده دورات جليدية وأخرى دافئة. لقد أثرت تلك التقلبات المناخية على البحار التي تعرضت لحركات "مد" (Transgression) ارتفع فيها مستوى مياه البحار وغطت مناطق من اليابسة المحيطة وحركات "جزر" (Regression) عندما تراجعت مياه البحار إلى الخلف وانحسرت عن المناطق التي غطتها في مرحلة الارتفاع[2]. وعموما شهدت العصور الجليدية تقلبات مناخية بين تقدم الجليد أو تراجع الجليد، بين فترات باردة وأخرى دافئة، كان لها تأثير كبير على إنسان ذلك الزمان. ومما يجدر ذكره هنا ما أكدته الدراسات الجيولوجية في جنوب البحر الأحمر، أنه في أغلب العصر الجليدي، خاصة في ذروة العصر

(1) Marcolongo and Palmieri:1992:117-123;Tosi 1985:363;1986:400
(2) Sanlaville 2000:167-169



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الجليدي الأخير قبل حوالي 18 ألف سنة، فإن مستوى سطح البحر الأحمر كان أدنى بحوالي 80 مترا عن المستوى الحالي، وإن البحر الأحمر ربما كان معزولا تماما عن المحيط الهندي[1].

وعلى امتداد نهاية العصر الجليدى الأخير منذ حوالي 12 ألف سنة بدأ مناخ الأرض يدفأ تدريجيا مفسحا المجال لأحوال دافئة ورطبة خلال البداية الكاملة لعصر الهولسين منذ 10 ألف سنة، مما أدى إلى ارتفاع مستوى سطح البحر نتيجة الذوبان الكامل للغطاء الجليدى. علما أن هذا بدوره شهد فترات لتقلبات مناخية بين الرطبة والجافة أدت الى ارتفاع وانخفاض في مستوى سطح البحر، يؤيد ذلك أنه خلال عصر الهولسين فإن الشريط الساحلي للبحر الأحمر قد شهد تغييرات مناخية هامة، أهمها الارتفاع الملحوظ لمستوى سطح البحر نتيجة لذوبان الجليد، هنا يجدر بنا ذكر ملاحظة العديد من الدارسين لهذه المنطقة، بأن مظاهر عصر الهولسين خاصة في سواحل البحر الأحمر لم تجد الدراسة المفصلة بعد[2].

ورغم ذلك فإن المعطيات الحديثة بدأت بتقديم بعض النتائج كالدراسة الجيولوجية الحديثة الخاصة بآثار عصور ما قبل التاريخ الساحلية الغارقة في البحر الأحمر التي لا يمكن الوصول إليها إلا عبر الكشوفات الأثرية تحت الماء (علم الآثار البحرية)، وذلك اعتمادا على تقلبات مستوى سطح البحر منذ نهاية ذروة العصر الجليدي الأخير منذ حوالي 18 ألف سنة حتى عصر الهولسين، وتأثير ذلك على مستوى سطح البحر في الشريط الساحلي في منطقه باب المندب[3]. وتشير الدراسات الجيولوجية لجنوب البحر الأحمر، بأنه في عصر الهولوسين قد

(1) زارنيس والزهراني 1985: 72؛ Bailey et al.2007:5
(2) زارينس والزهراني 1985:72؛ Wilkinson 2003:22 ; Brunner 2005:115
(3) Bailey et al. 2007: Fig..3



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ارتفع مستوى سطح البحر إلى ما فوق المستوى الأدنى الذي وصل إليه خلال العصر الجليدي الأخير، وأن مستوى سطح البحر قد أخذ في الارتفاع تدريجيا منذ الهولوسين المبكر حوالي الألف التاسع ق.م حتى الألف السادس ق.م، وأنه قد وصل إلى ذروة ارتفاعه في الألف السادس ق.م، وأن الشريط الساحلي كان يبتعد لمسافة 10 كم الى الداخل من الساحل الحالي[1]، ودليلنا على ذلك هو وجود المستوطنات الساحلية للمجموعات البحرية القديمة الممثلة في الأكوام الصدفية التي تنسب إلى العصر الحجري الحديث في ساحل تهامة منذ الألف السادس ق.م[2] والتي تقع على الشريط الساحلي المرتفع بين 1-2 مترا فوق مستوى سطح البحر الحالي وتبعد لمسافة من 5 حتى 10 كم من الساحل الحالي[3] إلا أن مستوى سطح البحر قد تراجع في الفترة الواقعة بين الألف السادس ق.م والألف الثالث ق.م، وبالتالي فإن الشريط الساحلي تراجع لمسافة 10 كم عما كان عليه[4]، وإن الشريط الساحلي الحديث فقد تكون قبل حوالي2500-2000 ق.م[5] وكنتيجة لهذه التغيرات فان البعد النسبي لكل موقع للركام الصدفي من الشريط الساحلي أصبح يستخدم في عملية تأريخ الموقع، رغم أن ذلك دُعم أحيانا بتحاليل الكربون المشع[6]. وعليه فإن كل المواقع الأثرية التي كانت تقع على الساحل مباشرة والسابقة للألف السادس ق.م يعتقد بأنها قد غرقت تماما تحت مياه البحر وذلك بسبب ارتفاع مستوى سطح البحر[7]، وبما أن البحر أخذ في الانخفاض بعد

(1) زارنيس والبدر1986: 48
(2) Tosi 1986:407
(3) زارنيس والبدر 1986:48؛ Tosi 1985:365; 1986:400
(4) زارنيس والزهراني 1985: 73
(5) زارنيس والبدر 1986: 49
(6) Tosi 1985:363 Durnani 2007:47
(7) زارنيس والزهرانى 1985: 73; Wilkinson 2003:22-23

الألف السادس ق.م، فإن الأكوام الصدفية التي تقع بين الشريط الساحلي الحديث والشريط الساحلي للألف السادس ق.م، حوالي 10كم إلى الداخل، فإنها قد أُرخت إلى ما بين الألف السادس والثالث ق.م.[1].

وبالتزامن مع ارتفاع مستوى سطح البحر في فتره الهولوسين الأوسط الرطبة (9000 – 6000سنة)، فقد تم توثيقها بشكل جيد في أنحاء كثيرة من اليمن وجنوب الجزيرة، ففي اليمن فقد أكدتها سجلات المناخ معززة ببيئة البحيرات القديمة في مرتفعات اليمن (تربة جهران) في إقليم ذمار[2] فضلا عن النشاطات البُحيرية (Lacustrine) في صحراء اليمن الداخلية "رملة السبعتين"[3]، فضلا عن جريان نهر الجوف/ حضرموت ليصب في المحيط الهندي وذلك قبل حوالي 7000 سنة[4]، وجميعها يمكن مقارنتها مع بحيرة "مندوفان" في الربع الخالي في جنوب العربية السعودية التي يعود تأريخها بين 9600 – 8000 سنة، التي ترتبط من الناحية الأثرية بفترة العصر الحجري الحديث المطير في شبه الجزيرة العربية (Neolithic Pluvial of the Arabian Peninsula) الذي يؤرخ بين 9000–6000 سنة.[5]

كما تشير الدراسات الحديثة في ساحل خليج عدن، أنه في أسفل السبر الاختباري في موقع " ام معلبية" الذي يبعد لمسافة 5 كم إلى الشرق من موقع "صبر" في محافظة لحج، توجد ثلاثة أمتار أخرى رواسبها تماثل تلك من مرحلة مناخ الهولوسين

(1) زارنيس والزهراني 1985؛ Wilkinson 2003: 23
(2) Wilkinson et al 1997:102
(3) Lezine et al 1998
(4) Cleuziou et al 1992: Fig.1
(5) McClure 1976;1978



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الأوسط الرطب[1]. كما أن نهر وادي "تبن" ربما وصل حتى البحر في هذه الفترة، وأن الشريط الساحلي ربما كان أبعد إلى الداخل على الأرض المنخفضة[2] وربما كان قرب زنجبار[3]، كما أن موقع "صبر" وبعده لمسافة 20 كم من الساحل ربما تمثل أحد هذه المظاهر.

كما يميز هذه الفترة للهولوسين الأوسط أيضا هو الانتشار الواسع لغابات المانجروف على امتداد الشريط الساحلي للبحر الأحمر وخليج عدن، ووجود الأعداد الكبيرة من الأكوام الصدفية التي تكونت بواسطة تراكمات كثيفة لرخويات "Terebraliapalustris" التي تتعايش مع طين المانجروف، والتي توسعت إلى الداخل مزيلة بذلك المستوطنات السابقة لها، وتعد الآن بيئة ساحليه منقرضة، بينما الأكوام التي تهيمن عليها أنواع رخويات "Strombus، murex" فإنها تؤشر لمواقع ذات مخلفات لمراحل متأخرة.[4]

إلا أنه منذ حوالي الألف الرابع ق.م قد شهد المناخ مرحلة جفاف بسبب ضعف الرياح الموسمية، وصاحب هذه الفترة انخفاض تدريجي في مستوى سطح البحر وصولا إلى مستوياته الحالية[5] وهنا نلاحظ ما أشار إليه Doe، بأن مستوى سطح البحر قد انخفض حوالي مترين منذ كتاب الطواف في حوالي منتصف القرن الأول الميلادي[6]وهذه الفترة تقابل فتره الهولوسين المتأخر الموافق لعصر البرونز الذي يمثل أواخر عصور ما قبل التاريخ ثم العصور التاريخية اللاحقة. وكان من نتائج

(1) Vogt et al 2002:22
(2) Vogt et al. 2002:24
(3) Doe 1983:17
(4) Khaldi 2007: Fig.42;Wilkinson 2003:19-23;Tosi 1985:364;1986:404
(5) Wilkinson 2003:20
(6) Doe 1983:17

جفاف المناخ أن انتقلت مستوطنات الأكوام الصدفية باتجاه الساحل الحديث، فضلا عن تراجع البيئات الغابية المانجروفية وما يرافقها من البيئات الحيوية البحرية، ثم الانتشار الواسع للمسطحات الملحية التي تمتد لمسافة 1،5 كم من الساحل.[1] وبالتالي فإن تغيير المناخ أدى إلى تغيير الطبيعة الإقليمية والإمكانيات الاقتصادية مما استدعى تكثيف التدخل البشري باستخدام أنظمة الري وتطوير نظم الزراعة، ومن ثَم النمو السكاني والاستيطان في قرىً كبيرة وبالتالي المدن، وعليه يمكننا القول إنه منذ بداية الفترة المتأخرة لعصور ما قبل التاريخ فقد بدأت مرحلة طويلة من تحول الأرض والطبيعة، فضلا عن التعرية التي ما زالت مستمرة حتى الآن.

## ثانياً: لمحة عن تاريخ الكشوف الأثرية في منطقة خليج عدن:

### المرحلة الأولى:

يمكننا القول إن الدراسات الحديثة في عدن قد بدأت تحت الحماية البريطانية، علما بأنه طوال فترة الاستعمار البريطاني لم يتم في مدينة عدن (كريتر) أية حفريات أثرية أو كشف آثاري يخص فترة ما قبل الإسلام، عدا ما كشف عنه الكابتن هنس (Haines) أول حاكم بريطاني لعدن، لنقش على قطعة من المرمر عندما كان العمال يشقون طريقا من صيرة إلى حقات، وهو النقش المعروف بـ (RES 2641) و نشر في العام 1842م في المجلة الآسيوية البنغالية، ويوجد النقش حاليا في متحف بومبي بالهند. كما تم العثور على بعض القطع الأثرية القديمة مستخدمة في بعض المباني، أي أنها منقولة عن مواقعها الأصلية[2].

(1) Tosi 1986:400

(2) محيرز1991:18



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ومنذ بداية أربعينيات القرن الماضي بدأت في الساحل الغربي لليمن خاصة في ساحل خليج عدن عمليات المسح الأثري بشكل غير متواصل. ففي عام 1943 نشر Hamilton عرضًا لبعض المواقع الأثرية لمحميات عدن الغربية، حيث قدم ملاحظات هامة عن منطقة عدن–لحج، وقد تضمن أول وصف لموقع صبر الأثري[1]. كما قام الخبيران الأثريان بمصلحة الآثار Harding و Doe بمسوحات أثرية في أنحاء مختلفة من جنوب اليمن، بما فيها المنطقة الخلفية لعدن فضلا عن واحة أبين[2]، بينما قام الجيولوجي Cambridge عام 1966 بكتابة تقرير عن مواقع ركام الأصداف في عدن الصغرى والذي يعود تاريخه إلى عصر البرونز[3].

كما قام Doe وآخرين بمسوحات أثرية حول عدن استطاعوا فيها أن يحددوا مستوطنات قديمة ترتبط بحضارة ممالك اليمن القديمة، كموقع "بئر فضل" شمال غرب المنصورة، ومستوطنة "بئر ناصر" شمال شرق دار سعد، و "كدمة الساف/ الحبيل" شمال غرب الحوطة فضلا عن عدد من المستوطنات في حوض وادى تبن/ لحج وحوض أبين[4].

### المرحلة الثانية:

وهي مرحلة ما بعد الاستقلال الوطني في عام 1967 حيث كانت البداية مركزة على ترتيب أولويات الدولة الفتية وما يتطلبه ذلك من معالجات للنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولهذا شهدت هذه الفترة تباطؤًا في النشاط الأثري ولهذا يمكننا أن نقول إنه حتى أوائل ثمانينيات القرن الماضي، كانت الاهتمامات العلمية بآثار

(1) Hamilton 1943:110-17
(2) باطايع 1999؛ Harding 1964-65;Doe1971:60-61
(3) Cambridge 1966:22-4؛ أنظر: إدريس 2007
(4) Doe 1964-65; 1965 ; Lane and Serjent 1965



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

تهامة على البحر الأحمر وكذلك في ساحل خليج عدن تعتمد على معلومات المسح السطحي وهذه بدورها كانت انتقائية ومتقطعة[1].

إلا أن هذه الرؤية قد تغيرت بصورة جذرية في بداية ثمانينيات القرن الماضي، وذلك من خلال المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية بواسطة البعثة السعودية – الأمريكية، وذلك عند دراستها المفصلة للمنطقة الجنوبية–الغربية ومرتفعات عسير وسواحل تهامة السعودية، وخصوصا عندما نشروا نتائج مجساتهم الاختبارية التي أجروها في موقع "سيحي" (Sihi) جنوب جيزان[2].

وقد كان من نتائج تلك النشريات أن أصبحت فتحًا جديدًا على الآثار اليمنية، ومن ذلك أن البعثة الإيطالية التي كانت تقوم بمسوحات وتنقيبات في مرتفعات اليمن الشرقية في منطقة خولان في منتصف ثمانينيات القرن الماضي قد وسعت نطاق بحثها الميداني إلى ساحل البحر الأحمر في تهامة بين زبيد ومنطقة وادي سردد؛ وذلك بغرض الأبحاث الأثرية والبيئية، حيث أكدوا على وجود الكثير من المواقع الأثرية التي تتميز بظاهرة تركزات كبيرة من الأكوام الصدفية (Middens Shell) مقدمين الأدلة الأثرية للاستيطان البشري القديم في ساحل تهامة واستغلال المصادر البحرية كاستراتيجية غذائية لسكان ما زالوا يعتمدون على جمع القوت منذ المرحلة المبكرة للعصر الحجري الحديث في الألف السابع ق.م. حتى العصور الميلادية الموازية للممالك العربية القديمة[3]. وتكمن

(1) Vogt and Sedov 1998: 261

(2) تقع سيحي بالقرب من جيزان إلى الشمال من الحدود السعودية – اليمنية والذي تم الكشف عنه في ثمانينيات القرن الماضي ويحتوي على ركام كثيف من الأصداف يكشف لأول مرة عن مواقع الأكوام الصدفية ويعود تاريخه إلى عصر البرونز في الألف الثالث ق.م(6) وهذه الثقافة امتدت الى مستوطنات خليج عدن. ينظر: زارنيس وآخرون 1981؛ زارنيس والزهراني 1985؛ زارنيس والبدر1986.

(3) Vogt 1999-2000:44



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

أهمية الأكوام الصدفية في أنها تقدم نموذجا لثقافة بيئية إذ إن هذه الأكوام الصدفية تعيش ضمن علاقة تكاملية مع نبات المناجروف، أي نظم بيئية مختلفة ومتعايشة.

وبهذا فإن البعثة الايطالية تكون قد قامت بدراسة ظاهرة الأكوام الصدفية لأول مرة في ساحل اليمن، كما أشاروا أيضا إلى وجود مكثف لهذه الأكوام في منطقة خليج عدن[1]. وهو بحث ستواصل البعثة المشتركة الألمانية-الروسية التوسع فيه في خليج عدن. وفضلا عن ذلك فإنهم عثروا على آلات حجرية ضمن سياق إستراتجرافي تؤكد على آثار لوجود استيطان بشري يعود إلى العصر الحجري[2].

ومنذ بداية تسعينيات القرن العشرين فإن وضع البحث الأثري في ساحل تهامة وعلى وجه الخصوص في خليج عدن قد شهد تطورًا كبيرًا، وذلك بدءًا من أعمال البعثة اليمنية-الأمريكية (1992-1990م)، التي تعد البداية الحقيقة للدراسة المنهجية للآثار والتطور التاريخي في ساحل خليج عدن بالرغم من أن أبحاثها قد تركزت أساسا على فترة العصر الحجري القديم ( (Palaeolithic، حيث قامت بمسح أثرى حول باب المندب في خليج عدن (خريطة رقم 2) أكدوا فيها على الاستيطان البشري في هذه المنطقة منذ العصر الحجري القديم، وبالتالي بحثهم عن سيناريوهات طرق انتقال البشر خارج أفريقيا، الذي ربما كانت الطريق المائي عبر مضيق باب المندب كأقصر طريق[3] (خريطة رقم3)، وهذا السيناريو تم تأكيده والسير فيه بمزيد من الأبحاث الحديثة[4] (خريطة رقم 4). ثم أعقبتها البعثة الألمانية-الروسية المشتركة التي استمرت بين 1994-2000، علما بأن البعثة

(1) Tosi 1985;1986
(2) Bulgarelli 1985: 360-3
(3) Whalen and Schatte 1997:8-9
(4) Petraglia 2003

الروسية كانت تعمل في اليمن منذ العام 1983–1990، باسم البعثة السوفيتية–اليمنية المشتركة[1].

إن تكوين البعثة المشتركة شكل منعطفًا هامًا في تطور ثقافة العربية الجنوبية الغربية، فضلا عن تطور تاريخ البحث الأثري، كما أنها قد مهدت الطريق للتوسع في المسح والتنقيب، ومن ثَم الكشف عن عدة مواقع أثرية في خليج عدن والمنطقة الخلفية لها، حيث قدمت توضيحا لنموذج اجتماعي/ اقتصادي يتناول مستوطنات قديمة للصيادين وجامعي الرخويات (Ancient Fishers and Mollusc Gatherers) كثقافة لمستوطنين في منطقة خليج عدن بدءًا من حوالي الألف الخامس ق.م، أي منذ العصر النيوليتى المتأخر مرورا بعصر البرونز وصولا حتى بداية العصر الميلادي[2]. وهذا يتفق مع ما أشار إليه أميرخانوف (Amirkhanov) بأن منطقة ساحل خليج عدن ظلت حتى وقت قريب منطقة مجهولة ولم تستكشف بعد *terra incognita*[3]

استهلت البعثة المشتركة بواكير أعمالها بإجراء حفريات أثرية في ربيع عام 1994م في موقع "صبر" في محافظة لحج على بعد 20 كم إلى الشمال من عدن في دلتا وادي تبن، وهو يمثل حضارة فخارية ساحلية امتدت على طول ساحل البحر الأحمر وخليج عدن[4] (خريطة رقم 5) و تاريخها يتراوح بين القرن الرابع عشر ق.م. حتى أوائل القرن التاسع ق.م. وبذلك فهو يمثل الفترة المتأخرة من عصر البرونز.

(1) Amirkhanov 2006:599؛فوغت 2003: 19

(2) فوغت2003: 19

(3) Amirkhanov 2006:622

(4) Vogt and Sedov 1998



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

أما الفترة المبكرة من عصر البرونز فيمثلها موقع "أُمعليبة" الذي تم الكشف عنه في أثناء المسح الأثري للبعثة المشتركة في العام 1996، وأجريت فيه عمليات للسبر الاختباري خلال عامي 1997-1998.

يقع موقع "أُمعلبيه" في السهل الساحلي بين لحج وعدن وحوالى 5كم إلى الشرق من موقع صبر[1] وفخاره يشير إلى مرحلة مبكرة من ثقافة صبر الساحلية ويعود تأريخه إلى حوالي 2000-1600 ق.م[2]. كما أكدت الأبحاث في هذا الموقع على وجود مستوطنات زراعية، إذ تم فيها الكشف عن عدة قنوات للري الصناعي مما ينم عن معرفة بالزراعة منذ عصر البرونز وقبل نشوء الممالك اليمنية القديمة[3] (شكل رقم 1).

وأدت أهم نتائج البعثة الألمانية / الروسية المشتركة من خلال نتائج المسح والتنقيبات إلى اكتشاف عناصر أثرية جديدة لم يسبق اكتشافها من قبل، و نعني بذلك مواقع الأكوام الصدفية التي تمثل ثقافة "جديدة" للصيادين وجامعي الرخويات الذين استوطنوا في سواحل خليج عدن[4]، ومنها الكشف عن عدة مواقع أثرية أهمها موقع "النبوة" غرب عدن، والذي يمتد تاريخه بين الألف الرابع الى منتصف الألف الثاني ق.م.[5] (شكل رقم 2)

أما المنطقة الثانية فقد كانت في منطقة خور عميرة قرب باب المندب وحوالى 80 كم إلى الغرب من عدن، وقد تم كشفها خلال المسوحات الميدانية في العام 1999م، وتم الحفر فيها عام 2000م؛ مما أدى إلى الكشف عن العديد من

(1) فوغت 2003:20؛ Buffa 2002:1
(2) فوغت2003:20
(3) Vogt 2003:Fig.4
(4) فوغت 2003:19;2006:599 Amirkhanov
(5) Amirkhanov 2006:623

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المواقع الساحلية لمستوطنات الصيادين وجامعي القواقع، وأكثرها أهمية موقع "كود قهيو" الذي يرجع تأريخه إلى الألف الخامس ق.م. – الألف الرابع ق.م.[1] (شكل رقم 3) فضلا عن الكشف عن موقع للركام الصدفي من عصر البرونز في عدن الصغرى[2] (شكل رقم 4).

ومن خلال هذا الجهد لمحاولة تتبع تاريخ البحوث الأثرية والتاريخية، يتضح لنا بأن السهل الساحلي لخليج عدن والمنطقة الخلفية المتصلة به، لم يتضح تطورها التاريخي بشكل كافٍ حتى الآن، بالرغم من أنها شهدت استيطانا منذ بداية عصور ما قبل التاريخ مرورًا بالعصور التاريخية ثم الفترة الإسلامية وصولا إلى التاريخ الحديث والمعاصر.

كما توضح لنا أيضا تنوع الثقافات التي توجهت نحو الساحل وإن أقدمها تلك التي تهيمن عليها الركامات الصدفية ثم الثقافة الزراعية التالية لها، فضلا عما يوضحه انتشارها الجغرافي، وذلك بصرف النظر عن الفجوات التاريخية الكبيرة التي ما زالت قائمة مما يتطلب المزيد من مواصلة الجهود الحثيثة الأثرية والتاريخية.

## ثالثاً: عدن في المصادر التاريخية:

### ا- عدن في النقوش

لم تذكر عدن في النقوش المنشورة والتي تعود لفترة قبل الميلاد، كما هو الحال في ذكر كثير من المدن اليمنية القديمة، ولكن يفهم من نقش النصر(RES 3945) وهو نقش المكرب السبئي كرب إل وتر بن ذمر علي المؤرخ من القرن السابع ق.م، بأن منطقة عدن كانت ضمن الأراضي التي احتلها السبئيون كما هو حال أراضي دهس وتبن ثم دثينة، وكان من نتائج حروب هذا المكرب اختفاء مملكة

(1) فوغت2003:19

(2) Vogt، 2000-1999: 43

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أُوسان التي حلت محلها مملكة قتبان التي استعادت بعض أراضيها المحتلة من قبل أُوسان، وتوسعت أراضي قتبان مع بداية القرن الرابع ق.م حتى بلغت حوض وادى تبن في خليج عدن وباب المندب، وما يؤكد ذلك العثور على نقش قتباني (غير منشور) بين عدن وباب المندب (نقش العذقة/ وادي مرخة/ خرز).

أما في القرون الميلادية الأولى نجد نقشين مهمين يشيران صراحة الى عدن كمدينة وبحر، ويؤكدان على قدم تسمية عدن ودورها التجاري والسياسي، أولهما نقش مدينة (قفط) على النيل في صعيد مصر، حيث كان لهذه المدينة علاقة تجارية مع عدن، إذ يذكر النقش أحد تجار عدن يدعى (هيرميوس بن أثينيو) وهو تاجر ومواطن "مدينة" عدن على البحر الإريتري، يقدم نقشا على مسلة تذكارية أيام القيصر "في سبازيان أقسط" وذلك في 9 أغسطس سنة 70 ميلادية، وهذا المواطن اليوناني الأصل هاجر واستوطن في عدن وصار أحد تجارها[1].

والنقش الثاني (المعسال5) الذي خطه (حظين أوكن) قيل ردمان وخولان أيام حكم الملك ياسر يهنعم (ملك سبأ وذو ريدان)، وكان هذا القيل قائدا للجيش الحميري الذي حارب وطارد الأحباش في الأجزاء الجنوبية بل وحاربهم في بحر عدن ولم ينج منهم -أي الأحباش-سوى عشرين رجلا، وكان ذلك في بداية النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي[2].

## ٢- عدن في المصادر الكلاسيكية

قبل أن نتناول ذكر عدن في المصادر الكلاسيكية، يجب الإشارة بأن الاسم (عدن) قد جاء ذكره في "التوراة، الإصحاح 27" من كتاب/ سفر "حزقيال" وذلك حوالي 600 ق.م، إشارة إلى أهميتها كموقع تجاري، حيث ذكرت الى جانب سبأ

(1) محيرز1988: 118
(2) بافقيه 1994: 79،72،62

وقنا في اليمن وحواضر أُخرى في شمال الجزيرة العربية، كالآتي: (وتجار سبأ ورعمة هم تجارك، بأفخر كل أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب، أقاموا أسواقك حران وكمنة وعدن وتجار شبأ وآشور كلمد تجارك).

وفي بداية القرن الأول الميلادي نجد صاحب كتاب "الطواف حول البحر الإرتيري"، بعد وصفه لميناء "أوكليس" يصف موقعا شرق باب المندب في خليج عدن صالحا كميناء ومرسى للسفن تتوفر فيه المياه العذبة وينعزل عن البر، حيث ينفرج البحر المتجه نحو الشرق وعلى بعد مائتي إستاديا، توجد "Eudemon Arabia" أي العربية السعيدة، قرية في البحر في مملكة كرب إيل، وفيها مرسى مناسب، وأماكن للمياه عذبة، وأفضل من أُوكليس، وتقع على مدخل خليج ويبعد عن البحر[1] وأشار الشيبة بأنها سميت بالسعيدة لأن المدينة في أيامها الخوالي قبل أن يتم السفر مباشرة من الهند الى مصر، وقبل أن يجرؤ الملاحون على الإبحار من مصر الى الموانئ الواقعة عبر المحيط مباشرة، كانت تتجمع جميع المتاجر من البلدين كما هو الحال بالنسبة للإسكندرية حيث تصلها الأشياء التي تبتاع من الخارج ومن مصر، وكان ذلك بالنسبة لعدن قبل خرابها من قبل القيصر Caesar[2]. ولكن هناك عدة آراء حول خراب عدن هذا، فمن الباحثين من يرى أن هذا التدمير قد قام به القيصر، بينما آخرين يعتقدون بأن هناك تحريف قد حدث لكلمة "Caesar"والمقصود ملك حضرموت "Eleazos" ملك بلاد البخور "اى ايل عزيلط" (190 230–م)، وفريق ثالث يرى أن هذا التدمير تم عن طريق أُسطول روماني في وقت غير معروف أو أنه تم على يد الإمبراطور "سبتميو سسيفروس" في أثناء حملته الثانية على البارثيين عام (197–199م)[3] وعلى كل حال فإن

(1) محيرز1990: 116
(2) الشيبة 2008: 79-78
(3) الشيبة 2008: 98



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وصف صاحب (الطواف) للموقع أعلاه ينطبق على ميناء عدن أكثر من غيرها من المناطق في خليج عدن. أما "بطليموس" فيصف عدن بأنها فرضة بلاد العرب "Arabia Emporium"، وكان هذا وصفها وتعريفا لها لفترة طويلة من القرون الميلادية الأولى، إلى جانب وصف صاحب الطواف لها بالعربية السعيدة "Eudemon Arabia"، وهذا يضفي على عدن أهمية تجارية خاصة. ولعل إطلاق اسم عدن في الخرائط الأوربية منذ عصر الرومان حتى عصر النهضة في القرن الخامس عشر الميلادي على اليمن كله كان أمرا شائعا، فهي ثغر اليمن، وسمى اليمن بمملكة اليمن وسلاطينها بسلاطين عدن[1].

هذا وكانت عدن محمية من محميات الإمبراطورية الرومانية، واعتُبرت إحدى أسواقها، وفي القرن الرابع الميلادي تفوقت على موانئ حضرموت وميناء موزع واستحوذت دون منافس على تجارة البحر الأحمر وكانت كذلك خلال الاحتلال الحبشي والاحتلال الفارسي لليمن، واشتهرت في القرن السادس الميلادي كواحدة من أسواق العرب، وعُرفت بمنسوجاتها وبضائعها الثمينة الأُخرى المرغوبة في ذلك الوقت.

## رابعاً: التطور التاريخي في خليج عدن:

هناك أدلة أثرية تؤكد أن بلاد اليمن قد تم استيطانها منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ، وهذا يشمل إقليم تهامة عموما وساحل خليج عدن خصوصًا. ولهذا سنحاول في هذا الجزء من البحث أن نتتبع أقدم مظاهر استيطان ساحل خليج عدن، بدءا من عصور ما قبل التاريخ، بالرغم من أن أبحاثها ما زالت حديثة العهد، إذ أن الأبحاث كانت قد تركزت على الفترة التاريخية أي عصر الممالك اليمن القديمة.

(1) محيرز1988: 119-118



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

## ا- ساحل خليج عدن في عصور ما قبل التاريخ

إن الوجود الجغرافي للبحر الأحمر الذي يمثل مضيق باب المندب المدخل الوحيد له، والفاصل بين أفريقيا وآسيا، أدى إلى تباين الآراء حول هذا الممر البحري، فهناك من اعتقد أن البحر الأحمر ربما شكل حاجزًا هائلا لحركة البشرية وذلك منذ عصور ما قبل التاريخ، فضلا عن أنها تقدم تأييدًا لفكرة أن شبه الجزيرة العربية كانت من الناحية الجغرافية طريقا مسدودًا قليل الأهمية خلال أغلب العصر الحجرى القديم)[1]) وهو ما يتفق تماما مع الفكرة التي كان قد أثارها من قبل الآثاري Coon وهي فكرة العزلة الثقافية للعربية الجنوبية الغربية فيما قبل عصر الحديد (عصر الممالك اليمنية القديمة)[2] إلا أن هذه الفكرة قد تم دحضها بنجاح منذ ثمانينات القرن الماضي، بالعثور على أدلة أثرية تعود إلى عصور ما قبل التاريخ وذلك منذ العصر الحجري القديم/ الباليوليت حتى عصر البرونز وتفترض أن باب المندب ربما كان الطريق الأقصر لهجرة الإنسان من أفريقيا إلى آسيا (خريطة رقم 3، 4). وهنا نذكر الدراسة الحديثة التي تدرس فرضية أن سواحل البحر الأحمر كانت مكانا جاذبا للاستيطان البشرى والتواصل الثقافي في عصور ما قبل التاريخ وذلك عبر دراسة مستويات سطح البحر منذ العصور الجليدية فضلا عن عمليات أدلة المسح والكشف الأثري للآثار الغارقة تحت الماء[3].

وبالرغم من البداية المتأخرة للأبحاث الأثرية في ساحل خليج عدن، فإنه يمكننا أن نقسمها إلى مرحلتين:

**أ- المرحلة الأولى:**

تشكل البداية الحقيقة لدراسة التطور الأثري والتاريخي في ساحل خليج عدن،

(١) Bailey et al.2007:1

(٢) Coon 1943:187

(٣) Bailey et al.2007

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

الذي نشأ بواسطة البعثة اليمنية الأمريكية عندما حاولت التثبت من فرضية قدم الاستيطان في ساحل خليج عدن، وذلك عندما قامت في الأعوام 1990، 1992م بمسوحات أثرية وحفر اختباري في خليج عدن قرب باب المندب عند مدخل البحر الأحمر وفي الوديان أسفل المرتفعات، وذلك على بعد 25-40 كم من الساحل[1] ومرد ذلك أنه في ثمانينات القرن الماضي تم العثور على مواقع في شرق وغرب آسيا تضم هياكل بشرية مؤرخة بشكل جيد وآلاتها الحجرية تطابق تلك من العصر الأشولى المبكر/ الألدوفان المتطور(Oldowan) في شرق أفريقيا، وذلك في مواقع مثل، موقع "العبيدية" في وادى الأردن في فلسطين الذي أُرخت بقاياه العظمية إلى 1,4-1 مليون سنة[2]، وفي موقع (دمانيسى Dmanisi) في القوقاز/ جورجيا حيث كُشف فيه عن فك أسفل لبشر يؤرخ إلى 1,8 مليون سنة[3] ثم في موقع "سانجران دوم" (Sangiran Dome) في جاوا/ إندونيسيا حيث تم إعادة تأريخ جمجمتين بشريتين الى 1,6 و1,8 مليون سنة على التوالي[4]، كما دلت هذه الأبحاث على أن هذه المواقع الآسيوية المبكرة كانت قد أُستوطنت بواسطة مواطنين ذوي أصول أفريقية، وبالتالي فإن أقدم بشر خارج أفريقيا يعود إلى حوالي 1,8 مليون سنة.

إن هذا الوجود يفترض انتقالا مبكرا من أفريقيا وعبور شبه الجزيرة العربية ليس أقل من حوالي 1,9 - 2 مليون سنة. وحسب معرفتنا الحالية فإن أفريقيا تعد مهد الإنسان وتحديدا في شرقها وذلك منذ حوالي 2,5 سنة[5]. ولذا فإن وجود هذه

(1) Whalen &Schatte1997 Figs.1-2
(2) Whalen 1993:2
(3) Gabunia, and Vekua 1995:509
(4) Swisher et al.1994:1118
(5) إنيزان 2007:19

المواقع الآسيوية التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأدنى يثير السؤال عن الممرات الرئيسة لحركة انتقال البشر، كيف وصلوا إلى هناك؟، وأي طريق انتقال خارج أفريقيا سلكوا؟

وفي هذا الخصوص هناك الافتراض الذي استمر طويلا، وهو الطريق "البرية" إلى الشمال، الذي يسير محاذيا للنيل نزولا من إثيوبيا ثم عبور شبه جزيرة سيناء وصولا إلى شرق البحر الأبيض المتوسط (خريطة رقم 3) ومنها باتجاه الشمال إلى القوقاز وشرقا من خلال زاجروس إلى الهند ثم أرخبيل إندونيسيا.

وحاليا فإن مناخ البحث قد بدأ يتغير ويقدم افتراضا آخرا يرتكز على أن الحركة الأولى للبشرية قد تم عبر طريق الانتقال المائي الجنوبي وهو الطريق من إثيوبيا والقرن الإفريقي عبر مضيق باب المندب الذي يمثل مدخل البحر الأحمر الذي يفصل إفريقيا عن آسيا ثم إلى شبه الجزيرة العربية ثم شبه القارة الهندية[1] (خريطة رقم 4).

ومن أجل التثبت من هذه الفرضية فقد قامت البعثة اليمنية/ الأمريكية بمسوحات تغطي مساحة حوالي 2475 كم$^2$، كشفوا فيها عن 67 موقعا أثريا على السطح يعود أغلبها الى العصر الحجري القديم الأعلى، ثم قاموا بحفر اختباري إلا أنه لم يكشف عن عمق طبقي لسبب ضحالة عمق التربة التي أزاحتها التعرية الرياحية، وبالتالي تمكنوا من جمع الآت حجرية من السطح، كانت مصنوعة من الريولايت، البازلت والكوارتزيت، وبما أن البقايا الأثرية التي جُمعت كانت من السطح وبالتالي لا يمكن إيجاد تاريخ محدد لها، وعليه فقد تم تصنيفها بالمقارنة على ما أمكن تاريخه في شرق أفريقيا، وذلك اعتمادًا على الشكل، وطريقة الصناعة، وعلى هذا الأساس أمكن تصنيفها إلى نوعين من الصناعات المميزة لهذه الفترة: الأولى، تعود إلى

(1) Bailey et al 2007:1; Whalen and Schatte1997:9



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

صناعة الأولدوفاي المبكر وتضم نوى كبيرة، آلات قاطعة ( شكل رقم 5) والثانية تعود إلى العصر الأشولي وهي تضم الفؤوس اليدوية[1] (شكل رقم 6)

وبذلك تمكنوا من الوصول إلى استنتاج مفاده، وجود بشر في شرق وغرب آسيا في حدود 1,8 مليون سنة، كما إن المخلفات الأثرية للمواقع حول باب المندب تتفق تماما مع المواقع المبكرة للإنسان القديم من شرق أفريقيا، وهذا يفترض بالضرورة انتقالا أقدم من أفريقيا عبر باب المندب لا يقل عن 1,9 – 2 مليون سنة على شكل موجات بشرية، ولهذا ربما كانت طريق الإنسان من أثيوبيا والقرن الأفريقي عبر طريق " باب المندب" ومنه إلى شبه الجزيرة العربية ثم عمان وإيران وشبه القارة الهندية هو الطريق الأقصر والمفضل باعتباره يشكل الاستمرارية والامتداد الطبيعي لحركة الإنسان القديم المستوطن في الوادي المتصدع بشرق أفريقيا من أولدوفاى، تركانا، أُمو، أواش و جيبوتي[2] . وجدير بالذكر أن المواقع المبكرة في حضرموت التي وصفتها البعثة الروسية 1983م ربما تمثل استيطانا بشريا متأخرًا لهجرة بشرية إلى العربية الجنوبية الغربية، عبر باب المندب، وأن تاريخها يعود إلى حوالي مليون سنة[3].

كما يمكننا أن نلاحظ أنه لم يتم حتى الآن في اليمن العثور على هياكل بشرية لإنسان تلك الفترة المبكرة، وهنا لا بد لنا أن نذكر ذلك الاكتشاف الحديث، الذي أثار كثيرًا من الجدل، لجمجمة إنسان "الهوموراركتوس" من العصر الحجري القديم الأدنى، الذي عُثر عليه في منخفض الدناكيل بإريتريا قريبا جدًا من شاطئ البحر الأحمر المقابل لليمن والذي يعود تاريخه إلى مليون سنة[4].

(1) Whalen and Schatte 1997:1-4
(2) Whalen,1993-1994:3
(3) Amirkhanov 2006:605
(4) Abbate et al. 1998: 458-460

ولهذا يمكننا أن نقول إن مسوحات البعثة الأمريكية التي عملت في خليج عدن فضلا عن تلك التي قامت بها البعثة الروسية في حضرموت قد أكدتا على ثبوت استيطان الإنسان القديم في بلاد اليمن منذ العصر الحجري القديم. وبما أن الأدوات الحجرية التي كشفتها جلها من السطح مما لا يُمكّن من تصنيفها بدقة إلى أقسام العصر الحجري القديم (الأدنى، الأوسط، الأعلى)، وهذا في حد ذاته ما يحفز إلى المزيد من الأبحاث الأثرية.

وعموماً فإن اليمن وجنوب البحر الأحمر عند باب المندب تشكل محطة رئيسة في طريق البشرية لعبور البحر الأحمر، وفضلا عن ذلك يمكننا القول، بأن البحث المذكور قد آثار فكرة أن البحر الأحمر ربما أمكن عبوره منذ أقدم العصور وربما أنه كان ممرًا للاتصالات الثقافية بين أفريقيا وآسيا وليس فقط في الفترات المتأخرة.

**ب- المرحلة الثانية:**

تبدأ منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي، منذ 1994-2000م حين تكونت البعثة المشتركة للمعهد الألماني للآثار بصنعاء والأكاديمية الروسية للعلوم بموسكو، وذلك عندما قامت بتنقيبات ومسوحات ميدانية مركزة، مهدت للتوسع في الدراسات والبحث والكشف عن عدة مواقع أثرية على طول ساحل خليج عدن والمنطقة الخلفية لعدن في لحج وأبين بما فيها دلتا وادي أبين ووادي تبن[1] (شكل رقم 2، 3، 4؛ خريطة رقم1) وهي مواقع قرب عدن، كموقع "النبوة" في عدن الصغرى، وموقع "قهيو" في خور عميرة وهي مواقع تتميز بتركز بقايا الركام الصدفي التي استوطنت بواسطة الصيادين وجامعي الرخويات[2]. وإن من أهم نتائج البعثة المشتركة الكشف عن عناصر أثرية جديدة لم يسبق كشفها من قبل، كثقافة صبر

(1) Amirkhanov 2006:599؛ فوغت 2003:19

(2) Amirkhanov2006Fig.218:511; Vogt 1999-2000:42



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

فضلا عن ثقافة الصيادين وجامعي الرخويات الذين استوطنوا ساحل خليج عدن، والذين امتدت ثقافتهم منذ عصور ما قبل التاريخ، وخاصة العصر الحجري الحديث المتأخر واستمرت خلال عصر البرونز وصولا إلى العصور التاريخية[1]، وهو ما يعد إسهامًا جادًّا لإعادة بناء تاريخ منطقة ساحل خليج عدن، كما أن هذه الأبحاث تعد أيضا امتدادًا للمسوحات الأثرية التي أجرتها البعثة الإيطالية حول الركام الصدفي في ساحل تهامة المشار إليها سابقا.

إن ظاهرة الأكوام الصدفية في ساحل اليمن بما فيها خليج عدن، تعود إلى فعل بشري؛ إذ أنها عبارة عن بقايا لقشور الأصداف/ القواقع فضلا عن بقايا الأسماك التي تم استهلاكها، ومن ناحية أُخرى فإن أهميتها تكمن في أنها توثق المراحل المبكرة لاستخدامها كنوع من سبل العيش واعتبارها شكلا اقتصاديا من أشكال "جمع القوت" واستغلال المصادر البحرية ضمن مرحلة "الجمع-اللقط" التي تسبق مرحلة إنتاج الغذاء والتي تأكدت في ساحل اليمن منذ العصر الحجري الحديث المبكر (النيوليتي) منذ حوالي 8 ألف سنة ق.م، واستمرت حتى العصور الميلادية المبكرة وكذلك موازية للممالك اليمنية القديمة في عصورها المتأخرة وربما حتى العصور الإسلامية[2].

إن المسوحات الأثرية مكنت البعثة المشتركة من دراسة المواقع الأثرية في تلك المنطقة منذ الألف الخامس ق.م حتى بداية العصر الميلادي. ففي منطقة خور عميرة والتي تقع حوالي 80 كم إلى الغرب من عدن، وفي عام 1999 خلال المسوحات الميدانية في الموقع، اتضح وجود مجموعة من المواقع الساحلية، وهي عبارة عن أكوام من الصدف البحري تمثل مستوطنات ومحطات خلّفها

(1) Vogt 1999-2000:42

(2) Vogt 1999-2000:43-44;Tosi 1985:369; Amirkhanov 2006:623

الصيادون وجامعو القواقع لفترات زمنية مختلفة، تغطي كل العهود الأثرية للمنطقة منذ العصر الحجري الحديث وصولا إلى العصور الوسطى.

## خامساً: أهم المواقع

### ا- موقع كود قهيو:

تم التنقيب فيه عام 2000م عبر المجسات الاختبارية وتعدّه البعثة المشتركة بأنه الأكثر أهمية؛ إذ لا يمكن مقارنته مع أي موقع معروف في كل شبه الجزيرة العربية، وذلك من حيث الحجم وكثافة المخلفات الأثرية التي تعتبر ممثلة لكل الفترات التاريخية[1].

إن مستوطنة "قهيو" تغطي مساحة 1,5 كم ويقع إلى الجنوب من وادي مرخة، وحوالي 2 كم إلى الغرب من الساحل الحالي للبحيرة وشكله يبدو كجبل كبير ارتفاعه حوالي 13,5 متر، طبقاته الأثرية كونت كتلة سمكها 7 أمتار تمت دراستها بدقة عبر عدة خنادق اختبارية، أهمها الخندق المدرج بطول 48م وعرض 3م (شكل رقم 7) إن المخلفات الأثرية لموقع "قهيو" تنقسم إلى 21 سوية أثرية، أقدمها تعود إلى العصر الحجري الحديث، الموقع يرجع تاريخه بحسب معطيات الكربون المشع إلى الألف الخامس – الألف الرابع ق.م، ومخلفاته تتكون من: أصداف، بقايا سمكية، بقايا حيوانية، فضلا عن الرماد والبقايا الحجرية. ومن خلال مقارنة مكوناته الأثرية بمواقع أخرى، فقد لوحظتْ مظاهر لاقتصاد أكثر تخصصا وذلك عبر:

1 – ندرة البقايا العظمية للأسماك، وإن وجدت فهي للأنواع الكبيرة.

2 – عدم توفر ثقالات شباك الصيد الثقيلة.

(1) Amirkhanov 2006:623



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

3 – عدم وجود الخطاطيف الكبيرة اللازمة لصيد الأسماك الكبيرة، إذ لا بد إن عملية الصيد قد تمت بطرق أُخرى، ربما بواسطة الحراب[1].

**٢– موقع النبوة:**

يقع في أطراف عدن الغربية، حيث قامت البعثة المشتركة بمسح مكثف في منطقة الموقع مما أدى إلى كشف ثلاثة مواقع للاستيطان تم التنقيب فيها بواسطة الحفر الاختباري ومن ثم دراستها وهي:"النبوة 2"، "النبوة3"؛ و"النبوة4" ويعد "النبوة2" الأكثر أهمية، لأنه يحتوي على إستراتجرافيا تتكون من 7 طبقات أثرية وعلى الأقل 16 منطقة سكنية (شكل رقم 2)، وبالتالي ما يتبع ذلك من غنىً بالمواد الأثرية. وقد تم فيها حفر عدة خنادق اختبارية أكبرها مساحته 60م$^2$ وعمقها الأقصى يصل إلى 4.5 م[2].

ومن خلال دراسة المخلفات الأثرية اتضح أن الموقع يحتوي من الناحية التاريخية على فترتين تاريخيتين: الطبقات العليا (2–6) تعود إلى عصر البرونز منذ أواخر الألف الثالث–النصف الأول من الألف الثاني ق.م، والطبقات السفلى (10–12) تشكل الفترة الأقدم في المواقع التي تعود إلى أواخر الألف الرابع–الألف الثالث ق.م للعصر الحجري الحديث المتأخر. ومن ذلك يتضح لنا أن المخلفات المادية لهذا الموقع تقدم معطيات لمستوطنات بشرية استقرت في شاطئ خليج عدن منذ حوالي الألف الرابع–منتصف الألف الثاني ق.م.[3].

**٣– موقع صبر:**

يعد الكشف الأثري الجديد في منقطة خليج عدن، بالرغم من أن الكشف عن

(1) فوغت 2003:19
(2) Amirkhanov 2006:622
(3) Amirkhanov 2006:622-3

هذا الموقع قد تم منذ العام 1932م وأنه بقي على حاله حتى عام 1994م حين تم التنقيب فيه كأول فعالية علمية بالنسبة للبعثة الأثرية المشتركة. يقع الموقع في م/ لحج على بعد 20 كم إلى الشمال من عدن في دلتا وادي تبن، يتميز الموقع بانتشار كثيف للفخّار في سطحه، أمكن تحديد الموقع على مساحة 1,2×2 كم، إذ يصعب التحديد الدقيق للموقع وذلك بسبب الرمال المتحركة، فضلا عن التوسع في الاستيطان الحالي، وهو بذلك يمثل أكبر المستوطنات القديمة في اليمن، وربما أكبر من مأرب عاصمة مملكة سبأ القديمة[1]. تم الحفر فيه حتى عمق 5-6 أمتار ضمن الطبقة التاريخية، مما أدى إلى الكشف عن بداية استيطان الطبقات العليا التي تمثل الفترة المتأخرة من عصر البرونز في ساحل خليج عدن والتي أُرخت بواسطة تحليل الكربون المشع إلى حوالي 1400-1300 ق.م. وامتدت حتى القرن الثامن ق.م. يعتبر الفخار أكثر المواد انتشارًا في صبر، فقد عثر عليه في كل الطبقات وبعضها أوانٍ كاملة (شكل رقم 7). وقد وجدت أدلة تؤكد على أن الفخار صنع يدويا ومحليا، وذلك عبر العثور على العديد من الأفران وبها الكثير من بقايا الفخار. وأهم أجزاء المستوطنة المعمارية يمثلها بناء ذو شكل هندسي، ربما كان يتكون من عدة طوابق، يتقدمه فناء على جانبيه رواق مع غرفة في الوسط، تكون المدخل إلى الصالة الرئيسة ذات الأجنحة الثلاثة، ويلاحظ أن مخططه يشابه معابد ممالك اليمن القديمة، ولهذا ربما يعتبر أنه بناء مقدس "معبد"، وبذلك يكون أول نموذج لعمارة المعابد منذ عصر البرونز (شكل رقم 8).

إن صبر تمثل ثقافة لعصر البرونز التي امتدت على طول ساحل تهامة، ولذا أُطلق عليها "ثقافة صبر"، وإنها ربما كانت محصورة في منطقة الساحل (شكل رقم9)، (خريطة رقم 5)، حيث لم يثبت وجود مشابه لها خارج نطاق الساحل بالرغم من

(1) فوغت 2003:20



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وجود أدلة بأنها كانت متجهة نحو أفريقيا في الساحل الغربي للبحر الأحمر أكثر منها نحو داخل بلاد اليمن، وذلك عبر المقارنة الفخارية مع الحبشة وبلاد النوبة[1].

### ٤- موقع امعليبة:

أن موقع امعليبة الأثري يقع في السهل الساحلي بين لحج وعدن بين الفرعين الرئيسين لدلتا وادي تبن، وعلى بعد 20 كم شمال عدن، وحوالي 5 كم إلى جنوب شرق صبر. تم الكشف عنه في العام 1996م في أثناء المسح الأثري للبعثة المشتركة، إلا أن أعمال السبر الاختباري فقد تواصل خلال عامي 1997-1998م، وهو عبارة عن مستوطنة كبيرة بارتفاع 3-4 أمتار فوق سطح البحر. وسطح الموقع يغطيه انتشار كثيف للفخار، يشابه كثيرا فخار صبر.

يرجع تاريخ الموقع بواسطة تحليل الكربون المشع إلى 2000-1600 ق.م[2] من خلال الحفر الاختباري تم التعرف على أساسات لمستوطنات بهيئة الأكواخ (شكل رقم 10)، ولكن أهم مكتشفات الموقع هي الكشف عن قنوات الري التي تقع فوق بعضها بتتالي طبقات الاستيطان، مما يشير إلى ارتباطها بشبكة ري صناعية واسعة، ويرجح أن المياه كانت تأتي من جهة الغرب من وادي تبن في منطقة العند، الذي ربما كان يجري طوال العام، وبذلك يقدم أول دليل على أن المستوطنات في السهل الساحلي قد عرفت الزراعة بتقنية الري مبكرًا، وأنها استخدمتها منذ عصر البرونز وقبل مدة طويلة من نشوء الممالك اليمنية القديمة[3] (شكل رقم 1).

كما تشير الدلائل إلى إن ثقافة صبر قد انتهت في القرن التاسع/ الثامن ق.م، وآثار الحريق في مخلفاتها تشير إلى نهاية عنيفة، وبعد ذلك سارت عملية الاستيطان في

(1) Fattovich 1996:398;Vogt and Sedov 1998:266
(2) فوغت، 2003:20
(3) Buffa 2002 Vogt 1999-2000:45 ؛ فوغت: 2003: 20

سواحل خليج عدن بنوع من التباطؤ. وبحسب المصادر الكلاسيكية فإن ذكر هذه المنطقة لم يرد قبل مطلع القرن الأول الميلادي، كمحطة نقل تجارية ذات أهمية.

**الخلاصة:**

إن هذه الدراسة ذات أهمية قصوى بالنسبة لإعادة بناء تاريخ منطقة ساحل خليج عدن، وإنها قد دخلت عمليًا في بداية معرفة تطورها اللاحق.

إن المناطق التي تم دراستها في منطقة خليج عدن، غير كافية للإشارة إلى المميزات الاقتصادية والاجتماعية التي تمكن من الدراسة المفصلة حول التركيب الاجتماعي للمستوطنات.

تشير عملية التطور التاريخي المتوفرة حاليا في ساحل خليج عدن، بأن مستوطنات الصيادين وجامعي المحار قد مورست منذ العصر الحجري الحديث وقبل ظهور ثقافة عصر البرونز الزراعية التي تتمثل في موقعي امعليبة وصبر، وربما أنها سارت متوازية معها خلال الألف الثالث والثاني ق.م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

## قائمة المراجع العربية:

1 - **ادريس، جمال الدين** (2008)، موقع أثرى من عصر البرونز في عدن الصغرى، تعريب في مجلة التواصل، عدد يناير: 293-302.

2 - **اينزان، مارى لويز** (2007)، "المستوطنات القديمة في عصور ما قبل التاريخ"، في: مديحة محمد رشاد وماري لويز اينزان، فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ: 15-27.

3 - **بافقيه، محمد عبد القادر** (1994)، "محتوى نقش المعسال "5، حولية ريدان عدد6: 62؛ 72؛ والمعسال 6، ريدان 6، 1994: 79 والشرح: 87-86.

4 - **باطايع، أحمد** (1999) "العمل الآثاري في عدن منذ التأسيس حتى الاستقلال"، في كتاب ندوة: عدن ثغر اليمن: الماضي، الحاضر والمستقبل (الندوة العلمية الأولى 17-15مايو1999م)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الكتاب الثاني، ص689-707.

6- **زارنيس، يورس، مراد، عبد الجواد واليعيش، خالد**(1981)، "برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية، التقرير الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية"، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الخامس، ص9-43.

7- **زارنس، يورس والزهراني، عوض السبالي**(1985) "الاكتشافات الأثرية الحديثة في سهل تهامة الجنوبي موقعي"عثر" و"سيحي"، اطلال، عدد9، ص69-111.

8- **زارنيس، يورس والبدر حمد** (1986)، "التنقيبات الأثرية جنوب تهامة، الموسم الثاني". أطلال حولية الآثار العربية السعودية، العدد العاشر، ص43-69.

9- **الشيبة، عبد الله حسن** (إعداد وترجمة) (2008) العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية، في كتاب: ترجمات يمانية، (دراسات في تاريخ اليمن القديم) دار الكتاب الجامعي، صنعاء،ص78-79، والهامش رقم98-92:97.

10- **فوكت، بوركهارت** (2003) "حضارات مجهولة سادت على خليج عدن: منذ حقبة الركام الصدفي العصر الحجري حتى ظهور مدينة صبر في العصر البرونزي المتأخر،25 عاما من حفريات وأبحاث في اليمن 2003-1978 م"، المعهد الألماني قسم الشرق مكتب صنعاء،ص19-21.

11- **محيرز، عبد الله أحمد**(1988)، "عدن"، ريدان 5، ص115-125.

12 - (1990) العقبة، دراسة تحليلية جغرافية وتاريخية لجانب من مدينة عدن، وزارة الثقافة-عدن.

13 - (1991) صيرة، أبحاث معمقة عن بعض معالم عدن ومرفقها الاقتصادية والعسكرية، دار جامعة عدن للطباعة، عدن.

## قائمة المراجع الأجنبية

1- **Abbate،E.،Albianilli،A.،Azzaroli،A.،Benvnuti،M.**،Tesfamariam،B.،Bruni،P.،Cipriani،N.،Clarke،R.J.،Fccarelli،G.،Marcchiarelli،R.،Napoeone،G.،Papine، M.، Rook، L.، Sagri، M.، Medhin Teck، T.،Torre، D. and Villa، I. (1998). "A one-million-Year-Old Homo cranium from the Danakil (Afar) Depression of Eritrea.Nature"،393: 458-460.

2- **Amirkhanov، H.A.**،(2006) "Stone Age of Arabia" (Eng. Summery).

3- **Bailey،G.،** Alsharekh،A.،Flemming،N.،Lamberk،K. ،Momber،G .،Sinclair، A.، and Vita-Finzi، C.(2007) "Coastal prehistory in the southern Red Sea Basin، underwater archaeology، and the Farasan Islands"، in: Proceedings of the Seminar for the Arabian Studies،37.

4- **Brunner،U.**،(2005). "The Beginning of Irrigation". In: de Maigret،A.، The Dawn of History in Yemen's Interior.

5- **Bulgarelli،G.،(**1985). "Research on Pleistocene and Palaeolithic sites".

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

East and West 35، 360-363.Petraglia، M.D. (2003)The Lower Paleolithic of the Arabian Peninsula

6- **Buffa، V.** (2002) "The Stratigraphic Sounding at Ma'layba". Archäologische Berichteaus dem Yemen، Band IX.p.1-14.

7- **Cambridge، P.** (1966) "Shell Eaters: a preliminary study of a Midden Site at Little Aden". Aden Magazine 12:117-24.

8- **Coon،C.،** (1943). "Southern Arabia، a problem for the future"، Papers of the Peabody of American Archaeology and Ethnology،20.

9- **Cleuziou، S.**، Inizan،M.L.، and Marcolongo، B.(1992). "Le peuplementpre'-et protohistorique du syste'm fluviatile fossile du Jawf-Hadramawt au Ye'men". Pale' orient، vol. 18،2،p.5-26

10- . **Doe، B.،(**1960-61). "Notes on Pottery Found in the Vicinity of Aden". Appendix to the Department of Antiquities Annual Report:3-41.

**11- (**1965**)** "Pottery Sites near Aden". Department of Antiquities Publication Bulletin 5.

**12- (**1971**)** Southern Arabia( New Aspects of Antiquity)،London.

13- (1983) Monuments of South Arabia، Cambridge-Falcon.

**14- Durrani،N**.(2006).The Tihama coastal plain of South West Arabia in its regional context: c6000 BC-AD 600 ph.D. University College London،(Unpublished).

**15- Fattovich،R**.،(1996) "The Afro-Arabian Circuit: contacts between the Horn of Africa and Southern Arabia in the 3rd-2nd millennia B.C. " In: **Krzyzniak،L.**، and Kobusiewicz (eds.).Interregional Contacts in the Later Prehistory of Notheastern Africa،Poznan،p.395-401.

**16- Gabunia، L.** and Vekuna،A. (1995). " Pleistocene hominid from Dmanisi، East Georgia، Caucasus". Nature،373:509.

**17- Hamilton، R.A.B.**،(1943) "Archaeological Sites in the West Aden Protectorate". Geographical Journal 101:110-17.

**18- Harding،G. L.** (1964). Archaeology in the Aden Protectorate. London.

**19- Khalidi، L.،(**2006). Settlement Culture-Contact and Interaction along the Red Sea Coastal Plain. Yemen: The Tihamah cultural landscape in the late prehistoric period3000-900 BC. PhD thesis، University of Cambridge.(Unpublished ).

**20- Lane، A. and Serjent، R.B.**،(1965). "Pottery and Glass Fragments from the Aden Litoral، with Historical Notes". In Aden Antiquities Bulletine 5، Aden.

**21- Lezine، A-M.، Saliege، J.F.، Robert، C.، Wertz، F.، and Inizan، M.L.**،(1998). Holocene lakes from Ramlat as Sab،atayn(Yemen) illustrate the impact of monsoon activity in southern Arabia Quaternary Research، 50:290-99.

**22- Marcolongo، B.، and Palmieri، A.M.**( 1992). "Paleoenviroment and Settlement Pattern of the Tihama Coastal Plain". Yemen 1: 117-23.

1- 23-**McClure، H.A.**(1976) "Radiocarbon chronology of late Quaternary lakes in the Arabian desert". Nature 263.

24- (1978). "ArRub' al-khali"، In: al-Sayari، S.، and Zoetl، J.(eds.)The Quaternary period in Saudi Arabia، Springer Verlag، New York: 252-62.

**25- Munro، R.N.**،(2001). "Yemen. Study of the Integrated Drainage system of the Tihama plain and Wadi Basins. Consultant to HTS Develoment Ltd". Assessment Report submitted to Yemeni Ministry of Agriculture and Irrigation.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

**26- Sanlaville، P.**،(2000). Le Moyen-0rient arabe: Le milieu et l'home. Collection U-Se،rie Geographie. Paris: Armand Colin.

**27- Swisher، C.C.، Curtis، G.H.، Jacob،T.، Gelly، A.G.، Suprijio، A. and Wadiasmoro** (1994). "Age of the earliest known Hominids in Java"، Indonesia. Science 263:1118-1121.

**28- Petraglia، M.D.،(**2003**).The Lower Paleolithic of the Arabian Peninsula**

**29- Robin، Ch.، and Brunner، U.**،(2007) Map of Ancient Yemen،1:1000،000، Munich.

**30- Tosi، M.**، (1985). "Archaeological Activities in the Yemen Arab Republic، Tihama Coastal Archaeology Survey"، East and West 35: 363-369.

31- (1986). "Archaeological Activities in the Yemen Arab Republic. Survey and Excavations on the coastal plain(Tihama) " Preliminary Report for the Italian Archaeological Mission in the Y.A.R. East and West 36:400-414.

**32- Vogt، B.**،(1999-2000). "Fru'he Kulturen an der Kuste des Roten-Meers. Im Land der königin von Saba"،(Heg.)Staalichen Museum furVölkerkunde،Munchen،42-46.

**33- Vogt، B.، and Sedov، A.، (**1998) ".The Sabir culture and coastal Yemen during the second millennium BC. " The present state of discussion. Proceedings of the seminar before Arabian Studies، vol. 28،1998:261.

**34- Vogt، B.، Buffa، V.، and Brunner، U.**،(2002). Archäologische Berichteaus dem Yemen، Band 1X: 15-26.

**35- Wahlen، N.W.**، (1993-1994). "Is the Early Man found his way through bab Al-Mandab straight from Africa to Yemen":2. (في مجلة التاريخ والاثار، عدد2، 3)

**36- Whalen، N.M. and Schatte، K.E.**،(1997). "Pleistocene sites in southern Yemen".Arabian Archaeology and Epigraphy،8: 1-10

**37- Wilkinson، T.J.**،(2003). Archaeological Landscapes of the Near East Tucson، Arizona: The University of Arisona Press.

**38- Wilkinson، T.J.، Edens، C. and Gibson، M.**، (1997). "The Archaeology of the Yemen High Plains: A preliminary chronology". In: Arabian Archaeology and epigraphy 1997، 8: 99-142.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

# هل كانت يَـثْرِب مملكة؟
# دراسة تاريخية لنشأة المدينة وتطورها قبل الإسلام

الأستاذ الدكتور عارف أحمد إسماعيل المخلافي[1]

## ملخص البحث

يهدف البحث إلى دراسة تاريخية لنشأة المدينة المنورة وتطورها قبل الإسلام، وذلك من خلال دراسة الكشوف الأثرية والروايات التاريخية ومجتمع يثرب واقتصاده وعلاقاته الخارجية، ومن خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- كيف نشأت يثرب؟
- هل كان فيها شكل من أشكال الدولة الرسمية؟
- لماذا لم تذكر المصادر شيئا عن ملوكها، أو حتى الإشارة إلى ذلك من خلال سياق تاريخي كما تفعل مع باقي الممالك؟
- ما دلالة وصول الهجرات اليهودية والعربية إليها دون التوافق، أو التحالف، أو الصراع مع حكامها إن وجدوا؟

(1) أستاذ التاريخ القديم بقسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة صنعاء، وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وقد توصل البحث إلى عدم وجود أي شكل من أشكال الدولة في يثرب قبل الإسلام، واستدل على ذلك بالمعطيات الأثرية والنقشية والروائية، من خلال مناقشتها وتحليلها بحيادية، وفقاً لقواعد النقد التاريخي.

## Was Yathrib a Kingdom?

## A Historical Study of Al-Medina Al-Munawarah and its Development before Islam

**Aref Ahmed Ismail Almekhlafi**
Professor of Ancient History
Department of History
Faculty of Arts , Sana'a University

### Abstract

This research aims to study the historical development of Al-Medina Al-Munawarah and its development before Islam ،through the study of archaeological discoveries and historical accounts of the community of Yathrib and its economy and external relations، as well as through answering the following questions:

How did Yathrib arise?

Was it a form of an official state?

Why did the sources keep silent about mentioning their kings or even mentioning them in a historical context as they do with other kingdoms?

What is the significance of the arrival of Jewish and Arab migrations without consensus ،alliance ،or conflict with its rulers، if any?



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

The findings of the present research revealed that there was no form of an official state in Yathrib before Islam ،and this was evidenced by all the archaeological ،inscriptive and narrative data analyzed and discussed throughout this research.

## المقدمة والتساؤلات:

تناولت الكثير من الدراسات تاريخ مدينة الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولكن لم يقدم أحد دراسة علمية وافية عن حقيقة عصر ما قبل الإسلام في هذه المدينة، وهل كان في يثرب إمارة، أو دويلة، أو مملكة؟، وهنا تكمن مشكلة البحث التي سيناقشها في محاور النشأة، والسكان، والعلاقات، وذلك من خلال النصوص والروايات، ساعيًا للإجابة على التساؤلات الآتية:

- كيف نشأت يثرب؟
- هل كان فيها شكل من أشكال الدولة الرسمية؟
- لماذا سكتت المصادر عن ذكر ملوكها أو حتى الإشارة إلى ذلك من خلال سياق تاريخي كما تفعل مع باقي الممالك؟
- ما دلالة وصول الهجرات اليهودية والعربية إليها دون التوافق، أو التحالف، أو الصراع مع حكامها إن وجدوا؟

## أولًا-اسم يثرب:

ذُكرت يثرب باسمها هذا في نصوص الملك البابلي نابونئيد في القرن السادس قبل الميلاد، وفي النقوش المعينية في القرن الرابع ق.م، والنقوش النبطية في حوالي القرن الثاني أو الثالث الميلادي، وفي النقوش الحِمْيَرِيَة في القرن الخامس الميلادي[1]. كما ذكرها الجغرافي اليوناني "بطليموس كلاديوس" الذي عاش في الإسكندرية بمصر في القرن الثاني

(1) انظر الفقرة رابعًا في هذا البحث.

الميلادي، باسم لاثريبا Lathrippa، وينطق الاسم أيضًا لاثريبتا Lathrepta [1]، وقد عربها المؤرخون وقالوا أنها "يثربة" الذي يعني النطق اليوناني ليثرب[2]. وما يثير الاستغراب أن مترجم كتاب "بطليموس كلاوديوس" اعتبرها منطقة مجهولة[3].

يذكر ياقوت الحموي (ت 626 ه) أن يَثْرِبُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، وباء موحدة، وسميت بذلك نسبة إلى رجل اسمه يثرب، ولما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب، ولذلك يُكره أن نسمي المدينة يثرب بعد الإسلام[4]. وقد ذكرت في القرآن الكريم على النحو والرسم الذي ذكره ياقوت، فجاء ذكرها في سورة الأحزاب، آية (13) بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا...﴾.

ولكن الملاحظ أن هذا الاسم لم يستمر في عهد النبي محمد ﷺ؛ وعللت الروايات ذلك لكراهية النبي لهذا الاسم وأنه دعاها "طيبة" و "طابة"، ويبدو أن اسم المدينة هو الاسم الإسلامي لها بعد الهجرة، أما التسعة والعشرون اسمًا التي ذكرها الإخباريون للمدينة فهي صفات أطلقت عليها بعد أن أصبحت عاصمة للدولة الإسلامية[5].

وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن اسم يثرب تطور عن الاسم البابلي لها الذي ذُكر في

(1) بطليموس كلاوديوس والجزيرة العربية، ترجمة: السيد جاد، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1439 هـ - 2017م. ص، 23، ص 144، فقرة (7).
(2) الذييب، سليمان بن عبد الرحمن، نقوش جبل أم جذايذ النبطية، دراسة تحليلية، ط1، الرياض 1422/ 2002م. ص 168.
(3) بطليموس كلاوديوس والجزيرة العربية، ص 144، فقرة (7).
(4) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، ص 1397ه-1977م، ص 430، علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الرابع، ط/ 2، بغداد، 1413ه-1993م، ص 129.
(5) الشريف، أحمد أبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، ط/ 1، القاهرة، 1424ه-2003م، ص 243.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

نص للملك البابلي نبونيد (556 – 539 ق.م) بصيغة la-ta-ribu (اتريبو)، وذكر أنه بعد استبعاد حروف الحركة تبقى الصوامت فقط l-t-r-b (أترب) مما يعني أن الاسم البابلي هو أقدم أسماء يثرب[1].

وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأي إلا أنه –في نظر الباحث–من المستبعد أن يكون اسم يثرب أطلق أول مرة من قبل البابليين ثم تطور عن الاسم البابلي؛ لأن ذلك يمكن أن يكون فقط في حال أن هذه المدينة بناها البابليون وهو ما لا يتفق مع المعطيات التاريخية التي سنتحدث عنها لاحقًا. فالبابليون كتبوا الاسم يثرب كما وجدوه، مثله مثل باقي المدن المذكورة في النص نفسه "دادانو"، "خيبرو"، "فداكو"[2]، وبذلك يكون الاسم "أتريبو" أو "إياتريبو" هو النطق البابلي لاسم يثرب المعلوم لديهم وليس المبتكر من قبلهم، وخاصة إذا ما علمنا أنه كان هناك حي من أحياء المدينة يسمى يثرب، يقع في الجنوب الغربي من جبل أحد بين جبل سلع ووادي قناة، ويقال إن هذه المنطقة هي التي كانت عامرة بالناس قبل مجيئ اليهود إلى المدينة، بل لعل هذا الاسم الذي يمثل الجزء قد غلب على الموقع الذي يمثل الكل، وهذا أمر شائع في أسماء المدن بعد توسعها[3]. (انظر موقع يثرب في الخريطة رقم 1).

(1) الحمراوي، محمود الزراعي، "أتريبو (يثرب) الاسم القديم للمدينة"، تاريخ وحضارة المدينة المنورة عبر العصور، ج/ 1، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، 1431هـ-2010م، ص 25-26.
(2) انظر الفقرة ثالثًا في هذا البحث.
(3) الشريف، ص 243.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

خريطة (١): موقع يثرب بين وادي قناة وجبل أحد، عن الزراعي، ص ٧٣.

إن ما يمكن القبول به من ذلك الرأي الذي يقرر الأصل البابلي للاسم، هو فقط أن يكون لفظ يثرب آنذاك "أترب أو أثرب" وهو معروف في كتب الأخبار، ومع ذلك نجد القرائن الأخرى لا تعطيه أولوية القبول، فالأمر برمته لا يعدو أن يكون لهجة معروفة عند



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الآشوريين والبابليين على السواء، ومثال ذلك، أن الآشوريين كتبوا اسم قبيلة "يديبعل" العربية في سيناء Idi-biaili[1] (إديبعلي)، كما كتبوا اسم الملك السبئي يثع أمر (إيتا امرا) Ita-amra[2]، وكتبوا اسم الملك العربي يطع (إياتع) Iatiea[3]. ووفقًا لذلك نرى أن الاسم يثرب لم يطلق من قبل البابليين وإنما كتبوه كما وجدوه، وهو الاسم المذكور كذلك في النقوش المعينية –كما سياتي– وفي القرآن الكريم وكتب الأخبار.

ولعل ما يعزز رأينا هذا هو ما ذهب إليه حسن ظاظا من أن يثرب من الجذر "يَثَر" أو "وثر" بمعنى "استراح"، فهو يرى أن اسم يثرب على هذا النحو تعني المكان الوثير أي المريح الذي يجد فيه الإنسان الخصب والأمن والكفاية[4]، وهذا يتناسب مع طبيعتها كمحطة على طريق التجارة الدولي القديم. وعند استشارة الباحث معاجم اللغة العربية، وجد أن المعنى "استراح" لم يُذكر في أي منها بصورة مباشرة، وفي ضوء ذلك يظهر أن حسن ظاظا استوحى هذا المعنى من الجذر "وثر" واشتقاقاته، والذي يرتبط بالفراش الوثير، أي السهل اللين المريح كما عرّفته المعاجم[5]، وهذا يجعل ما ذهب إليه حسن ظاظا أقرب قرينة محتملة كمحاولة منه لتفسير معنى اسم "يثرب".

(1) Lukenbill. D.D, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol.1 .Chicago, 1926, NO, 800,819.

(2) Oppenheim. A, L, "Babylonian and Assyrian Historical Texts", In, Prich-ard, Ancient Near Eastern Texts Relating to The Old Testament, New Jersey, 1969, P.286.

(3) Oppenheim, op. citp.292

(4) ظاظا، حسن، "المجتمع العربي القديم من خلال اللغة"، بحث نشر في كتاب، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج 2، مج 2: الجزيرة العربية قبل الإسلام، أعمال الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (1397هـ/ 1979م). مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض 1984، ص 185.

(5) من هذه المعاجم، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، ج14، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مطبعة دولة الكويت، الكويت، 1394 هـ/ 1974م. مادة "وثر" ص 346 –349.

## ثانيًا-الموقع الجغرافي ليثرب وأهميته:

تقع يثرب على بعد حوالي 480 كم إلى الشمال من مكة، وقد كانت واحة خصبة التربة غزيرة المياه محصورة بين لابتين بركانيتين تعرفان بالحرتين، حرة واقم في الشرق، وحرة الوبرة في الغرب التي تفصل بين المدينة ووادي العقيق، وتكتنف الوديان الحرتين من الشرق ومن الغرب، وتحيط بالمدينة من جهاتها الأربع، ويقع جبل عير في الجنوب الغربي من يثرب، وجبل أحد في أقصى شمالها ثم جبل سلع، وتقع قباء جنوب المدينة، ويسير وادي بطحان بين قباء والمدينة، وكذلك وادي رانونا، وهما يتجهان شمالًا فيما بين حرة الوبرة والمدينة فيتصلان بوادي قناة جنوب أحد، والذي ينحدر غربًا بينه وبين جبل سلع حتى يتصل بوادي بطحان، وتلتقي هذه الوديان عند مجتمع الأسيال من رومة، كما يوجد وادي مذينب ووادي مهزور في الجنوب الشرقي من المدينة، وينحصران بينهما عوالي المدينة التي كانت زاهرة عامرة، وتبدو أودية المدينة منحدرة من الجنوب إلى الشمال[1].

وبصورة عامة كان موقع يثرب في قلب منطقة حوضية كثيرة الوديان، وكانت هذه الوديان تتحول في مواسم الأمطار إلى شرايين مائية تمر من جنوب المدينة إلى شمالها ومن شرقها إلى غربها[2]، كما توفرت فيها المياه الجوفية بفعل الخزانات المائية التي تضمها بطون أوديتها وضفافها[3]. (انظر الخريطة (1) و الخريطة (2) )

(1) الشريف، ص 239 – 240.
(2) الشريف، عبد الرحمن، "التضاريس"، في، محمد أحمد الرويثي (وآخرون)، المدينة المنورة، البيئة والإنسان، المدينة المنورة، نادي المدينة المنورة، 1998، ص 32.
(3) الرويثي، محمد (وآخرون)،"الموارد المائية"، في، محمد أحمد الرويثي (وآخرون)، المدينة المنورة، البيئة والإنسان، المدينة المنورة، نادي المدينة المنورة، 1998. ص 64-102.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

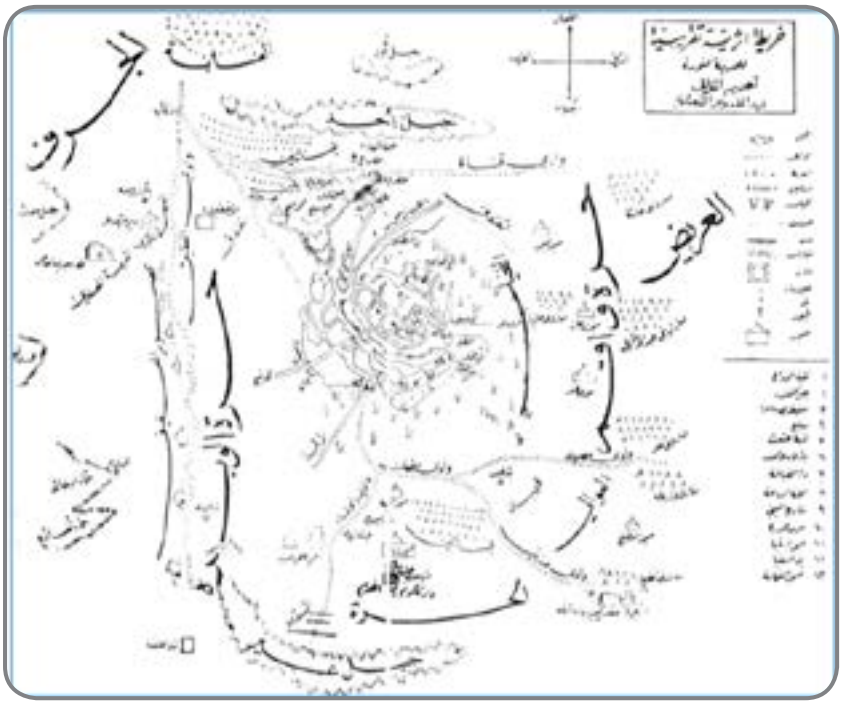

خريطة (٢): جبال المدينة المنورة ووديانها وحراتها ومنازل القبائل فيها عن الأنصاري، آثار، ص ٢٧٢.

## ثالثًا-النشأة والبدايات الأولى:

أدت المميزات التي وفرها الموقع الجغرافي لمدينة يثرب إلى جعلها محطة مهمة على طريق القوافل، ومنطقة جاذبة للاستقرار البشري. وتكشف الدراسات الحديثة إلى وجود نشاط متصل للإنسان في منطقة المدينة يعود لآلاف السنين، فقد أشارت تقارير المسح الأثري، والدراسات التي تتبعت الرسوم الصخرية في المنطقة إلى وجود أدلة مادية لسكنى الإنسان ونشاطه في منطقة المدينة منذ العصور الحجرية، وما يليها، ويتمثل ذلك بوجود نشاط فني لذلك الإنسان لا يزال موجودًا على العديد من الصخور حتى اليوم، كالرسوم الآدمية، والحيوانية، والأشكال الهندسية، على الرغم من أن هذه التقارير



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والدراسات لم تشر إلى تاريخ صريح، بل استخدمت عبارات عامة، مثل (فترات قديمة)، (موغلة في القدم)، (العصور الحجرية)[1]، وإن صحت تلك التقديرات، فإنها ستعطينا تاريخًا موثقًا يتجاوز بكثير ما تحدثت عنه كتب الأخبار.

فقد أعاد الإخباريون بداية نشأة الحياة البشرية في المدينة المنورة إلى رجل أسموه "يثرب" وجعلوه من ولد سام بن نوح"، لكنهم اختلفوا في اسم أبيه واعتبروه من بني عبيل. فمرة والده "قانية بن مهلائيل" ومرة "عبيل بن عوض"، وقالوا إنه أول من نزل بها بعد تفرق ذرية نوح عليه السلام[2].

وعلى الرغم من أن الإخباريين يربطون –في العادة– نشأة المدن على وجه العموم بأسماء أشخاص، إلا أننا لا نستطيع إثبات ذلك ولا نفيه؛ لأن أولئك الكتاب عاشوا في بيئة تعتمد نسبة الأماكن التي يعيشون فيها إلى القبيلة أو الرموز كما هو معلوم.

## رابعًا-دور العماليق في نشأة يثرب:

يذكر الإخباريون أن العرب العماليق[3] كانوا أول من زرع الزرع في يثرب، واتخذ

(1) انظر، السناني، رحمة بنت عواد: "دراسة وصفية تحليلية لمجموعة من الرسوم الصخرية في منطقة المدينة المنورة"، دراسات في علم الآثار والتراث، العدد 4، مجلة تصدرها الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، بالرياض، محرم 1434ه/ ديسمبر 2013م. ص 17 – 72)، أسكوبي، خالد محمد (وآخرون)، "المسوحات الأثرية في وادي العقيق جنوب المدينة المنورة، 1422 ه"، مجلة أطلال، المجلد 19، الرياض، 1427 ه/ 2006م (ص 95–116).

(2) انظر، السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، اعتنى به ووضع حواشيه، خالد عبد الغني محفوظ، المجلد الأول، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، ط/ 1، بيروت، 1427ه–2006م، ص 125، الحموي، ص، 430 (مادة يثرب)، مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 422، بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الجزء الأول، ط/ 1، المدينة المنورة، 1392ه–1972م، ص 14.

(3) العماليق من قبائل العرب البائدة، وقد اشتهروا في كتب الأخبار كثيرًا وأضفوا عليهم طابعًا



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بها النخيل، وعمر بها الدور والآطام واتخذ الضياع. وقد أرجعوا نسبهم إلى عملاق بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام[1]، وقد رجح السمهودي (ت 911 ه) أن العماليق سكنوا يثرب قبل اليهود[2]، وأيد عبدالباسط بدر هذا الترجيح؛ معللاً تأييده بأنه لم يجد ما يدل على وصول اليهود المدينة قبلهم لا في المصادر العربية ولا في المصادر اليهودية[3].

ونستخلص مما ذكره الإخباريون أنه إذا كان بنو عبيل هم أول سكان يثرب في العصور التاريخية، فإن العماليق هم أول من زرعها وبناها، وإن كان يصعب تحديد تاريخ معين، سواء لبداية السكنى أو لبداية الزرع والبناء، حتى في ضوء المسوح الأثرية كما أشرنا سابقًا؛ لأن تحديد تاريخ دقيق لذلك لا يمكن أن يتم بالفرض والتحليل نظرًا لتضارب الروايات من ناحية، ولعدم وجود آثار باقية لهؤلاء الأقوام من ناحية أخرى، ومن ثم عدم وجود ثابت تاريخي متفق عليه يمكن أن يكون نقطة يقاس عليها. ومع ذلك نجد اجتهادًا قام به أحد الباحثين وحاول فيه تحديد نقطة تاريخية لتأسيس يثرب من خلال مقارنة الروايات

= أسطوريًا، فربطوا بناء مدن الجزيرة بهم، وجعلوهم اساسًا لكثير من العرب، وفي ذلك يقول الطبري: "فعمليق أبو العماليق. كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الشام، وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون، ومنهم أمة يسمون جاسم، وكان ساكنو المدينة منهم..، وأهل نجد منهم..، وملك تيماء منهم..، وكانوا ساكني نجد.. والطائف". الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار المعارف بمصر، القاهرة، المجلد الأول، (د.ت)، ص 204.

(1) وفاء الوفاء، 1/ 125، ياقوت، 5/ 84 (مادة يثرب). والآطام: هي نوع من أنواع الحصون، ولكنها تختلف عنها في طراز العمارة. ويذكر الأنصاري أنه استنتج من دراسته الميدانية أن الآطام تُشاد بالحجارة المختلفة الأحجام يوضع فيما بينها حشو الطين، ولها مساطب عالية تُشرف على ما حولها ويتنزه من فوقها. أما الحصون فبناؤها بالحجارة الضخمة الهائلة المربعة ولا حشو بينها، وقد تكون الآبار بداخلها. الأنصاري، عبد القدوس، آثار المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط/ 3، المدينة المنورة، 1393ه – 1973م. ص 64.

(2) وفاء الوفاء، 1/ 126.

(3) انظر، التاريخ الشامل، 1/ 21.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مع بعض الأحداث التاريخية[1]، ولكن بعض تواريخ تلك الأحداث غير متفق عليها بين المؤرخين، كتاريخ خروج اليهود من مصر، وهو ما يجعلنا لا نتفق معه فيما ذهب إليه.

ويرى أوليري أن يثرب لم تكن دولة، وإنما كانت عبارة عن تجمعات قبلية في قرى تحكم نفسها بنفسها[2]. وقد أيده في ذلك عبد الباسط بدر الذي يرى أنه لم يكن يوجد في يثرب حكومة منظمة تدير أمورها، بل كانت مجتمعًا زراعيًا محدودًا له نظامه العشائري والبيئي المتعدد[3]. ويبدو أن هذه التوجهات في الرأي لها أصداء في نصوص الملك البابلي نابونئيد عندما حل في تيماء في القرن السادس ق.م، ثم انطلق منها إلى مناطق أخرى، فنجده يعدد تلك المناطق تعدادًا: "دادانو/ دادان، باداكو/ فدك، خيبرا/ خيبر، أياتريبو/ يثرب"[4]، دون اقتران أي منها بملك أو أمير، باستثناء العثور على كسرة من نص له يذكر فيها عبارة "ملك دادانو"[5]، ومع ذلك نجد أن ذكر ملك دادان من قبيل تحصيل الحاصل، فهي دويلة مدينة معروفة منذ القرن السابع ق.م[6]، أما إغفال ذكر أمير أو ملك لباقي المناطق ومنها يثرب فلا ينفي كونها إمارات ولا يؤكد عكس ذلك؛

(1) انظر التاريخ الشامل، 1/ 23-2. مثلاً يحدد عبد الباسط بدر تاريخ خروج النبي موسى من مصر بالقرن 15 ق.م في عهد تحتمس الثالث، بينما يرجح أغلب المؤرخين تاريخ الخروج بأواخر القرن 13 ق.م في عهد رمسيس الثاني.

(2) أوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمه وعلق عليه، موسى علي الغول، وزارة الثقافة، ط/ 1، عمان، 1990، ص 191.

(3) التاريخ الشامل، 1/ 98.

(4) Gadd, C.J. "The Harran Inscription of Nabonidus", Anatolian Studies Journal of The British Institute of Archaeology at Ankara, London, 1958, VOL8,P.84.

(5) المخلافي، عارف أحمد إسماعيل، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية، منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف الأول قبل الميلاد، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط/ 1، صنعاء، 1418ه/ 1998م، ص 156.

(6) الأنصاري، عبد الرحمن الطيب (وآخرون)، العلا ومدائن صالح (الحجر)، حضارة مدينتين، دار القوافل للنشر والتوزيع، ط/ 2، الرياض، 1425 ه - 2005م، ص 13.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

لأن ذكر دادانو مع تلك المناطق جاء ذكرًا مجردًا كغيرها، أما إقرانها بملك فقد عرفناه من كسرة نص آخر، ومن يدري أنه لو عثر على باقي ذلك النص لحدد ملوكًا أو أمراء لتلك المناطق، وهذا يعني أن السؤال يبقى قائمًا مادام لم يظهر ما يدل على أي شكل من أشكال الدولة في تلك المناطق ومنها يثرب.

ولكن من المهم التوقف هنا عند معلومة مهمة، وهي أن يثرب لم يكن بها حرم أو بيت يتعبد فيه اليثربيون، حتى كتب الأخبار لم تشر إلى ذلك على الإطلاق، ويبدو أن الأمر ليس تجاهلًا منهم وخاصة أنهم أشاروا إلى بيت اللات في الطائف. والمعروف أن أهل يثرب كانوا مشركين يتقربون إلى الأصنام كغيرهم من العرب، ومنهم من كان يهوديًا يعبد الله. ولذلك يبدو غريبًا سكوت أهل الأخبار عن ذكر بيت في هذه المدينة[1]، وهذا يعطينا إشارة سالبة إلى أن يثرب لم تعرف الدولة، ونحن نعرف أن المعبد مكون رئيس من مكونات المدن المركزية أو دويلات المدن في التاريخ القديم عمومًا.

وفي المقابل لدينا ما يشير إلى أن يثرب كانت في الفترة الواقعة بين القرن الرابع ق.م والقرن الثاني ق.م محطة من محطات التجارة على الطريق التجاري البري الدولي الذي يصل من جنوب الجزيرة العربية إلى غزة بفلسطين، بدليل العثور على نقش معيني يعود إلى هذا التاريخ المرجح، يتضمن زواج أحد الرجال من مملكة معين من امرأة من يثرب[2].

وقد ذكر ذلك في النص كما يلي[3]:

النقش: 93، MAᶜĪN

...

(1) المفصل، 4/ 130.

(2) السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم، "زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نصوص جديدة"، **أدوماتو**، العدد 5، الرياض، 1422هـ-2002م، ص 56 و 64.

(3) Bron, F. Inventaire Des Inscriptions SudarabiQues. Tome 3, MÁĪN, Fascicule A: Les Documents.Diffusiom De Boccard. Paris, 1988.P.103.

3- [ز] ي د | م س2 ك...

4- ج ب أ ن | س1 ك ر ب | و خ س3 ر...

5- ب ن | ي ث ر ب |

ومعنى النقش إجمالًا، أن شخصًا اسمه زيد من جبآن، عَقَدَ ومَهَرَ (فلانة) (التي) من يثرب. وقد اقتنع الباحث بترجمة السعيد لكلمتي "سكرب" و "وخسر"، وأنهما تعنيان: عقد (قرانه) ومهر (دفع مهرًا)[1].

وهذا يعني أن يثرب كانت في ذلك الوقت مأهولة وتمارس نشاطًا تجاريًا، وهذا النشاط التجاري البري الذي عرف في الجزيرة العربية منذ الألف الثاني قبل الميلاد، وارتبط باستئناس الجمل في هذه البلاد، والذي لو أخذنا به كقرينة لقررنا أن يثرب في ذلك الوقت كانت منطقة مرور لتلك القوافل كغيرها من المدن.

## خامسًا-دور العلاقات الداخلية والخارجية في الكشف عن تاريخها:

### ا-علاقات يثرب داخل شمال الجزيرة العربية:

دائمًا يلعب الموقع الجغرافي دورًا رئيسًا في ظهور العلاقات وتوسعها وفاعليتها الحضارية. ويبدو أن هذا الأمر قد كان له دور مهم في علاقات يثرب بجيرانها القريبين، فقد كان أهل مكة يشترون كثيرًا من منتجات يثرب من الحلي والسلاح والثمار[2]، لذلك نجد تجارة مكة تمر إلى الشام عبر يثرب، وكانت الطائف تستقبل تجارة يثرب وتصدر منتجاتها إليها، وما كان لتجارة يثرب أن تمر بغير خيبر وهي في طريقها إلى الشام، كما أن سكنى قسم من اليهود في خيبر قد أوجد روابط اقتصادية وغيرها بين المدينتين[3]. وهذا

(1) السعيد، زوجات المعينيين..."، ص 56.
(2) عوض الله، أحمد أبو الفضل، مكة في عصر ما قبل الإسلام، دارة الملك عبد العزيز، ط/ 2، الرياض، 1980، ص 143.
(3) انظر، الوكيل، ص 127.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

يعني أن يثرب كانت محطة مرور لقوافل مكة التجارية كذلك، على الأقل منذ منتصف القرن السادس الميلادي عندما نشطت تجارة قريش في عهد قصي بن كلاب.

ومما يدل على انتشار أهل يثرب داخل شبه الجزيرة العربية، نقش نبطي عثر عليه في موقع أم جذايذ في منطقة العُلا التي تبعد حوالي ست وتسعين كم عن مركز المعظم[1]، وقد جاء في النقش الذي يؤرخ بحوالي القرن الثاني أو الثالث الميلاديين ما يلي:

النقش رقم (637)[2]:

س ل م ك ا د ب ر ا س ل م

دي من ي ث ر ب

ومعناه: تحيات ك ا د بن يسلم الذي (قَدِمَ) من يثرب.

## ٢- علاقات يثرب خارج شمال الجزيرة العربية:

ترجع أقدم الإشارات المدونة إلى علاقات يثرب الخارجية إلى عهد الملك البابلي نابونئيد في القرن السادس ق.م وذلك عندما أشار في نص له أنه أخضع تيماء ودادان وخيبر وفدك ويثرب[3]، وهذا دليل على أهمية يثرب الاقتصادية لبابل في هذا الزمن من ناحية، وعلى دورها على المستوى الداخلي أيضًا، ولذلك رأى الملك البابلي أنها تمثل خطورة على مصالحه ولها أهمية كغيرها من المدن التي أخضعها.

وثاني أقدم إشارة إلى علاقات يثرب الخارجية تتمثل في علاقاتها بمملكة معين بجنوب الجزيرة العربية. فقد وجدت نقوش معينية تتحدث عن زوجات المعينيين الأجنبيات، ومن بينها نص ورد فيه اسم زوجة من يثرب اسمها "خبية"[4].

(1) الذييب، نقوش جبل أم جذايذ النبطية، ص 17.
(2) الذييب، سليمان بن عبد الرحمن، مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية، مج 2، الرياض 1431 ه. ص 808.
(3) Gadd,C.J.op.cit. vol,8,P.84,Ephal,I, op.cit,P.18
(4) السعيد، ص 56 و 64.

وقد ذكر ذلك في النقش كما يلي[1]:

النقش: 95، MAᶜ ĪN

...

11- [ذ] أ ه ل | ج ب أ ن | س1 ك ر ب | و

12- [خ] س3 ر | خ ب ب ت | ب ن | ي ث ر ب

ومعنى النقش إجمالًا، أن شخصًا من جبآن عَقَدَ ومَهَرَ (المرأة المسماة) خببة، (التي) من يثرب.

ولكن المشكلة أن تلك النقوش غير متفق على تأريخها، فقد جُعلت بين القرن الثاني ق.م والقرن الخامس ق.م، ورجح السعيد أن أقدمها يعود إلى القرن الرابع ق.م بناء على دراسة شكل الخط وأسماء القبائل، كما أكد السعيد أن جميع تلك المدن التي تزوج منها المعينيون وبلغت الزوجات المسجلة تسعون زوجة، تقع بلدانهن على امتداد الطريق التجاري[2]، وهذا يدل على أن يثرب كانت نشطة تجاريًا في ذلك الوقت، سواء أكان ذلك في القرن الرابع ق.م، أم في القرن الثاني ق.م. بل هناك رأي يقول إن يثرب كانت محطة تجارية على طريق القوافل في زمن الملك البابلي نابونئيد في القرن السادس ق.م[3]. ومع ذلك لا نجد حتى الآن أي مؤشر على وجود دولة أو نظام رسمي في يثرب.

أما ثالث أقدم إشارة للعلاقات مع جنوب الجزيرة فتعود إلى عهد مملكة سبأ وذي ريدان. حيث يذكر الإخباريون أن الملك أسعد الكامل مر بيثرب في غزواته

(1) Bron, F, op. cit, p.113

(2) السعيد، ص، 60، 62، 63-65. وكذلك، Bron, F, op. cit, p. 103 - 112

(3) السعيد، فايز السعيد، حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، بحوث تاريخية محكمة، تصدرها الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثامن، الرياض، 1421 ه- 2000م، ص 15 - 16.



للنسخة الورقية زر أو كلم +200100817022 WWW.DARALWEFAQ.NET

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

التي اتجه بها صوب شمال الجزيرة العربية حتى الصين، فترك بها أحد أبنائه الذي قتله أهل يثرب، وأن أسعد عاد إليها وهو مُجمع لإخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها، وعند احتدام القتال خرج إليه حبران من أحبار يهود بني قريظة ونهياه عن تدميرها، وأنه سيصعب عليه الدخول إليها؛ لأنها مهاجر نبي كريم يخرج من قريش في آخر الزمان، فتوقف عما أقدم عليه، ثم اعتنق اليهودية، وأخذ معه الحبرين إلى اليمن[1].

وصحيح أن هذه القصة لا تتحدث عنها نقوش التُّبَع اليماني الملك أبي كرب أسعد بن ملكي كرب يهأمن المعروف في المصادر بـ "أسعد الكامل" الذي جلس على عرش مملكة سبأ وذي ريدان (حِمْيَرْ) في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلاديين وحمل اللقب الملكي الطويل، ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في النجد والتهائم، إلا أننا لدينا ما يدعو لتصديقها. فقد عرف من نقش لهذا الملك عثر عليه في وادي مأسل الجمح قرب الدوادمي والمعروف بـ(ريكمانز، 509/ 509 Ry) والمقدر تاريخه ببداية القرن الخامس الميلادي، أن هذا الملك قد قام بحملة على وسط الجزيرة العربية. حيث يذكر هذا النقش أن أبكرب أسعد حل غازيًا مع ابنه حسان يهأمن في أرض معد، بعد أن مرا بوادي مأسل الجمح.

وقد جاءت هذه الإشارة في النقش المكون من عشرة أسطر، كما يلي[2]:

(1) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: محمد شحاتة إبراهيم، المجلد الأول، ج/ 1، القاهرة، 1990، ص 19-22، الطبري، 1/ 631-632.

(2) طيران، سالم: "نقشا مأسل الجمح"، ماسل، تصدر عن قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، الرياض، 1420ه-1999م، ص 25-26. وكذلك:
Ryckmans, G. Inscription Sud-arabes, Dixie'me Se'rie, xxxxiv.Inscriptions relevees en Arabie Sa,udite Le Museon, 66 ,1953. PP. 267-317.

1-أ ب ك ر ب | أ س ع د | و ب ن و ه و | ح س3 ن | ي ه أ م ن | م ل ك ي | س ب أ

2- و ذ ر ي د ن | و ح ض ر م و ت | و ي م ن ت | و أ ع ر ب | ط و د | و ت ه م ت |

3- ب ن ي | ح س3 ن | م ل ك ك ر ب | ي ه أ م ن | م ل ك | س ب أ | و ذ |

4- ر ي د ن| و ح ض ر م و ت | و ي م ن ت | ر ق د و | ذ ن | م ر ق د ن | ب و د |

5- م ع د م.....

وترجمته:

1- أبكرب أسعد وابنه حسان يهأمن ملكا سبأ

2- وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعراب طود وتهامة

3- ابنا حسان ملككرب يهأمن ملك سبأ وذي

4- ريدان وحضرموت ويمنة قطعوا هذا المقطع بالوادي

5- معد...

وهذا يتفق مع روايات الإخباريين، ولكن دون ذكر لتفاصيلها، باستثناء ما يمكن فهمه من النقش، أنهما أزالا العقبة التي تمنعهم من المرور، ولكن دون ذكر لأسباب تلك الحملة التي يرجح أنها كانت في الربع الأول من القرن الخامس الميلادي[1].

غير أن أحد الباحثين أعاد سبب عدم ذكر تفاصيل الحملة المشار إليها إلى أن النقش دوِّن قبل المعركة مع معد وليس بعدها، وأن بعض ما جاء فيه له علاقة بما ذكرته المصادر، كقول صاحب الأغاني: "أقبل تبع أيام سار إلى العراق، فنزل

(1) طيران، سالم: "نقشا مأسل الجمح، ص 33-34.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بأرض معد" وهو ما ذكر في النقش في السطرين الخامس والسادس "يوم غزوا ونزلوا (حلوا) بأرض معد"[1].

صحيح أن النقش لم يذكر يثرب ولم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد، إلا أنه يؤكد قيادته حملة على شمال الجزيرة العربية، ولعل عدم ذكرها يعزز رأي أبي الغيث أن النقش دون قبل الحملة.

وإلى جانب ذلك لا بد من القول إن موقع يثرب على الطريق التجاري الدولي قد جعل قوافل التجارة الجنوبية تمر عبرها في طريقها إلى خارج الجزيرة العربية، وهذه وإن لم تكن علاقة مباشرة إلا أنها نتيجة منطقية لما أفرزه الطريق التجاري من تكامل بين المناطق والممالك والدول المختلفة في الجزيرة العربية، منذ استئناس العربُ الجملَ في الألف الثاني ق.م ثم استخدامه في تجارتهم الدولية.

ومن جانب آخر، كان أهل يثرب مثل غيرهم تجارًا يخرجون إلى أسواق الشام فيتاجرون بها، كما قصد تجار بلاد الشام يثرب كذلك، وقد ذكر الرواة ما أطلقوا عليهم "الساقطة"، وأنهم تجار كانوا يأتون بالتجارة من بلاد الشام إلى يثرب ولكن لا تُعرف جنسيتهم[2].

أما بالنسبة لباقي الجهات، فلا يوجد ما يدل على علاقات بين يثرب والدولة الفارسية أو الرومانية، بينما توجد إشارات لنوع من علاقات يثرب مع الغساسنة تتمثل في استنجاد الأوس والخزرج بهم ضد اليهود، والتواصل بينهم وبين شاعر المدينة حسان بن ثابت الخزرجي، بل ووفادته على الغساسنة ومدحه لهم. ولعل

(1) أبو الغيث، عبد الله، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس للميلاد، ج/ 2، وزارة الثقافة والسياحة صنعاء، صنعاء، 1425ه، 2004م، ص17-18.

(2) المفصل، 4/ 141.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قلة التواصل الخارجي يدل على انشغال أهل يثرب بخلافاتهم الداخلية[1].

**سادسًا-هل وجد أي شكل من أشكال الدولة عند قدوم اليهود إلى يثرب؟:**

قبل أن نجيب على هذا التساؤل، يجب أن نجيب أولًا على سؤال آخر وهو، من أين جاء اليهود إلى يثرب؟:

في الواقع اختلف المؤرخون -في القديم وفي الحاضر- في هذا الأمر اختلافًا كبيرًا. فيذكر السمهودي أن النبي موسى عليه السلام حج ومعه أناس من بني إسرائيل ثم تخلف بعضهم في المدينة فنزلوا في موضع بني قينقاع، ثم دخل بعض العرب في ديانتهم[2].

وقد ربطت روايات الإخباريين بين وفاة النبي موسى عليه السلام وبين بقاء اليهود في يثرب وجعلوا المعصية سببًا في ذلك. فبعد أن أرسلهم موسى عليه السلام للقضاء على العماليق الباغين وملكهم "الأرقم" نجحوا في ذلك باستثناء ابن للأرقم أبقوا على حياته، ثم قرروا العودة وهو بمعيتهم إلى الشام ليقرر النبي موسى عليه السلام أمره فيه، وصادف وصولهم وفاة نبيهم موسى، لكن بني إسرائيل رأوا في ذلك مخالفة لتعليمات نبيهم الذي أمر بقتل جميع القوم - كما يقولون -، وهو ما جعل بني إسرائيل في الشام يقررون عدم دخولهم إليها، فما كان من ذلك الجيش إلا أن عاد إلى يثرب وأقام فيها فكانوا أول من سكن المدينة من اليهود، بل أول من سكن الحجاز منهم[3].

(1) الشريف، ص 288-289، الوكيل، ص 126.

(2) وفاء الوفاء، 1/ 126.

(3) ياقوت، 5/ 84 (مادة مدينة)، وفاء الوفاء، 1/ 127-128، مهران، ص 437. عددت المصادر أسبابًا لاختيار اليهود يثرب مكانًا ينزلون فيه. حول ذلك انظر، وفاء الوفاء، 1/ 128-130،



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

والملاحظ أن هذه المصادر تشير إلى ملك للعماليق اسمه "الأرقم"، إلا أن المرجح أنه لم يكن أكثر من زعيم قبلي للعماليق، إن كان حقيقة أصلًا، خاصة أننا عرفنا سابقًا أن النقوش لم تشر إلى كيان رسمي ليثرب في أي وقت من الأوقات.

ويبدو أن هذه القصة لا تتفق مع العقل والتاريخ، فالأنبياء ليسوا دعاة تطهير عرقي يأمرون بقتل جميع الناس، فهي تؤكد لنا أن هناك خلطًا بين ما أشارت إليه التوراة من صدام بين بني إسرائيل والعماليق في سيناء، وبين وجود اليهود بعد ذلك في يثرب، والروايات المتعلقة بسكنى هؤلاء العماليق فيها، فالتوراة لم تشر إلى صراعهم مع أهل يثرب على الإطلاق[1].

وفي الواقع فإن هذه الروايات المعتمدة على الإسرائيليات والمستقاة من التوراة المحرفة، هي انعكاس طبيعي لما كرسه كُتّاب التوراة في أسفار توراتهم المحرفة والمتمثل في عقيدة التطهير العرقي لأعدائهم، ولكن إذا كان ذلك سلوكًا مألوفًا بالنسبة لهم، فإنه لا يمكن جعله منهاجًا لأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإلى جانب ذلك هناك من يربط وصول اليهود إلى يثرب بعهد النبي داود عليه السلام في القرن العاشر ق.م، وهي روايات يظهر فيها مقدار تأثرها بالإسرائيليات، وتحريف ما جاء فيها في سياقات متناقضة وأسطورية لا يجد المرء لها وجهًا ولا ظهرا[2]. ومن ذلك قولهم إن داود عليه السلام وصل إلى خيبر، ثم غزا يثرب، وأنه قد أخذ من سكانها مائة ألف عذراء، وأن الله قد سلط الدود بعد ذلك عليهم فأهلكهم[3]،

(1) انظر المناقشة التفصيلية المهمة لهذه النقطة في مهران، ص 438-444.
(2) وفاء الوفاء، 1/ 126، السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد، خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1392ه-1972م، ص 155.
(3) وفاء الوفاء، 1/ 126.

وقد أنكر عبد الباسط بدر قصة هذه الرواية برمتها؛ معللًا ذلك بأنه لم يقف على ذكر لها لا في المصادر العربية الأخرى ولا في المصادر اليهودية كذلك[1].

وتذكر المصادر الآشورية أن السامرة سقطت سنة 720 ق.م بعد حصار آشوري لها دام خمس سنين[2] وهذا ما جعل البعض يعيد وصول اليهود يثرب إلى القرن الثامن ق.م، وصحيح أن النصوص الآشورية تؤكد أن الآشوريين هجّروا كثيرًا من اليهود إلى مناطق مختلفة، إلا أن يثرب لم تكن من بينها ولم يرد شيء من ذلك في أي نص آشوري[3].

كما أن سقوط يهودا على يد الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني سنة 587 ق.م[4] قد جعل بعض المصادر تتخذ منه سببًا لوصولهم إلى يثرب في القرن السادس ق.م، وربطت ذلك بعملية السبي الكبير المشهور "بالسبي البابلي" الذي رافق حملة هذا الملك. ولكن على الرغم من حقيقة السبي البابلي إلا أن النصوص البابلية المرتبطة بتلك الحملة لم تشر إلى توطين اليهود في يثرب، بل حتى التوراة لم تشر إلى أي هجرة لهم إلى يثرب بعد سقوط يهودا[5]. وهناك من يرى كذلك قدوم اليهود إلى بلاد العرب مع الملك البابلي نابونئيد (556 – 539 ق.م) في القرن السادس ق.م[6]، ولكن هذا الرأي لا يمكن قبوله؛ بسبب أن اليهود في بابل تعاونوا مع الإخمينيين الفرس لإسقاطها سنة 539 ق.م، أي في عهد هذا الملك[7]، وهو

(1) التاريخ الشامل، 1/ 22.
(2) المخلافي، عارف أحمد إسماعيل، العراق وبلاد الشام، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء، ط/ 1، 1423ه/ 2002م، ص125.
(3) انظر، مهران، ص 447.
(4) المخلافي، العراق وبلاد الشام، ص 243.
(5) انظر، مهران، ص 447.
(6) المفصل، 4/ 513.
(7) المخلافي، العراق وبلاد الشام، ص 155.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ما يعني أنهم إلى نهاية عهده كانوا لا يزالون في بابل، وبالتالي فإنه لن يسمح لهم بالذهاب معه أو الهجرة؛ لأن بابل كانت تعتمد على خبراتهم في الحرف والصناعات.

وقد رأى بعض الباحثين احتمال هروب اليهود في هذه الفترة المضطربة وانتشارهم بشكل جماعات استقرت في مواضع المياه والعيون من وادي القرى وتيماء وخيبر إلى يثرب، وهناك من يرى وجود اليهود في يثرب منذ القرنين الأول والثاني الميلاديين، وخصوصًا بعد سيطرة الرومان على بلاد الأنباط في مطلع القرن الثاني الميلادي، وعلى يهودا في القرن نفسه، وبقاء بلاد العرب في مأمن من الرومان، فضلًا عن قربها وسهولة الوصول إليها. على أن هجرة اليهود إلى بلاد العرب التي عليها إجماع من كثير من الباحثين هي تلك التي رُجِّح حدوثها عام 70م عندما قضى الرومان على ثورة اليهود ضدهم في أورشليم وتدمير المدينة المقدسة وإحراق المعبد اليهودي، ثم تجددت ثورة اليهود بين عامي 132 و135م وانتهت بالقضاء تمامًا على كيانهم السياسي وبيعت النساء اليهوديات كإماء، وتشتت اليهود عمومًا، وهاجروا إلى أماكن يرجح أن يثرب كانت منها[1].

وقد ذكر السمهودي أكثر من عشرين بطنًا من بطون اليهود في يثرب، منها: بنو عكرمة، وبنو محمر، وبنو زعورا، وبنو الشظية، وبنو جشم، وبنو بهلول، وبنو عوف، وبنو القصيص (العصيص)، وبنو ثعلبة[2]. ويرى جواد علي أن هؤلاء اليهود لم يكونوا أعرابًا، أي بدوًا يتنقلون من مكان إلى مكان، بل كانوا حضرًا استقروا في الأماكن التي نزلوا فيها، ومارسوا مهن أهل المدر[3]، ويرى كذلك أن بعض القبائل

(1) انظر، مهران، ص 448 –449.
(2) وفاء الوفاء، 1/ 130 – 132.
(3) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، ط/ 2، بغداد، 1413ه–1993م، ص 522.

اليهودية التي ذكر أسماءها الإخباريون، قبائل يهودية حقًا، هاجرت من فلسطين، وأن بعضًا آخر منها لم يكن من أصل يهودي، إنما كانت قبائل عربية دخلت في دين يهود، لاسيما القبائل المسماة بأسماء عربية أصيلة، كانت وثنية ثم تهودت[1]، ومن هذه القبائل: أقوام من بني الحارث بن كعب، ومن غسان، ومن جذام، ومن بلي[2].

وهذا برأينا يدل على أن الديانة اليهودية وصلت إلى يثرب قبل اليهود أنفسهم، وأن هجرة اليهود إلى يثرب نتيجة للظروف المختلفة المشار إليها آنفًا كانت لشعورهم بالأمان بين العرب المتهودين، ولم يكونوا هم طلائع الديانة اليهودية هناك.

ولأن المصادر قد فاضت بالحديث عن موضوع اليهود والقبائل اليهودية، فلا نرى داعيًا لإعادة تلك المعلومات بتفاصيلها، ولكن الأهم من ذلك أن علينا أن نناقش بعض الآراء التي يعتمدها ولفنسون والتي صارت مسلمات عند بعض الباحثين.

يذكر ولفنسون أنه "يجب ألا يغيب عن البال أن جهات يثرب ووادي القرى كانت غير آهلة بكثير من العرب، بل كانت جموع منهم تأتي إلى وديانها في أوقات معينة من السنة، كقوافل راحلة مع إبلها لتأكل من أعشابها ثم تنزح عنها إلى جهات أخرى"[3]. وهذا غير صحيح البتة بالنسبة ليثرب؛ لأنها كانت عامرة وبها شَعب كما يفهم من نصوص القرن السادس قبل الميلاد الخاصة بالملك البابلي نابونئيد الذي مكث في تيماء عشر سنين، وقاتل وأخضع جهات عديدة من بينها إياتريبو (يثرب) كما أشرنا سابقًا[4]، وكما يفهم من زواج أحد المعينيين من امرأة من يثرب وقد

(1) المفصل، 6/ 524-525.
(2) انظر مهران، ص 452.
(3) ولفنسون، إسرائل، ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهلية وصدر الإسلام، ترجمة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1345هـ-1927م، ص 11.
(4) Gadd,C.J, op.cit,PP.35-92



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

سبقت الإشارة إليه كذلك. والملاحظ أن ولفنسون في هذه النقطة سار على منهج المؤرخين اليهود الذين يعتبرون أن القدس كانت خالية من السكان وأن داود عليه السلام هو من نزلها وبناها. وغرضهم من ذلك كما هو معروف، إظهار حق وتخيل تاريخ مفترض.

كما يذكر ولفنسون أن عدد اليهود في يثرب كان "كبيرًا بحيث يمكن اعتبارهم أمة قائمة بذاتها يصيبها من ضرورات الاجتماع ما يصيب غيرها وما يحدث بينها وبين أية أمة أخرى وبين من يجاورها من الأمم، ومع هذا فإننا نجد المصادر الإسرائيلية خالية من ذكر شيء من تاريخ اليهود في ذلك الدور، وساكتة عن التحدث عنهم سكوتًا تامًا"[1].

ويعيد جواد علي عدم ذكر يهود الحجاز في أخبار المؤلفين العبرانيين، إلى أن نشاط تأليف العبرانيين اقتصر على الاهتمام بالمستوطنات اليهودية في العراق وفلسطين وطبريا، ولم يتحدث هؤلاء عن اليهود في بلاد العرب على الرغم من اتصال اليهود بفلسطين وذهاب التجار اليهود إليها[2].

وفي الواقع إن اعتراف ولفنسون بسكوت المصادر اليهودية نهائيًا عن أي تأريخ لليهود في بلاد العرب يؤكد ما ارتأيناه سابقًا أن اليهودية هي التي وصلت إلى بلاد العرب قبل اليهود، فتهودت قبائل عربية ثم هاجر إليهم اليهود للاحتماء من بطش الرومان. أما سكوت المصادر اليهودية عنهم، فذلك يعني أنهم لم يكونوا بالكثرة الكمية، بل كانوا -في البداية على الأقل- قلة حاذقة اشتغلت بالتجارة، والزراعة، والحرف، فصار لهم صول وقول. وما يدل على ذلك أن ولفنسون نفسه أورد عن اليعقوبي (ت بعد 292هـ) أنه ينكر وجود طوائف يهودية كثيرة أصيلة في الحجاز،

(1) ولفنسون، ص 11.
(2) المفصل، 6/ 516.

وأنه يعتقد أن أغلبها من العنصر العربي وأقلها من العنصر اليهودي[1].

والملاحظ أن ولفنسون قد اعتمد بعدًا تاريخيًا عميقًا متخيلًا لليهود أكثر منه واقعًا، وذلك من خلال إسقاط ثقافة يهودية طارئة على ذلك التاريخ المبكر المتخيل، تعتمد في الأساس على الأخلاق، والتقاليد، والأفكار؛ لنفي عربية بعض يهود يثرب، بل أصر على جعل آطامهم فكرة قدمت مع اليهود إلى يثرب، مع أن حصون العرب في جنوب الجزيرة العربية قديمة، وتعود إلى ما قبل الميلاد ومعروفة، وآثارها باقية حتى اليوم[2]، كما يصر ولفنسون على أن اندماج اليهود مع العرب قد أنهى صفاتهم المدنية التي لا تعرف القبلية، وفي الوقت نفسه يستشهد بقول السمهودي أن قبائل اليهود في بلاد العرب تنيف عن العشرين[3].

وخلاصة القول إن الديانة اليهودية وصلت يثرب قبل هجرة اليهود، وأن اليهود المهاجرين إلى يثرب لم يصلوها قبل القرن الأول أو الثاني الميلادي، وأنهم كقبائل مهاجرة لم يكونوا بالكثرة في بادئ الأمر، وإنما تكاثروا وقوي شأنهم بعد أمد طويل وبعد أن سيطروا على اقتصاد يثرب ومهنها.

كما نرى أن يثرب لم يكن فيها أي شكل من أشكال الدولة في ذلك الوقت، والدليل على ذلك أنهم انتشروا في بقاع عديدة، وقبلهم أهلها بكل هدوء، ولم يجدوا أي مقاومة رسمية، بل نجدهم يتخيرون أخصب البقاع وأفضلها.

(1) ولفنسون، ص 15.

(2) على سبيل المثال انظر، الأغبري، فهمي علي بن علي، التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد – كلية الآداب–قسم الآثار، بغداد، 1415ه/ 1994م.

(3) للتعرف على رأي ولفنسون بالتفصيل انظر كتابه، ص 15 – 16، وبخصوص عدد قبائل اليهود، انظر، خلاصة الوفاء، ص 157.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وفي هذا الصدد تذكر المصادر أن ثلاث قبائل يهودية رئيسة كبرى هي التي لعبت دورًا كبيرًا في يثرب، وهذه القبائل هي، بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة[1]. وقد عاش هؤلاء وغيرهم في أخصب بقاع يثرب وأغناها، فإلى شمال وادي مهزور أقام بنو قريظة، وعند منتهى جسر وادي بطحان مما يلي العالية أقام بنو قينقاع[2]، وفي وادي بطحان أقام بنو النضير، وهو وادٍ فيه مياه غزيرة وعيون، واتخذوا به الحدائق والآطام وأقاموا فيها[3]، وتوزع الباقي على مناطق العوالي، وقباء، وحرة واقم، والعريض، وبالقرب من أحد[4]. ولذلك فقد كان بنو النضير زرّاعًا، وبنو قينقاع صنّاعًا ولهم سوق خاصة في يثرب يعرف باسمهم، وقد اختص بنو قريظة بحفر الآبار وغرس الأشجار. وبذلك استطاع يهود يثرب السيطرة على الزراعة، والتجارة، والصناعة، وهو ما أعطاهم المكانة في يثرب[5].

ويبدو أن اليهود كانوا يعيشون في خوف دائم، ولذلك بنوا لأنفسهم الآطام (الحصون) والقرى المحصنة ليقيموا فيها ويتحصنوا بها في أوقات الحروب، وخوفًا من نهب أموالهم وحاصلاتهم الزراعية[6]. وفي هذا الصدد يذكر السمهودي أن عدد آطام اليهود في يثرب كانت تسعة وخمسين أطمًا[7].

(1) الشريف، ص 245.
(2) وفاء الوفاء، 1/ 130 – 131، الشريف، ص 246.
(3) خلاصة الوفاء، ص 157 – 159، ياقوت، 2/ 446، المفصل، 6/ 523.
(4) الشريف، ص 246.
(5) الوكيل، محمد السيد، يثرب قبل الإسلام، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط/ 2، 1409ه/ 1989. ص 47، وانظر تفصيلًا وافيًا لدور اليهود الاقتصادي في، شاهين، رياض مصطفى أحمد، "النشاط الاقتصادي لليهود بالحجاز في الجاهلية وفي عصر الرسول صلى الله عليه وسلم"، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد 12، العدد 2، غزة –فلسطين، 2004م. ص21–58.
(6) الشريف، ص 215.
(7) وفاء الوفاء، 1 132. وانظر تبعية تلك الآطام وأسماءها في المصدر نفسه ص130 – 132.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

لقد تكلم اليهود العربية، وبعضهم تكلمها برطانة عبرية بسبب استعمالها في صلواتهم ودراساتهم[1]. وفي ذلك يقول البلاذري: "كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلًا، وكان بعض اليهود قد عَلِم كتاب العربية وكانت تُعلّمه الصبيان في المدينة"[2].

ويتضح من آيات القرآن الكريم في وصف اليهود أن أخلاقهم تقوم على الأنانية، والجشع، والبخل، والدس، والنفاق، وإلقاء الشكوك في نفوس الآخرين قصد البلبلة والتحكم، وتبرير كل وسيلة للوصول إلى الغاية والمنفعة، واستحلال ما في أيدي الغير، وعد أنفسهم غير مسئولين عن الأمانة لهم والوفاء بعهدهم[3].

وقد كان لليهود رؤساء قبائل يحكمون بينهم ويقيمون حدودهم عليهم، حتى جاء النبي محمد ﷺ إلى يثرب فكانوا يحكمونه بينهم وفق شريعتهم[4].

أما عن نشاطهم الاقتصادي، فقد اعتمد اليهود على التجارة ومعاطاة الربا والزرع، وتربية الماشية والدجاج، كما اشتهروا بالاتجار بالبلح، والبر، والشعير، والخمر، واشتغل بنو قينقاع بالصياغة والحدادة، كما اشتغلت نساؤهم بالنسيج. والكثير من هذه الحرف كان العرب يأنفونها ويزدرونها ويمقتونها[5]. ويذكر أوليري أن العرب لم يسمحوا لليهود بالزراعة التي تستلزم التجاوز والتخطي على مراعيهم، ولذلك اتجهوا إلى الحدادة، والصياغة، وصنع الأسلحة، فقبل العرب بذلك[6].

(1) ولفنسون، ص 20.
(2) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، تحقيق، عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407ه/ 1987م، ص 663.
(3) الشريف، ص 252، المفصل، 6/ 43-35، وانظر الآيات في، سورة النساء 53-54، آل عمران 180-181 – البقرة 76، آل عمران 72، 99، 103، المائدة 41 – النساء 44-46، 50 – البقرة 100، آل عمران 75، 77.
(4) المفصل، 6/ 535.
(5) انظر، المفصل، 6/ 535 – 536.
(6) أوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة: موسى علي الغول، ط/ 1، عمان، 1990، ص 190.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مما تقدم يمكن الإجابة عن السؤال الكبير الذي طرحناه حول ما إذا كان في يثرب دولة عند قدوم اليهود إليها من عدمه، حيث يستنتج أن يثرب كانت تجمعات قبلية تعايشت واتفقت واختلفت دون رعاية رسمية يمكن أن تكون صورة للدولة، لا عند اليهود، ولا عند العرب، بل لا يوجد حتى ما يوحي بذلك أو يجعله محط احتمال.

## سابعًا-دور الأوس والخزرج في يثرب:

يروي الإخباريون أن القبائل العربية من الأوس والخزرج قد هاجرت من اليمن إلى يثرب على إثر حادث سيل العرم. وفي هذا الصدد يذكر اليعقوبي إن كاهنهم عمرو بن عامر تنبأ بانفجار السد فأمر قومه بالرحيل وسار متنقلًا إلى نجران ومكة وحاربه أهلُها، ثم توجهوا نحو يثرب فتخلف بها الأوس والخزرج أبناء حارثة بن عمرو بن عامر، ولحق بهم جماعة من الأزد غير ابني حارثة، فصار بعضهم حلفاء ودخل بعضهم معهم[1]، فوجدت هناك أن الأموال والآطام والنخيل في أيدي اليهود، فضلًا عن العدد والقوة، فأقام الأوس والخزرج مع اليهود، وعقدوا معهم حلفًا يأمن بعضهم إلى بعض، ويمتنعون به ممن سواهم[2].

وكما تقدم أن الإخباريين ذكروا أن هجرة الأوس والخزرج سببها تهدم سد مارب، ونظرًا لأن تهدمات السد المسجلة في النقوش ثلاثة بخلاف سيل العرم المذكور في القرآن، فكيف يمكن لنا أن نحدد تاريخ تلك الهجرة الكبيرة؟

يفهم مما ذكره الإخباريون أن تلك الهجرة حدثت إما في القرن الثالث الميلادي، أو أواخر القرن الرابع الميلادي، أو في القرن الخامس الميلادي[3].

(1) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، تحقيق، عبد الأمير مهنا، المجلد الأول، شريكة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/ 1، 1431/ 2010م. ص 250.

(2) ياقوت، 5/ 36، خلاصة الوفاء، ص 165، مهران، 455، المفصل، 4/ 129. وحول منازل الأوس والخزرج بيثرب انظر، خلاصة الوفاء، ص 165 – 177.

(3) انظر، مهران، ص 457، زيدان، ص 151.

وإذاما عدنا إلى النقوش سنجد أن هناك انفجارات ثلاثة مسجلة، وأنها حدثت قبل الانفجار الكبير المذكور في القرآن الكريم باسم "سيل العرم" المرجح حدوثه بعد منتصف القرن السادس الميلادي. والانفجارات الثلاثة المسجلة التي يمكن القياس عليها هي:

انفجار حدث في حوالي منتصف القرن الرابع الميلادي في عهد الملك "ثأران يهنعم بن ذمار علي يهبر"، وقد سجل في النقش المعروف باسم (جام 671 / 671 Ja) وذكر أنه تم إصلاحه في حوالي ثلاثة أشهر. أما الثاني فيعود إلى عهد الملك "شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد" وذلك بين عامي 449 و450 بعد الميلاد، وسجل ذلك في النقش المعروف باسم (المدونة 540 / 540 CIH)، وذكر أنه تم إصلاح ما تهدم من السد في حوالي خمسة أشهر من العمل المتواصل وأنه اشترك في بنائه عشرون ألفًا من السواعد اليمنية الفتية. أما الانفجار الثالث فحدث في عهد أبرهة الحبشي ويؤرخ بسنة 542 بعد الميلاد، وقد سجل في النقش المعروف باسم (المدونة 541 / 541 CIH) ويتحدث بالتفصيل عن ضخامة العمل والأموال الطائلة التي صرفت عليه، كما يرجح د. يوسف عبد الله، أن الانفجار الأخير الذي ذكر في القرآن الكريم قد حدث في منتصف القرن السادس الميلادي، أي بعد منتصف عام 550م[1]. قال تعالى في سورة سبأ: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾. أما جواد علي، فيرى أنه حدث سنة 575م[2].

(1) عبد الله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط/ 2، 1411/ 1990، ص 208.
(2) المفصل، ج 10، ص 210.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ولكن يبدو أن الآراء تتجه بتلك الهجرة إلى أواخر القرن الرابع الميلادي[1]، وإذا ما جعلنا ذلك فرضًا محتملًا، فإن تلك الهجرة سيكون حدوثها في منتصف القرن الرابع الميلادي وليس في أواخره، وذلك بناء على نقش (جام 671) المشار إليه آنفًا، وهو ما نرجحه.

على أي حال، حل الأوس والخزرج في يثرب وسرعان ما أصبحوا أعز أهلها، واتخذوا الديار والأموال والآطام[2]، إلا أنهم عند وصولهم لم يجدوا دولة هناك تتعامل معهم رغم كثرتهم وكتلتهم البشرية الكبيرة، ولا حتى التدخل لحل أو تهدئة الاضطرابات والصراعات التي تلت وصولهم إلى يثرب.

فعندما وصل الأوس والخزرج إلى يثرب كانت علاقتهم باليهود طيبة في بادئ الأمر، فاستقروا وأوجدوا لأنفسهم معاشًا وهيئوا لحياتهم سبل الاستقرار، لكن يبدو أن اليهود تنبهوا لهذا الأمر ونظروا إليه كخطر ينمو أمام أعينهم، فبدأوا بالقضاء على تحالفهم معهم، ثم ناوشوهم واعترضوا نمو قدراتهم، ولعل أصل الصراع هو المنافسة الاقتصادية التي رأى اليهود أن قوة العرب سببها تحولهم إلى مزارعين وتجار ينافسون اليهود[3].

وتذكر بعض الروايات أن الأوس والخزرج دخلوا في خلاف مع اليهود في مبدأ قدومهم إلى يثرب، فاستجابوا لهذا الوضع وقاتلوهم حتى تدخل أحبار من اليهود وأوقفوا الحرب، ولكنها تربط ذلك بتبّع، وتذكر قصة أخرى أنهم كذلك استنصروا ملك غسان فقُتِل الكثير بخديعة، فصار الأوس والخزرج أعز أهل المدينة[4].

(1) انظر، مهران، ص 475.
(2) ياقوت، 5/ 85 – 86.
(3) الشريف، ص 268 – 274.
(4) –انظر، خلاصة الوفاء، ص 168 – 175.

وتُرتبط قصة الاستنصار بالغساسنة في موضوع الصراع بين العرب واليهود بقصة أسطورية لشخص اسمه "الفيطون" الذي قُتل على يد مالك بن العجلان زعيم الخزرج، وما تلاه من قتل جماعي لليهود علي يد الغساسنة الذين استنصرهم العربُ، ومن خلال مكيدة مدبرة، وأن مقتل الفيطون قد تسبب بحرب عظيمة بين اليهود والعرب، وكان اليهود قد اجتمعوا من الحجاز وتيماء وفدك، فقاتل العربُ اليهودَ بدعم من الغساسنة وهزموهم[1].

لكن عددًا من المؤرخين شككوا بهذه القصة وبشخص الفيطون نفسه كملك؛ لأنه لم يكن لليهود ملك في يثرب، ولا في غيرها، بل ونفوا ما يخص الجانب الأخلاقي منها تحديدًا والمتعلق بضرورة أن يفض الفيطون بكارة العذراء قبل أن تدخل على زوجها؛ لأن شخصية العربي لا تقبل مضمونها ولا تتهاون فيها[2] حتى إن السمهودي نفسه قد أنكر حقيقة مضمون هذه القصة في العرب، ويذكر أنها كانت في غير الأوس والخزرج، وأن الفيطون أراد فعل ذلك بنساء الأوس والخزرج عندما نزلوا يثرب، سيرًا على عادته، فتسبب ذلك في مقتله[3].

وخلاصة القول في موضوع الصراع الوارد في هذه القصة، أن المعلومات المرتبطة به تحكمها الروايات الأسطورية المتداخلة بشكل يصعب معه التقاط

(1) السيد، ناصر، يهود يثرب وخيبر، الغزوات والصراع، المكتبة الثقافية، بيروت، ط/ 1، 1412 ه-1992م، 20 – 21.

(2) وفاء الوفاء، ص 132، 142 – 143، مهران، ص 467 –468، المفصل، 4/ 134، ويذكر جواد علي أن ابن دريد في الاشتقاق اعتبر اسم الفيطون اسمًا عبرانيًا، وأنه تملك في يثرب، المفصل، 4 / 134، وانظر كذلك ولفنسون، ص 56 – 57، والغريب أن ولفنسون في الوقت الذي ينكر هذه القصة تمامًا، إلا أنه يعدها مجرد تبرير من الإخباريين لغدر مالك بن العجلان لجيرانه اليهود، وهو بذلك لا ينكر الواقعة وإنما ينكر الجانب الأخلاقي فيها، انظر، ولفنسون ص 57.

(3) وفاء الوفاء، 1/ 143.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

سياق موضوعي متصل وواقعي، ولذلك يقر الباحث بعدم واقعيتها ويتفق في هذا الرأي مع من سبقوه.

وعلى الرغم من ذلك سنجد أنفسنا من جديد أمام شكل آخر من أشكال الصراع، ولكن ليس بين العرب واليهود، وإنما بين العرب أنفسهم وبتحريض يهودي معلوم، وقد حدث ذلك دون أن تذكر المصادر ملكًا يتدخل أو دولة تسعى لحفظ الاستقرار.

فقد بدأ النزاع بين الأوس والخزرج تنافسًا على السلطة وتنازعًا من أجل السيادة، وكانت بينهما حروب دامت مائة وعشرين عامًا، وبدأت هذه الحرب بحرب سُمير وانتهت بيوم بُعاث التي حدثت قبل الإسلام بخمس سنين، وكانت آخر المعارك بين الطرفين. فقد تمكن الأوس من السيطرة على المناطق الخصبة بنزولهم إلى جانب يهود بني النضير وبني قريظة على وادي مهزور ومذينيب، وهو ما جعلهم أحسن حالًا من الخزرج، ولذلك شعر الأوس بقوة مركزهم الاقتصادي ورأوا أن ذلك يعطيهم حق الزعامة، في حين كان الخزرج يشعرون بتفوقهم السياسي وبخاصة عندما تمكنوا بقيادة مالك بن العجلان من إخضاع اليهود للعرب يوم قتل مالكُ الفيطونَ كما تروي كتب الأخبار، فرأى الخزرج أن ذلك يعطيهم السيادة، وكان ذلك كافيًا لاندلاع الحرب الضروس بين الأوس والخزرج، هذه الحرب التي عمل اليهود على استمرارها، وخصوصًا عندما صار لهم الثقل واليد في يثرب بسبب ضعف العرب نتيجة الصراع فيما بينهم. وقد استخدم اليهود وسائل عدة لتأجيج الحرب وضمان استمرارها، كوقوفهم على الحياد ورفضهم قبول دعوات التحالف معهم كما فعل يهود بني قريظة عندما طلب منهم الأوس التحالف معهم ضد الخزرج، كما قاموا بتوسيع شقة الخلاف بين المتنازعين وتأجيج مشاعرهم[1].

(1) خلاصة الوفاء، ص 165 – 177، الوكيل، ص 138 – 144، 153 – 157.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومما ينبغي ذكرهُ أن أيام الحروب التي دارت بين الأوس والخزرج عديدة، وبعضها دارت على مراحل وفي أيام مختلفة، وهذه الحروب الرئيسة هي:

حرب سُمير وهي أولى الحروب بينهما ويرجح وقوعها سنة 504م، وحرب كعب بن عمرو، ويوم السَّراة، وحرب الحصين بن الأسلت، ويوم الربيع، وحرب فارع، وحرب حاطب، ويوم بُعاث، وهي آخر تلك الحروب ويرجح وقوعها سنة 617 م[1].

(1) حول تفاصيل هذه الأيام انظر، جاد المولى بك، محمد أحمد (وآخرون)/ أيام العرب في الجاهلية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 62 – 92، شمس الدين، إبراهيم، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1422ه – 2002م، ص59 – 134، الخطراوي، محمد العيد، المدينة في العصر الجاهلي، الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية، مؤسسة علوم القرآن، ط/ 1، دمشق، 1403ه – 1982، ص 154 – 186.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## نتائج البحث:

مما تقدم يمكن إجمال نتائج البحث بالآتي:

1- اسم يثرب وجد منذ بداية التأسيس على هذا النحو، ولا صحة لوجود أصل بابلي له، وإنما يوجد نطق بابلي للاسم العربي.

2- وجود شواهد على استيطان بشري مبكر في منطقة المدينة، يسبق نشأة مدينة يثرب ذاتها، ولكن يصعب تحديد تاريخ دقيق له حتى الآن.

3-نشأت يثرب مع نشأة الطريق التجاري القديم في الجزيرة العربية منذ حوالي الألف الثاني ق.م، كغيرها من مدن القوافل التي كانت الطريق التجارية سببًا في وجودها.

4- لم تتطور يثرب إلى دولة كباقي مدن القوافل، ولم تشر المصادر والنقوش إلى أي شكل من أشكال الدولة في يثرب.

6- لم نجد في المصادر ما يشير إلى ملك أو أمير ليثرب، باستثناء قصة "الأرقم" ملك العماليق الذي قتله اليهود، وقصة "الفيطون" ملك اليهود الذي قتله العرب، وهما قصتان أقرب إلى الأسطورة أكثر منها إلى الواقع؛ لأنه لو وجد ملوك لوجدت دولة يحكمها الطرف المنتصر أيًا كان.

7- دلت النقوش على وجود تواصل لجنوب الجزيرة العربية مع يثرب كمحطة تجارية، منذ القرن الرابع ق.م على الأقل، ومثال ذلك النقش الذي يتحدث عن زواج أحد المعينيين من امرأة من يثرب.

8- عندما ذكرت المصادر أن تبّعًا وصل إلى المدينة، لم تذكر أبدأ أنه تقاتل مع ملك أو احتل دولة، لكنها تتحدث عن قصته مع الأحبار اليهود الذين اعتنق ديانتهم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

## قائمة المصادر والمراجع:

### أولًا-المصادر والمراجع العربية والمعربة:


♦ أسكوبي، خالد محمد (وآخرون)، "المسوحات الأثرية في وادي العقيق جنوب المدينة المنورة، ١٤٢٢ ه"، مجلة اطلال، المجلد ١٩، الرياض، ١٤٢٧ ه. (ص ٩٥-١١٦)

♦ الأغبري، فهمي علي بن علي، التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد – كلية الآداب-قسم الآثار، بغداد، ١٤١٥ه/ ١٩٩٤م.

♦ الأنصاري، عبد الرحمن الطيب (وآخرون)، العلا ومدائن صالح (الحجر)، حضارة مدينتين، دار القوافل للنشر والتوزيع، ط/ ٢، الرياض، ١٤٢٥ ه – ٢٠٠٥م.

♦ الأنصاري، عبد القدوس، آثار المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط/ ٣، المدينة المنورة، ١٣٩٣ه – ١٩٧٣م.

♦ أوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة: موسى علي الغول، ط/ ١، عمان، وزارة الثقافة، ١٩٩٠.

♦ بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الجزء الأول، ط/ ١، المدينة المنورة، ١٣٩٢ه-١٩٧٢م.

♦ البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر البغدادي، فتوح البلدان، تحقيق، عبد الله أنيس الطباع، عمر انيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م.

♦ بطليموس كلاوديوس والجزيرة العربية، ترجمة: السيد جاد، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٣٩ ه – ٢٠١٧م.

♦ جاد المولى بك، محمد أحمد (وآخرون)، أيام العرب في الجاهلية، صيدا – بيروت، المكتبة العصرية، (د.ط)، (د.ت).

♦ الحمراوي، محمود الزراعي، "أتريبو (يثرب) الاسم القديم للمدينة"، تاريخ وحضارة المدينة المنورة عبر العصور، ج/ ١، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ١٤٣١ه-٢٠١٠م، ص ٢٥-٢٦. (ص١٣-٣٧).

♦ الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، المجلد الخامس، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧ه-١٩٧٧م.

♦ الخطراوي، محمد العيد، المدينة في العصر الجاهلي، الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ط/ ١، ١٤٠٣ه – ١٩٨٢.

♦ الذييب، سليمان بن عبد الرحمن، نقوش جبل أم جذايذ النبطية، دراسة تحليلية، ط١، الرياض ١٤٢٢/ ٢٠٠٢م.

♦ الذييب، سليمان بن عبد الرحمن، مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية، مج ٢، الرياض ١٤٣١ ه.

♦ الرويثي، محمد (وآخرون)،"الموارد المائية"، في، محمد أحمد الرويثي (وآخرون)، المدينة المنورة، البيئة والإنسان، المدينة المنورة، نادي المدينة المنورة، ١٩٩٨، ص ٧٠ (ص ٦٤ – ١٠٢)

♦ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٤، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مطبعة دولة الكويت، الكويت، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م. مادة "وثر" ص ٣٤٦-٣٤٩.

♦ السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم، "زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نصوص جديدة"، أدوماتو، العدد ٥، الرياض، ١٤٢٢ه-٢٠٠٢م. (ص ٥٢ – ٧٣)

♦ السعيد، فايز السعيد، حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، بحوث تاريخية محكمة، تصدرها الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثامن، الرياض، ١٤٢١ ه – ٢٠٠٠م.

♦ -السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد، خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٣٩٢ه-١٩٧٢م.

♦ السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، اعتنى به ووضع حواشيه، خالد عبد الغني محفوظ، المجلد الأول، الجزء الأول، بيروت، دار الكتب

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

العلمية، ط/ ١، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.

♦ السناني، رحمة بنت عواد: "دراسة وصفية تحليلية لمجموعة من الرسوم الصخرية في منطقة المدينة المنورة"، دراسات في علم الآثار والتراث، العدد ٤، مجلة تصدرها الجمعية السعودية للدراسات الثرية، بالرياض، محرم ١٤٣٤ه/ ديسمبر ٢٠١٣م. (ص ١٧ – ٧٢).

♦ السيد، ناصر، يهود يثرب وخيبر، الغزوات والصراع، بيروت، المكتبة الثقافية، ط/ ١، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م.

♦ شاهين، رياض مصطفى أحمد، "النشاط الاقتصادي لليهود بالحجاز في الجاهلية وفي عصر الرسول صلى الله عليه وسلم"، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد ١٢، العدد ٢، غزة –فلسطين، ٢٠٠٤م. (ص ٢١-٥٨)

♦ الشريف، أحمد أبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، القاهرة، دار الفكر العربي، ط/ ١، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.

♦ الشريف، عبد الرحمن، "التضاريس"، في، محمد أحمد الرويثي (وآخرون)، المدينة المنورة، البيئة والإنسان، المدينة المنورة، نادي المدينة المنورة، ١٩٩٨، ص ٣٢. (ص ٣١ – ٤٨)

♦ شمس الدين، إبراهيم، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، بيروت، دار الكتب العلمية، ط/ ١، ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م.

♦ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، دار المعارف بمصر، (د.ت).

♦ طيران، سالم: "نقشا مأسل الجمح"، ماسل، تصدر عن قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م.

♦ ظاظا، حسن، "المجتمع العربي القديم من خلال اللغة"، بحث نشر في كتاب، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج ٢، مج ٢: الجزيرة العربية قبل الإسلام، أعمال الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (١٣٩٧ه/ ١٩٧٩م). مطبعة جامعة الملك سعود،



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الرياض ١٩٨٤. (ص ١٧٧ – ١٨٦).

♦ عبد الله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط/ ٢، ١٤١١/ ١٩٩٠.

♦ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ط/ ٢، بغداد، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

♦ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ط/ ٢، بغداد، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

♦ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ط/ ٢، بغداد، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

♦ عوض الله، أحمد أبو الفضل، مكة في عصر ما قبل الإسلام، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ط/ ٢، ١٩٨٠.

♦ أبو الغيث، عبد الله، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس للميلاد، ج/ ٢، صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة صنعاء، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م.

♦ المخلافي، عارف أحمد إسماعيل، العراق وبلاد الشام، صنعاء، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، ط/ ١، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م.

♦ المخلافي، عارف أحمد إسماعيل، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية، منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف الأول قبل الميلاد، صنعاء، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط/ ١، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨م.

♦ مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

♦ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: محمد شحاتة إبراهيم، المجلد الأول، ج/ ١، القاهرة، ١٩٩٠.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

♦ الوكيل، محمد السيد، يثرب قبل الإسلام، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط/ ٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩.

♦ ولفنسون إسرائل، تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهلية وصدر الإسلام، ترجمة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مطبعة الاعتماد، ١٣٤٥هـ -١٩٢٧م.

♦ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، تحقيق، عبد الأمير مهنا، المجلد الأول، بيروت، شريكة الأعلمي لمطبوعات، ط/ ١، ١٤٣١/ ٢٠١٠م.

## ثانيًا-المراجع غير العربية:

- Bron, F. Inventaire Des Inscriptions SudarabiQues. Tome 3, MAᶜĪN, Fascicule A: Les Documents.Diffusiom De Boccard. Paris, 1988.
- Corpus Inscriptionum Semiticarum. Pars Quarta, Inscriptions Himyariticas et Sabaeas Continens. Toms , III, Parisiss, 1929. (CIH)
- Ephal, I,The Ancient,Arabs,1984
- Gadd,C.J,"The Harran Inscriptions of Nabonidus",Anatolian studies,London.1958.
- Jamme,A., Sabaean Inscriptions From Mahram Bilqis (Marib), Publication of The American Foundation For The Study of Man. Baltimote, 1962. (Ja)
- Lukenbill.D.D, Ancient Records of Assyria and Babylonia, (ARAB). Vol.2.Chicago. 1927.
- Oppenheim.A,L, "Babylonion and Assyrian Historical Texts", In, Prichard, Ancient Near Eastern Texts Relating to The Old Testament, New Jersey, 1969.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

- Ryckmans, G. Inscription Sud-arabes, Dixie'me Se'rie, xxxxiv. Inscriptions relevees en Arabie Sa,udite Le Museon, 66 ,1953. PP. 267-317.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

# التأثيرات السياسية والفكرية لقبائل البربر الخارجية في المغرب على بلاد الأندلس عقب الفتح الإسلامي

د. سعيد ناجي غالب قائد اسكندر[1]

## ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز التأثيرات السياسية والفكرية لقبائل البربر الخارجية في المغرب على بلاد الأندلس، بدأ من إسهام تلك القبائل في الفتح الإسلامي للأندلس، وما تبع مرحلة الفتح من تحولات سياسية وفكرية بين زعماء القبائل البربرية في المغرب نتج عنه ثورات أسقطت نظام الحكم الأموي في أجزاء من بلاد المغرب منذ سنة 122هـ/ 739م، لينتقل أثر تك التحولات السياسية والفكرية إلى بلاد الأندلس؛ والتي ترجمت عمليًا عبر ثورة بربرية خارجية ضد ولاة الأمويين وحكامهم في معظم مدن الأندلس سنة 124هـ/ 742م.

وقد استند البحث في بنائه بشكل رئيسي على المظان العربية وأمهات الكتب، فضلا عن عددٍ من الدراسات الحديثة والدوريات العلمية، معتمدًا المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج المقارن، سواء في تحليل الروايات وتفسيرها أو في استنطاق النصوص التاريخية ونقدها.

(1) أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك بكلية الآداب، جامعة تعز- اليمن.

**Abstract**

Political and Intellectual Influences of Berber Kharijites Tribes in Morocco on Andalusia After the Islamic Conquests.

This study aims at highlighting the political and intellectual impact of Berber Kharijites tribes of Morocco on Andalusia. It began with their active contribution to the Islamic conquests of Andalusia and was followed by political and intellectual changes among the Berber tribal leaders in Morocco resulting in revolutions that overthrew the Umayyad regime in some parts of Morocco since 122H/ 739AD. The echoes of those political and intellectual changes reached Andalusia and was practically translated through the Berber revolution that broke out against the Umayyad rulers in most of the Andalusia cities in 124 H/ 742AD.

The study is based on the classical sources of history, several recent studies and academic journals. It follows the historical descriptive method and the comparative approach in the analysis and interpretation 0f the narrations or in exploiting historical texts and criticizing them.

**مقدمة:**

ارتبطت بلاد المغرب بشبه الجزيرة الإيبيرية -الأندلس- بعد الفتح الاسلامي ارتباطًا وثيقًا عبر مراحل التاريخ المختلفة، بحكم التواصل المشترك بين المنطقتين الذي فرضه التقارب الجغرافي بينهما؛ ونتج عنه تأثر وتأثير متبادل بين البلدين.

ومنذ ظهور الإسلام في الجزيرة العربية في بداية القرن السابع الميلادي كانت تلك المنطقة الجغرافية (المغرب وشبه الجزيرة الإيبيرية) تُحكم من طرف



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

الرومان وقبلهم القوط والوندال[1]، وعندما فتح العرب المسلمون مصر بدأوا يرنون بأنظارهم تجاه بلاد المغرب التي استمر فتحها مدة طويلة مقارنة بغيرها من الأمصار، وما أن استكمل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حتى انساح الفاتحون تجاه بلاد الأندلس، وكان ذلك الانسياح طبيعيا بحكم الارتباط العضوي بين المنطقتين.

وقد رافق انتشار الإسلام في بلاد المغرب تحولات سياسية وفكرية كبيرة لا سيما بعد انتشار التيارات والمذاهب المختلفة التي كانت قد ظهرت في المشرق منذ أيام الفتنة التي بدأت بمقتل الخليفة عثمان سنة 35هـ/ 655م، وما لحقه من صراع واختلاف بين المسلمين في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب توفي سنة 40هـ/ 660م، ومن ثم قيام الدولة الأموية سنة 41هـ/ 661م، التي واجهت حركة معارضة من مخالفيها وقامت ضدها ثورات متعددة، واعتنق خصومها مذاهب إسلامية معارضة لحكمها، وفي مقدمتها مذهب الخوارج، ونتيجة للقمع الشديد الذي كانت تواجه به جماعات الخوارج لقربها من مركز الخلافة، لجأوا الذهاب إلى الأطراف البعيدة، ووجدوا في الفتوحات التي تبنتها الدولة الأموية بغيتهم، حيث تسرب عبر مراحل الفتوحات جموع منهم، واستقروا في الأمصار المفتوحة ومنها

(1) للمزيد عن هذا الموضوع يمكن العودة لبعض المصادر العربية والدراسات الحديثة، منها: ابن الأثير (عزالدين أبي الحسن علي بن محمد عبد الواحد الشيباني): **الكامل في التاريخ**، الجزء الثاني، تحقيق مكتبة التراث، بيروت، 1994م، ص237؛ ابن عذاري (أبي العباس أحمد المراكشي): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، تحقيق ومراجعة، أ.س كولان، أليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م، ص16؛ السيد عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص133؛ محمد عبدالله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** الجزء الأول، إصدار مكتبة الأسرة، طباعة مكتبة الخانجي بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003م، ص 16-18؛ محمد عيسى الحريري: **مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي**، دار المعارف، الكويت، 1983م، ص18.

بلاد المغرب التي وصل إليها دعاة المذهب الخارجي بشقيه الصفري والإباضي؛ واستقروا فيها ونشروا مذهبهم بين قبائلها كما توضح ذلك المصادر الإسلامية [1].

ولأهمية الفتوحات الإسلامية وما أحدثته من تغيير جذري في الجانب السياسي والفكري للسكان في بلاد المغرب، فلا شك أن ذلك التحول سيكون له تأثيره على الضفة الشمالية من البحر المتوسط بحكم التقارب الجغرافي والعلاقات التاريخية التي ربطت بلاد المغرب بشبه الجزيرة الإيبيرية "بلاد الأندلس"، ويبقى السؤال المطروح هو: إلى أي حد يمكننا الحديث عن تأثيرات سياسية وفكرية لقبائل البربر المغربية على بلاد الأندلس خلال تلك الحقبة التاريخية التي أعقبت الفتح الإسلامي للمنطقة؟ وللإجابة على تلك التساؤلات سنحاول مقاربة الموضوع عبر مبحثين رئيسيين:

**المبحث الأول -بلاد المغرب والفتح الإسلامي لبلاد الأندلس**

أولًا-وضع بلاد المغرب عشية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

ثانيًا-إسهام قبائل البربر في فتح بلاد الأندلس

**المبحث الثاني-التحولات السياسية والفكرية لقبائل البربر وتأثيرها على الأندلس**

أولًا-التحولات السياسية والفكرية لقادة البربر الفاتحين للأندلس

ثانيًا-ثورة قبائل البربر في بلاد المغرب وتأثيرها على الوضع العام في الأندلس

(1) ابن حوقل، (أبو القاسم ابن حوقل النصيبي): **صورة الأرض**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص93، أبي زكرياء، ( يحيى ابن أبي بكر): **سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا**، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1982م، ص41، وانظر كذلك الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد): **طبقات المشايخ بالمغرب**، الجزء الأول، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسطنطينية، الجزائر، 1974م، ص11.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ثالثًا-مظاهر تأثر الأندلس بالتحولات السياسية والفكرية لقبائل بلاد المغرب

1- اندلاع ثورة بربر الأندلس بزعامة ابن هدين سنة 124هـ/ 741م ومآلاتها

2- ملامح تأثر ثورة البربر في الأندلس الفكري بقبائل بلاد المغرب.

## المبحث الأول

## بلاد المغرب والفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

سيعالج هذا المبحث وضع بلاد المغرب عشية الفتح الإسلامي للأندلس؛ ومن ثم إسهام البربر وجهودهم في فتح تلك المنطقة، وأثر تلك الجهود على بلاد الأندلس في مرحلة ما بعد الفتوحات، أو ما عرف لدى المؤرخين بعصر الولاة.

### أولًا-وضع بلاد المغرب عشية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس:

قبل الحديث عن وضع بلاد المغرب عشية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس؛ نود الإشارة إلى أن بلاد المغرب كانت على ارتباط وثيق بشبه الجزيرة الإيبيرية -الأندلس فيما بعد- منذ فترات مبكرة في التاريخ بحكم التقارب الجغرافي، وظلت الهجرات المتبادلة بين شمال وجنوب البحر المتوسط سمة بارزة ودائمة عبر تاريخ المنطقة، وهذا ما جعل سمات كثيرة تجمع سكان الضفتين، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى إصدار نظريات حضارية تربط هذه الضفة بتلك[1].

وعندما انطلقت حملات الفتح العربي الاسلامي لبلاد المغرب- منذ عشرينات القرن الهجري الأول/ السابع الميلادي- كانت حركة العبور والتواصل مستمرة بين شمال أفريقية وبين الضفة الأخرى من الجزيرة الإيبيرية[2]، والمتتبع للمصادر

(1) محمد حقي: **البربر في الأندلس**، دار المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001م، ص31.

(2) نستشف مظاهر من الارتباط بين بلاد المغرب، والضفة الأخرى" الجزيرة الإيبيرية وجزر المتوسط "من اشارة أوردها ابن عذاري أن الكاهنة البربرية كانت متزوجه من رجل يوناني وكان لها ولد منه. انظر ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص37.

العربية التي دونت حركة الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب يلحظ حدوث موجات من النزوح والهجرة من بلاد المغرب نحو شبه الجزيرة الإيبيرية وجزر البحر المتوسط، فحملات الفتح التي قادها حسان بن النعمان الغساني ( 71 – 85هـ/ 690 –703م) وصراعه مع البيزنطيين في بلاد المغرب وما نتج عنها من تدمير لبعض المدن كمدينة قرطاجة مركز البيزنطيين[1] أدت إلى هجرة جموع من قاطني تلك المدن إلى صقلية وشبه الجزيرة الإيبيرية، والأمر ذاته تكرر في جولات الحرب التي خاضها حسان بن النعمان مع زعيمة قبائل جراوة البترية البربرية المعروفة بالكاهنة، فقد أدت تلك المواجهات إلى نزوح الكثير من ساكنة المنطقة، إذ تذكر المصادر[2] أن الكاهنة البربرية لجأت في إحدى جولات ذلك الصراع إلى تدمير المدن والحصون وإحراق المزارع؛ اعتقادا منها أن الفاتحين العرب كان هدفهم البحث عن الأموال والغنائم فحسب[3]، وهذا التدمير المتعمد للمدن والحصون أضر بكثير من سكان بلاد المغرب من النصارى والأفارقة والبربر وغيرهم فأجبروا على المغادرة والعبور إلى الأندلس وجزر البحر المتوسط[4].

وتجدر الإشارة إلى أن سياسة تدمير الأرض والممتلكات التي انتهجتها زعيمة قبائل جراوة البربرية قد شكلت منعطفا مهما في حركة الفتح الاسلامي وعلى

(1) البكري (أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز): **المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب**، باريس، 1965م، ص37، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص 35.

(2) الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم): **تاريخ أفريقية والمغرب**، تحقيق عبد الله علي الزيدان، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، ص30–34، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص36، ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد): **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، الجزء السادس، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص109.

(3) ابن عذاري، **البيان المغرب، البيان المغرب**، ج1، ص 36، 37.

(4) ابن عذاري، **البيان المغرب، البيان المغرب**، ج1، ص 36، 37.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

وضع بلاد المغرب عموما؛ فمن ناحية أنها شكلت ضربة قاصمة للكاهنة إذ تفرق مناصروها من البربر، وهو ما سهل على حسان بن النعمان وجيشه المهمة في مواجهتها والقضاء عليها[1]، ومن ناحية أخرى استغل حسان سخط السكان البربر من الكاهنة وما قامت به من تدمير واحراق للمزارع والحصون والمدن؛ فعمل على تقريب البربر ودمجهم مع العرب وإعطائهم مراكز قيادية في الجيش[2]؛ ولذا لم تمر سوى فترة قليلة حتى انتشر الإسلام بين أوساط قبائل البربر بيسر وسهولة، كما قام حسان بتجنيد اثني عشر ألفًا من البربر جعل بعضًا منهم على قيادة الجيش، منهم ابنا الكاهنة نفسها بعد القضاء عليها، وفرض للبربر عطاء أسوة بإخوانهم العرب ليسهموا جميعا في استكمال فتح ما تبقى من بلاد المغرب[3].

وكان للسياسة الحكيمة التي انتهجها حسان بن النعمان أثرها الإيجابي على المستوى الاستراتيجي لحركة الفتوحات في بلاد المغرب والتي ساعدت على انضواء كثير من قبائل البربر في الإسلام لاحقا؛ فالمتتبع للمحطة الأخيرة من فتوحات العرب لبلاد المغرب التي قادها موسى بن نصير( من سنة 86 -96هـ/ 704-714م ) والتي وصلت منطقة طنجة والسوس الأدنى في المغرب الأقصى[4]، كان

(1) الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، ص33، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص38.

(2) من الشخصيات البربرية التي منحها حسان بن النعمان الغساني منصبا قياديا في الجيش هو هلال بن ثروان اللواتي. انظر ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله): **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1995م، ص228.

(3) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص38، عبد الواحد دنون طه: **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي**، دار المد الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص51-52.

(4) الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، ص39.

لها نتائج إيجابية؛ من أبرزها دخول قبائل برغواطة وتامسنا في الإسلام[1]، ومن ثم تولية القائد البربري طارق بن زياد النفزي أميرا على تلك المنطقة[2]؛ ولا شك أن تعيين قائدٍ بربري على هذه المنطقة الواسعة من المغرب الأقصى لمؤشرٍ كافٍ على الدور البارز للبربر ومشاركتهم الفاعلة مع إخوانهم العرب في تلك الفتوحات.

وعموما فإن إسهام البربر في الفتوحات لم يتوقف عند حدود المغرب الأقصى، إذ لم يمض وقت طويل على إسلام قبائل البربر في المغرب الأقصى؛ حتى أصبحت من العناصر الرئيسية المشاركة في الفتوحات الإسلامية للضفة الأخرى[3] - بلاد الأندلس-.

إذن يتضح مما سبق أن بلاد المغرب عشية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس كانت قد انضوت تحت راية الإسلام، وأن عماد سكانها وهم البربر كانوا قد انخرطوا إلى جانب إخوانهم العرب وأسهموا في فتوحات نواحي مهمة من بلاد المغرب وخاصة في المغرب الأقصى، ونتيجة لمشاركتهم الفاعلة في تلك الفتوحات فقد تم مكافأتهم عام 88هـ/ 706م بتولية أحد قادة البربر وهو طارق بن زياد النفزي ليكون أميرا على المنطقة الممتدة من تلمسان شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا،

(1) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص42. كان موسى بن نصير قد كلف مجموعة من الفقهاء العرب الفاتحين تعليم تلك القبائل البربرية القران والفقه وشرائع الدين الإسلامي الجديد. راجع الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، ص40، ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص110.

(2) الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، ص39، الثعالبي ( عبدالعزيز): **تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، جمع وتحقيق د. أحمد بن ميلاد، محمد ادريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، ص93.

(3) M.Lomard, L'Islam dans sa première grandeur, Flammarion, Paris,1971.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والسوس الأقصى جنوبا[1]، متخذا من مدينة طنجة مركزا لحكمه[2]، ليجتاز بعد ذلك بفترة قصيرة ومعه جموع القبائل البربرية المسلمة الضفة الأخرى من البحر المتوسط ويكون لهم قصب السبق في فتح شبه الجزيرة الإيبيرية- الأندلس- عام 91هـ/ 710م، وجعلها جزءًا من دولة الإسلام.

## ثانيًا- إسهام قبائل البربر في فتح الأندلس:

استغرقت مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب فترة طويلة[3]، إذا ما قيست بالفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، ولذا فما أن تمكن العرب ومعهم البربر الذين أسلموا من استكمال فتح ما تبقى من بلاد المغرب في عهد الفاتح اليمني موسى بن نصير اللخمي أواخر العقد الثامن من القرن الهجري الأول/ السابع الميلادي، حتى بدأوا في التخطيط والاستعداد لفتح بلاد الأندلس.

(1) كانت ولاية طنجة خلال حكم طارق بن زياد لها قد توسعت فشملت المغرب الأقصى كله إلى ما وراء السوس الأقصى جنوبا، وامتدت شرقا إلى تلمسان، وهو ما تؤيده بعض الإشارات المصدرية التي تتحدث عن تحركات طارق وتنقلاته في أثناء ولايته على طنجة، بين أضلاع هذا المثلث "طنجة، سجلماسة، تلمسان. للمزيد حول هذا الموضوع انظر ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ص233، ابن عذاري (أبو العباس أحمد المراكشي): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الثاني، [تحقيق ومراجعة، أ.س كولان، أليفي بروفنسال]، الدار العربية للكتاب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م، ص5، النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الجزء الرابع والعشرون، تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهوائي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1983م، ص40.

(2) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ص233.

(3) كانت البدايات الأولى للفتوحات في بلاد المغرب قد بدأت في العهد الراشدي وتحديدا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ولم تنته إلا في منتصف خلافة بني أمية وتحديدا في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك.

وينبغي التنويه إلى أننا لن نتحدث عن تفاصيل الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، ومحطاته والمدن التي فتحت، فذلك الموضوع قد أشبع دراسة وبحثا[1]، وإنما سنحاول التركيز على إبراز العناصر البربرية الفاتحة لبلاد الأندلس، وتأثير تلك العناصر على مجريات الأحداث اللاحقة التي مرت بها بلاد المغرب، وما ترتب على ذلك من انتشار أفكار الخوارج وانتقالها إلى بلاد الأندلس، بعد انتهاء مرحلة الفتوحات.

كان من الطبيعي بعد استكمال العرب لفتح بلاد المغرب ودخول البربر في الإسلام وإشراكهم قيادات منهم في إدارة البلاد بعد فتحها[2]، أن يكون للبربر زمام المبادرة في الفتوحات القادمة ومنها فتح الضفة الأخرى من بلادهم بحكم احتكاكهم التاريخي بها ومعرفتهم الدقيقة بأحوالها وتضاريسها، وإذا كان العرب وقادتهم وولاتهم قد تعودوا أن يكونوا هم رواد الفتوحات في الأمصار المختلفة، فإن الأمر بالنسبة لفتح بلاد الأندلس قد تغير، حيث حلت عناصر أخرى ودماء جديدة هي من أنيط بها اختراق هذه الجبهة وفتحها، إذ تؤكد المصادر والروايات

(1) لمن أراد الاطلاع حول الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس فهناك مجموعة من الدراسات والأبحاث التي تناولت هذا الموضوع ومن أبرزها كتاب، لـ حسين مؤنس بعنوان: **فجر الأندلس "دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح حتى قيام الدولة الأموية"**، الشركة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1959م، ودراسة لـ محمد عبدالله عنان بعنوان: **دولة الإسلام في الأندلس**، ج1، مكتبة الأسرة، 2003م، ودراسة لـ عبدالرحمن علي الحجي بعنوان: **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، 1997م، ودراسة لـ السيد عبدالعزيز سالم بعنوان: **تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دار النهضة، بيروت، 1981م، ودراسة لـ ابراهيم بيضون بعنوان: **الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة**، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1986م.

(2) الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، ص39، عبدالعزيز الثعالبي، **تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، ص93.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

التاريخية[1] أن العنصر البربري هو من حاز قصب السبق في فتح بلاد الأندلس كمًا وكيفًا، وهو ما عبر عنه ابن عذاري صراحة بالقول" وقد اتفق الجميع فيما يظهر على أن متولي كبر فتح الأندلس وجله ومعظمه طارق بن زياد"[2]، وكان دور العرب في هذا الفتح ثانويًا ومكملًا [3]، وقد علق السيد عبد العزيز سالم على فتح الأندلس قائلا: "وهذه هي المرة الأولى من تاريخ الفتوحات العربية يتولى فيها جيش بأكمله من المغلوبين فتح قطر من الأقطار الكبرى كالأندلس"[4].

وليس أدل على حيازة قصب السبق للبربر وقبائلهم في فتوحات الأندلس من أن قائد أول سرية استكشافية وطِئتْ تلك البلاد كان من أبناء قبيلة تامسنا؛ وهو طريف البرغواطي الذي نسبت إليه جزيرة طريف فيما بعد[5]، ولا غرو اذا ما علمنا أن

(1) **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،ج2، ص5، المقري ( أحمد بن محمد التلمساني): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، الجزء الأول، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م، ص220-222.

(2) **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،ج2، ص5.

(3) كان جل الجيش الفاتح لبلاد الأندلس من البربر وبقيادة بربرية، وكان عدد العرب قلة في هذا الفتح. انظر ابراهيم بيضون، **الدولة العربية في إسبانيا**، ص 74.

(4) انظر **المغرب الكبير**، ص271.

(5) اختلف المؤرخون في أصل طريف الذي نسبت اليه جزيرة طريف فمنهم من قال إنه من أصل بربري يهودي كالبكري وابن عذاري، والبعض يرى أنه عربي كابن خلدون في إحدى رواياته والمقري، ونحن نميل إلى الرأي الذي يقول أن طريف من أصل بربري، لكنه أسلم ولعب دورا مهما في الفتوحات الإسلامية – أيام موسى بن نصير- في بلاد الأندلس، خاصة إذا ما علمنا أن فكرة فتح الأندلس كانت بربرية، والغالبية العظمى من الجيش كان بربريا، وهو ما يؤكد أن طريفا الذي نسبت اليه جزيرة طريف وقرنت باسمه بربري الأصل. انظر البكري، **المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب**، ص135، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص223-224، ابن خلدون ( عبدالرحمن بن محمد): **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، الجزء الرابع، بيروت، بدون تاريخ طبع، ص150، المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص222-223، وللمزيد من الإطلاع على تلك الاختلافات

منطقة تامسنا – موطن هذه القبيلة– كانت قد اتصلت بالإسلام منذ حملات الفتح العربي الأولى أيام الفاتح عقبة نافع الفهري في ولايته الثانية (من 62–64هـ/ 681 – 683م) التي توغل فيها في بلاد المغرب حتى وصل السوس الأقصى[1]، وتقول الروايات إن أكثر أهلها كانوا قد "أسلموا طوعا على يديه"[2]، وأن عقبة بن نافع ترك مجموعة من أصحابه من حفظة القرآن والحديث ليعلموا الناس قواعد الإسلام[3]، ورغم ما حصل من صراع لاحقا بين عقبة بن نافع وزعيم البربر كسيلة والذي أسفر عن استشهاد عقبة[4]، وما كان له من نتائج سلبية أدت إلى معارضة جموع من السكان للدين الإسلامي لاحقا كما يذكر أحد الباحثين[5]، فإن الذي لا شك فيه أن قبائل منطقة تامسنا وعلى رأسها قبيلة طريف – برغواطة– قد اعتنقت الإسلام على يد الفاتح موسى بن نصير اللخمي لاحقًا، وحسن إسلامها [6]، وكانت من

= في الرؤى يمكن الرجوع إلى أحمد الطاهري: **المغرب الأقصى ومملكة بني طريف خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2005م، ص156– 160.

(1) الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، ص15، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص26.

(2) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص42.

(3) أحمد الطاهري، **المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البرغواطية**، ص61.

(4) ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب**، ص233.

(5) يرجح الأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش أن هناك أصواتا معارضة قد ظهرت وأن سكان المنطقة أعادوا تنظيم صفوفهم – بعد مغادرة عقبة بن نافع المنطقة ودخوله في صراع مع كسيلة أدى إلى مقتله– تحت قيادة أمير بربري منهم يدعى "مزدانة" وهو ما جعل المنطقة هدفا لحملات موسى بن نصير فيما بعد. انظر ابراهيم القادري بوتشيش، **علاقة الخلافة الإسلامية بمنطقة سوس إبان عصر الخلافة**، مقال ضمن أعمال ندوة مدينة أكادير الكبرى، قراءة وملاحظات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر– أكادير– الطبعة الأولى، 1990م، ص54.

(6) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص42. وتؤكد المصادر في هذا الصدد أن موسى بن نصير قد كلف مجموعة من الفقهاء العرب الفاتحين تعليم تلك القبائل البربرية القران



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أولى قبائل البربر التي حملت على عاتقها نشر الاسلام في الأندلس؛ بزعامة قائدها طريف البرغواطي.

ومن الزعامات البربرية التي اشتركت مع طارق بن زياد في فتوحات الأندلس "واسول بن مصلان بن أبي نزول" الذي ينتمي إلى قبيلة مكناسة إحدى قبائل البربر البتر الزناتية [1]، والراجح أن أسرة "واسول" كانت قد اعتنقت الإسلام في سنوات الفتح الأخيرة لبلاد المغرب، الأمر الذي جعلها تحمل على عاتقها- كغيرها من الأسر البربرية التي اعتنقت الإسلام مسؤولية فتح الضفة الأخرى (بلاد الأندلس).

يذكر ابن الخطيب في هذا الشأن أن "واسول بن مصلان بن أبي نزول" كان ضمن قوام الجيش الذي دخل الأندلس مع طارق بن زياد[2]، وإذا كانت المصادر قد سكتت تماما ولم تسعفنا بأية إشارة أخرى حول مصير واسول بن مصلان بعد مشاركته في حملة طارق بن زياد في فتح الأندلس، فإنها أي المصادر- قد أشارت إلى أبنائه وأحفاده الذين برز نجمهم في مرحلة ما بعد الفتوحات وأصبح لهم شأن كبير في المجالين العلمي والسياسي المعارض لحكم بني أمية وولاتهم على بلاد المغرب ولسلطان الخلافة العباسية التي ورثت الخلافة الأموية وقامت على أنقاضها بعد سقوطها سنة 132هـ/ 749م، فالقلقشندى[3] يورد اسم "سمكو" ابن

= والفقه وشرائع الدين الإسلامي الجديد. راجع الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، ص40، ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص110.

(1) ابن خلدون، **العبر**،ج6، ص 130، حسن حافظي علوي: **معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا، 1992م، الجزء الخامس، **مادة بني واسول**، ص1583.

(2) ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب السلماني): **أعمال الأعلام فيمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام**، الجزء الثالث، تحقيق احمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص141.

(3) (أحمد بن علي): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، الجزء الخامس، تعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، ص160.

واسول بأنه أصبح من رجالات العلم وأهله، الذين ارتحلوا إلى المدينة المنورة، وأخذوا عن كبار علمائها، ويؤكد ابن خلدون[1] أن حفيد واسول "أبو القاسم بن سمكو"، كان ممن نهل من العلوم والمعارف المختلفه، وكلل جهوده العلمية بزيارة إلى المشرق الإسلامي، وأخذ العلم عن كبار التابعين ومنهم عكرمة مولى عبدالله بن عباس، وترقى في المجال السياسي لاحقا ليصبح الرجل الثاني في دولة بني مدرار الخارجية الصفرية التي اتخذت من سجلماسة عاصمة لها سنة 140هـ/ 757م[2]، وهو ما سنبسط له القول لاحقا.

وتورد إحدى الروايات [3] اسم "كثير بن وسلاس المصمودي"- كأحد رجال البربر الذين شاركوا في فتح الأندلس مقتفيًا أثر أسرته وفي مقدمتهم أبيه وابن عمه نصر اللذان كانا ضمن طليعة جيش طارق بن زياد، وهو ما يعطي إشارة إلى نيل قبيلة مصمودة البربرية شرف الإسهام في الفتوحات الإسلامية ونشر الدين الإسلامي في الأندلس كغيرها من قبائل البربر، ومن أحفاد هذه الأسرة يحيي بن يحيي الليثي الذي تعيد بعض الروايات إليه الفضل في نشر مذهب الإمام مالك في الأندلس[4].

والأمر ذاته ينطبق على ميسرة المطغري وقبيلته مطغرة التي كان لها إسهامها الواضح في تلك الفتوحات[5].

(1) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص130.

(2) البكري، **المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب**، ص140.

(3) القاضي عياض (عياض بن موسى بن عياض السبتي ): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك**، الجزء الثالث، تحقيق عبدالقادر الصحروي، المطبعة الملكية، الرباط، 1966م، ص379.

(4) الذهبي (محمد بن الحافظ): **العبر في خبر من غبر**، الجزء الأول، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م، ص 419- 420.

(5) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص118، عبد الوهاب بن منصور: **قبائل المغرب**، الجزء الأول، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م، ص311.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

وعموما فرغم الجهد الذي بذله زعماء القبائل البربرية في فتوحات الأندلس، إلا أنه حسب ما يظهر لم يقدر من طرف ولاة بني أمية العرب الذين ظلوا يعتبرون أنفسهم هم أصحاب الفتوحات والمجد والانتصارات، وهذا الأمر لوحظ منذ الوهلة الأولى لفتوحات الأندلس وكيف تعامل موسى بن نصير مع القائد البربري طارق بن زياد النفزي الفاتح الأول لتلك البلاد بعد أن لحقه في الأندلس بعد عام من دخول طارق إليها فاتحا[1]، مما أدى إلى استياء زعماء البربر من ذلك التهميش، وبدأوا يبحثون عن حلول للتخلص من جور حكمهم[2]، ووجدوا أن أفضل طريق لتحقيق أمنياتهم هو اعتناق المذاهب الإسلامية المعارضة لحكم بني أمية، وعلى رأسها مذهب الخوارج.

## المبحث الثاني

## التحولات السياسية والفكرية لقبائل البربر وتأثيرها على الأندلس

### أولًا- التحولات السياسية والفكرية لقادة البربر الفاتحين للأندلس:

أدت بعض الممارسات الخاطئة التي انتهجها البعض من ولاة بني أمية في بلاد المغرب والأندلس تجاه البربر عقب الفتوحات الإسلامية، والمتمثلة في عدم تقديرهم لدور قبائل البربر التي كان لها الإسهام الفاعل في فتح بلاد الأندلس إلى نشوء احتقان كبير بين الطرفين، تطور مع مرور الزمن إلى صراع بين الطرفين كانت

(1) للمزيد حول معاملة موسى بن نصير لطارق بن زياد البربري النفزي بعد النجاحات التي حققها طارق في فتوحاته في الأندلس وكيف غضب منه موسى أثناء لحاقه به بعد عام من دخول طارق الأندلس. انظر ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وبلاد المغرب**، ص235، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص43.

(2) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص207، وانظر محمود اسماعيل في كتابيه: **الخوارج في بلاد المغرب**، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1985، ص49، وكتاب: **مغربيات "دراسات جديدة"**، المحمدية، 1977، ص24.

بوادره الأولى قد بدأت في المغرب مع بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وذلك باغتيال البربر لوالي الخلافة حينها يزيد بن أبي مسلم سنة 102هـ[1]/ 720م، الذي تميزت سياسته بالشدة والعنف تجاه البربر[2]، لدرجة أنه سعى لمحاولة إعادة فرض الجزية على من أسلم من السكان البربر حسب بعض الروايات[3].

وفي الوقت الذي كان ينبغي على الخلافة الأموية بعد حادثة مقتل واليها على بلاد المغرب أن تقف أمام سلوك بعض ولاتها المشينة تجاه البربر، وتحاول أن تقرب العنصر البربري وتشركه في إدارة البلاد بتعيين ولاة منهم كونهم أبناء المنطقة، فضلًا عن مشاركتهم الفاعلة في فتح بلاد الأندلس؛ يجد المتتبع للمصادر العربية التي دونت أحداث تلك المرحلة أن سياسة الخلافة الأموية بعد مرحلة الفتوحات عصر الولاة- ولاسيما بعد موت الخليفة عمر بن عبدالعزيز (101هـ/ 719م) ارتكزت على التعصب للجنس العربي وجعلت المناصب الإدارية حصرا عليه، بل إنها أحيانًا بعثت إلى بلاد المغرب ولاةً عرفوا بسلوكهم القاسي تجاه السكان البربر؛ ومن هؤلاء عبيدة بن عبد الرحمن السلمي الذين عين واليا في سنة110هـ/ 727م، وفي فترة حكمه التي استمرت أربع سنوات تتحدث الروايات أن الامتهان للسكان، وجمع الأموال من قبائل البربر بطرق غير مشروعة هي السياسة التي سادت خلال فترة حكمه[4].

(1) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص110.

(2) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ص242، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص48.

(3) الطبري ( محمد بن جرير): **تاريخ الأمم والملوك**، المجلد الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1991م، ص97، ابن خلدون، **العبر**، ج4، ص188، إبراهيم القادري بوتشيش، **علاقة الخلافة الإسلامية بمنطقة سوس إبان عصر الخلافة**، ص58.

(4) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وبلاد المغرب**، ص245، سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي**، الجزء الأول، دار المعارف، الإسكندرية، طبعة 2000م، ص281، محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص34، محمد عيسى الحريري، **مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي**، ص52.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

رغم ذلك كله فقد حاولت قبائل البربر سلك الطرق السياسية المشروعة في التعاطي مع الواقع الذي فرضه بعض ولاة بني أمية في بلاد المغرب، ومن ذلك أنهم شكلوا وفدا بربريًا من زعماء قبائل البربر وتوجه الوفد إلى مركز الخلافة في دمشق لمقابلة الخليفة هشام بن عبدالملك لعرض مطالبهم وما يتعرضون له من انتهاكات من طرف بعض ولاة الخلافة الأموية في بلاد المغرب، علهم يجدون حلا لها، ولما وصلوا دمشق لم يتمكنوا من مقابلة الخليفة هشام بن عبدالملك، والظاهر أنهم وجدوا مماطلة من طرف حاجب الخليفة "الأبرش" في عدم تمكينهم من مقابلة الخليفة هشام رغم انتظارهم شهرا كاملًا، فلم يكن أمامهم سوى أن تركوا عريضة دونوا فيها أسماءهم وشكواهم ثم غادروا العاصمة الأموية دمشق [1]، ومن حينها –حسب ما يبدو– وصل زعماء وقادة البربر إلى قناعة بعدم جدوى استعمال الطرق السياسية السلمية لحل مشاكلهم، وأخذوا يسلكون منهجا معاديا لحكم بني أمية وولاتهم ويبحثون عن مخرج للتخلص من سلطانهم، ولذا فقد رأوا في فكر

(1) أوردت بعض المصادر مضمون ما احتوته الشكوى التي دونها زعماء وقادة البربر وتركوها لدى حاجب الخليفة هشام، ومما جاء في تلك الشكوى " **أبلغ أمير المؤمنين، بأن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا أصاب نَفَلهم دوننا وقال هم أحق به، فقلنا له هو أخلص لجهادنا، وإذا حاصر مدينة قال تقدموا وأخر جنده، فقلنا تقدموا فإنه ازدياد للجهاد ومثلكم كفى إخوانه فوقيناهم بأنفسنا، وكفيناهم، ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا ينقرون عن السخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاه في جلد، فقلنا ما أيسر هذا لأمير المؤمنين، فاحتملنا ذلك، وخليناهم وذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة فنحن مسلمون فأحببنا أن نعلم، أعن رأي أمير المؤمنين ذاك أم لا**". انظر الطبري: ( محمد بن جرير): **تاريخ الأمم والملوك**، الجزء الخامس، [راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء]، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بدون تاريخ طبع، ص254، وقارن ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني): **الكامل في التاريخ**، المجلد الثالث، دار الفكر، بيروت، 1978م، ص47 الذي يورد نص الشكوى مع بعض الاختلافات.

الخوارج الإسلامي ضالتهم؛ التي يمكنهم عبره تغيير الحكم المفروض عليهم، لتبدأ بذلك مرحلة تحول فكري جديد سار عليه زعماء القبائل البربرية ونهجوه في مرحلة ما بعد الفتوحات المعروف بعصر الولاة.

وبما أن طريف البرغواطي كان من أوائل الشخصيات التي أسهمت في فتوحات بلاد الأندلس مع جماعته وقومه البربر، فإنه من الطبيعي أن يكون من أوائل القادة البربر اعتناقا لفكر الخوارج المعارض لحكم بني أمية، بل إن بعض المؤرخين تحدث عن قيامه بزيارة إلى المدينة المنورة لتلقي العلم على يد كبار التابعين[1]، ولا نستبعد أن يكون طريف البرغواطي قد تعرف على عكرمة مولى بن عباس وأخذ عنه العلم ولمس منه ميولا لفكر الخوارج[2]؛ ولذا لما وصل عكرمة إلى القيروان يدعو للمذهب الخارجي الصفري لا نستبعد أيضًا أن طريفًا البرغواطي لم يتأخر في الذهاب إليه للتعمق في فهم المذهب الخارجي حتى يتمكن من نشره بين أفراد

(1) عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال افريقية**، ص136.

(2) كان عكرمة من فحول العلم وجهابذته في تلك المرحلة واتهم بأنه كان يرى رأي الخوارج، وأرجح الروايات أنه قد وصل بلاد المغرب بعد عام 93هـ/ 711م واستمر يدعو للمذهب الخارجي حتى وفاته سنة 105هـ/ 722م للمزيد حول الموضوع انظر: ابن سعد (أبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري): **الطبقات الكبرى**، المجلد الثاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ص385، الذهبي ( أبي عبد الله محمد بن احمد عثمان): **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، المجلد الثالث، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، مصر، طبعة 1963م، ص93- 96، المالكي ( أبي بكر عبد الله بن محمد)؛ **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، الجزء الأول، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص146، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله بن ياقوت): **معجم الأدباء**، المجلد السادس- الجزء الثاني عشر-، مطبعة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الثالثة، 1980م، ص 184، الزركلي (خير الدين): **الأعلام**، المجلد الرابع، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1989م، ص244.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

قبيلته وهو على علم بجزئياته وتفاصيله، وهو ما يظهر من إشارة ابن خلدون[1] إلى اعتناقه الفكر الخارجي الصفري وأصبح ممن يدعو له، بين قومه؛ حتى استمالهم إليه، وهو ما عبر عنه ابن عذاري[2] بقوله: "وكان بالمغرب يومئذ قوم ظهرت فيهم دعوة الخوارج ولهم عدد كثير وشوكة كبيرة وهم برغواطة".

ولما ازداد تسلط ولاة بني أمية وأمرائهم على البربر في بلاد المغرب، وبلغ الأمر ذروته بالمغرب الأقصى على يد والي طنجة عمر بن عبد الله المرادي، الذي يجمع المؤرخون على أنه "أساء السيرة، وتعدى في الصدقات والقسم، وأراد أن يخمس البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كانت الولاة يخمسون من لم يؤمن منهم ولم يجب إلى الإسلام"[3]، قرر البربر سنة 122هـ/ 739م بزعامة ميسرة المطغري المواجهة الحربية[4]؛ وأعلنوا الثورة ضد الحكم الأموي في بلاد المغرب، فانضم طريف البرغواطي وقبيلته برغواطة إلى الثوار البربر، وكانوا من أبرز المشاركين فيها[5]، بل إن الروايات التاريخية تجعل طريفًا البرغواطي من قادة الثورة الأساسيين[6].

(1) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص207.

(2) **البيان المغرب**، ج1، ص57.

(3) الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، ص73، وقارن ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص51-52 الذي يورد النص مع بعض الاختلافات.

(4) ابن عذاري، **البيان المغرب**،ج1، ص52

(5) البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، ص135، ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص207.

(6) ابن عذاري، **البيان المغرب**،ج1، ص57، الناصري، (أحمد بن خالد السلاوي): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الجزء الأول، [تحقيق أحمد الناصري]، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، 2001م، ص151.

وعلى ذات الطريق التي سلكها طريف البرغواطي وقبيلته، سار زعيم قبيلة مكناسة أبو القاسم بن سمكو- حفيد واسول بن مصلان بن أبي نزول الزناتي - إذ تذكر الروايات أنه كان من أوائل الذين وفدوا على عكرمة مولى ابن عباس بعد مقدمه إلى بلاد المغرب[1]، واستقراره في مدينة القيروان لتعليم الناس الفكر الخارجي الصفري، فقد ذكر البكري[2] في هذا الصدد أن أبا القاسم توجه إلى عكرمة في القيروان "وسمع منه".

والظاهر أن أبا القاسم بن سمكو المكناسي قد تمكن من الإحاطة والتعمق في فهم مبادئ فكر الخوارج؛ حتى أصبح من مشاهير حملة العلم على حد قول ابن خلدون[3]، وعندما أعلن البربر الخوارج ثورتهم بزعامة ميسرة المطغري سنة 122هـ/ 739م، ضد الولاة الأمويين في شمال المغرب، لم يتوان أبو القاسم عن المشاركة في تلك الثورة مع قبيلته مكناسة[4].

وهكذا نجد أن عددا من قادة البربر الذين أسهموا في فتح الأندلس قد تحولوا لاحقًا واعتنقوا فكر الخوارج ونشروه بين قبائلهم، ليشعلوا بعد ذلك ثورة كبيرة ضد ولاة الأمويين في بلاد المغرب هزت أركان الخلافة الأموية في المشرق، لاسيما بعد أن توسعت وشملت كثيرًا من مناطق بلاد المغرب، وهو ما سنناقشه في الفقرة الأتية.

(1) كان أبو القاسم قد التقى عكرمة مولى ابن عباس أثناء زيارته إلى المشرق. انظر ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص130.
(2) **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، ص149.
(3) **العبر**، ج6، ص105.
(4) حسن حافظي علوي، **معلمة المغرب**، ج5، ص1583.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

## ثانيًا- ثورة قبائل البربر في بلاد المغرب وتأثيرها على الوضع العام في الأندلس:

نود التنويه إلى أن الأندلس كانت مرتبطة عضويًا وإداريًا ببلاد المغرب، وكان الوالي الذي يعين من طرف خلافة دمشق على بلاد المغرب يكون مسؤولا عاما عن إدارة بلاد المغرب والأندلس، وعليه فإن تطورات الأحداث في بلاد المغرب كانت بالضرورة تنعكس على الضفة الأخرى " الأندلس"، والعكس تماما، وهو ما توضحه كثير من المنعطفات التاريخية التي مرت بها المنطقتين بعد الفتح الإسلامي لهما، ومن أهم الأحداث التي مرت بها بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي أو ما عرف لدى المؤرخين بـ" عصر الولاة" وكان لها تأثيرها المباشر على الأندلس هي ثورة الخوارج البربر ضد ولاة بني أمية.

انطلقت ثورة البربر الخوارج في إقليم طنجة بالمغرب الأقصى بزعامة ميسرة المطغري [1]، وتمكن الثوار من دخول طنجة سنة 122هـ/ 739م وقتل واليها عمر بن عبد الله المرادي [2]، ثم واصلوا زحفهم صوب مدينة سبته وطردوا حاكمها؛ وانتشرت الثورة إثر ذلك إلى السوس الأدنى ومعظم نواحي بلاد المغرب الأقصى[3]، ويبدو أن والي الأمويين على بلاد المغرب والأندلس عبيد الله بن الحبحاب قد استشعر أهمية وخطورة المكان الذي انطلقت منه الثورة وهو مدينتي طنجة وسبته الساحليتين وقربهما من الأندلس، وخوفًا من انتقال رياح الثورة إليها؛ نجده يصدر توجيهاته لواليه على الأندلس "عقبة بن الحجاج السلولي"، طالبا منه التحرك بجيوشه إلى بلاد طنجة بالمغرب الأقصى ومساعدته في قمع الثوار، وإخماد الثورة.

(1) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص110.
(2) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وبلاد المغرب**، ص246.
(3) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص52، ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص119.

لم يتأخر أمير الأندلس في تنفيذ توجيهات الوالي عبيدالله ابن الحبحاب؛ إذ يذكر بعض الباحثين في هذا الشأن أن عقبة بن الحجاج السلولي توجه بجيوشه من الأندلس صوب الضفة الجنوبية قاصدا مدينة طنجة في المغرب الأقصى، وبعد عبوره المجاز إلى الساحل المغربي دخل في معارك شديدة مع ثوار البربر الخوارج، إلا أنه فشل في إخماد ثورتهم [1]، الأمر الذي اضطره إلى الانسحاب ومغادرة شمال بلاد المغرب والعودة إلى الأندلس دون تحقيق أية نتيجة تذكر.

وتجدر الإشارة إلى أنه في أثناء عودة عقبة بن الحجاج السلولي إلى الأندلس كانت الأمور قد ازدادت اضطرابا وتدهورا في بلاد المغرب بفعل اتساع ثورة البربر الخوارج، الأمر الذي جعل الخلافة في دمشق تصدر مرسومًا قضى بعزل الوالي عبيدالله ابن الحبحاب من منصبه، وتولية كلثوم بن عياض القشيري مكانه[2].؛ وشمل التغيير أيضًا أمير الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي؛ إذ تذكر الروايات التاريخية أنه تم عزل عقبة بن الحجاج السلولي وتولية عبد الملك بن قطن الفهري أميرا للأندلس بدلًا عنه[3].

(1) سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي**، ج1، ص295، عزيز أحمد: **تاريخ صقلية الإسلامية**، نقله إلى العربية وقدم له أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، 1980م، ص11.

(2) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص54، ج2، ص30.

(3) اختلفت الروايات حول طريقة عزل عقبة بن الحجاج السلولي، فابن عذاري يورد روايات متعددة ففي الجزء الأول من كتابه البيان المغرب يقول" **وبلغ أهل الأندلس ثورة البربر، فوثبوا على أميرهم فعزلوه وولوا مكانه عبدالملك بن قطن**" وفي الجزء الثاني يورد روايتين الأولى تقول " **وقيل أن أهل الأندلس ثاروا على عقبة بن الحجاج وخلعوه**"، والثانية نقلها عن ابن القطان ومضمونها " **وقيل إن عقبة بن الحجاج لما حانت وفاته، استخلف عبدالملك بن قطن**"، أما صاحب أخبار مجموعة في فتح الأندلس – المؤلف المجهول-فيورد نصًا يقول فيه" **وثب عبدالملك بن قطن المحاربي، محارب فهر على عقبة بن الحجاج فخلعه، ولا أدري أقتله أم أخرجه**"، وفي ضوء هذه الروايات المختلفة نميل إلى الجمع بين ما أورده ابن عذاري في روايته في الجزء الأول والثاني من كتابه البيان المغرب وما أورده المؤلف



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وعلى كلٍ؛ فإن هذه التغييرات التي قامت بها الخلافة الأموية في المغرب والأندلس لمحاولة وأد الثورة البربرية الخارجية لم تحقق المراد منها، إذ أن بلاد الأندلس في عهد أميرها الجديد عبدالملك بن قطن الفهري عرفت موجة من الاضطرابات متأثرة بما كان يجري في الضفة الجنوبية منها- أي بلاد المغرب- كان أخطر تلك الاضطرابات الثورة التي تزعمها البربر المستقرين في الأندلس والتي كادت أن تسقط الحكم الأموي فيه تماما.

## ثالثًا- مظاهر تأثر الأندلس بالتحولات السياسية والفكرية لقبائل بلاد المغرب:

لا شك أن اعتناق زعماء البربر في المغرب لفكر الخوارج ومن ثم إعلان الثورة ضد الحكام العرب الجائرين من ولاة بني أمية، كان له تداعياته على بلاد الأندلس؛ إذ وصل صدى ذلك التحول الفكري والسياسي والحربي إليها؛ فانتشرت في الأندلس أفكار الخوارج التي تدعو للعدل والمساواة ومجابهة الحكام الجائرين؛ حيث استلهمها البربر الذين كانوا قد استقروا في الأندلس منذ مشاركتهم في فتحها؛ ليعلنوا الثورة ضد الحكم الأموي إسوة بإخوانهم في المغرب.

= المجهول في كتابه أخبار مجموعة وهو أن أهل الأندلس- أرجح أن المقصود عربهم- ثاروا على عقبة بن الحجاج خاصة بعد فشله في مهمة إخماد ثورة البربر في طنجة، وخوفًا من هبوب رياح الثورة إلى الأندلس، أجبروه على التنحي والتنازل لعبدالملك بن قطن الفهري ليدير أمر الأندلس ربما لدرايته وخبرته في الإدارة، لاسيما إذا ما علمنا أن عبدالملك بن قطن سبق وأن تولى حكم الأندلس من سنة 112-114ه/ 730-732م انظر ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص54، ج2، ص 28-30، المؤلف المجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها**، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة الثانية، 1989م، ص35.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

### ١- ثورة البربر في الأندلس بقيادة ابن هُدَين سنة ١٢٤هـ/ ٧٤١م ومآلاتها:

نود الإفادة إلى أن ثورة ابن هدين التي اندلعت في الأندلس مطلع العام 124هـ/ 741م، كانت ثورة بربرية خالصة - حسب المصادر[1]- ضد ولاة الخلافة الأموية وكادت أن تطيح بالحكم الأموي هناك لولا تدخل إحدى فرق جيش الأمويين في المغرب والتي كانت محاصرة بالقرب من سبتة من طرف ثوار البربر المغاربة، وأنها أخذت الصبغة المذهبية الخارجية- الصفرية منها تحديدا- متأثرة بأفكار قادة الخوارج البربر في بلاد المغرب، وقبل مناقشة هاتين النقطتين سنحاول التطرق سريعا إلى أوضاع البربر في الأندلس قبل انطلاق ثورة سنة 124هـ/ 741م التي في تقديرنا شكلت الظروف الموضوعية لقيام الثورة.

#### أ- وضع البربر في الأندلس قبل قيام الثورة

من المنطقي أن المعاناة التي لاقاها البربر في المغرب منذ ما بعد مرحلة الفتوحات الإسلامية وطوال عصر الولاة، قد سرت على إخوانهم البربر المستقرين في بلاد الأندلس أيضاَ، بحكم الارتباط الإداري والعضوي بين المنطقتين، إذ يلاحظ أن بربر الأندلس كانوا يشكون من المظالم نفسها -تقريبًا- التي كان يعاني منها إخوانهم في بلاد المغرب، وهي سوء إدارة ولاة بني أمية وتحكمهم بكل شؤون الحياة في الأندلس.

فمنذ استكمال الفتوحات الإسلامية لتلك المنطقة سعى ولاة الأمويين ومناصريهم من القبائل العربية إلى الاستئثار بمعظم الوديان الخصبة في الأراضي المفتوحة، حيث استوطنوا ضفاف الأنهار في شرقي الأندلس وجنوبها ووسطها، بينما كان استقرار معظم البربر في الأراضي القاحلة والمناطق الجبلية الباردة في الشمال

(1) المؤلف المجهول؛ **أخبار مجموعة**، ص42، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، ص30.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وبعض الأطراف الغربية النائية من الأندلس[1]، فضلا على أن السلطة والمناصب الإدارية ظلت حكرا على العرب دون سواهم، ولم يمكن العنصر البربري من تسلم أي منصب قيادي في إدارة الأندلس؛ وقد بدأت السياسة التهميشية للعنصر البربري منذ استكمال فتح الأندلس عام 95هـ/ 713م؛ إذ تم تعيين عبدالعزيز بن موسى بن نصير ليدير شؤون الحكم فيها؛ على أن يكون حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وزيره ومستشاره [2]، والملفت للنظر أن خلفاء بني أمية استمروا في إدارتهم لبلاد المغرب والأندلس منذ فتحهما وحتى سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ/ 749م، يقصرون التعيينات على العرب بقسميهم (القيسي واليمني) دون سواهم[3]، وتم استبعاد العنصر البربري وإقصائه تماما.

وعلى أية حال فإن السياسة الإقصائية لخلافة بني أمية لمكون بارز كان له قصب السبق في فتح الأندلس وهم البربر، كان كفيلًا بإشعال ثورة لرفع تلك المظالم ومحاولة تغيير ذلك الواقع المفروض إن أمكن، تحت مظلة المذهب الخارجي الإسلامي الذي يجيز الخروج على الحكم الجائر وتغييره ولو بقوة السيف [4].

(1) ابراهيم بيضون، **الدولة العربية في أسبانيا**، ص93، محمد عبدالله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج1، ص70-71.

(2) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، ص23.

(3) لمعرفة أسماء ولاة بلاد المغرب من بعد عودة موسى بن نصير إلى المشرق سنة 96هـ، وحتى سقوط خلافة بني أمية، انظر ابن عذاري ج1، ص 44 – 62، وبالنسبة لولاة الأندلس خلال الفترة ذاتها ينظر ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، من ص 24 إلى ص38.

(4) الأشعري ( أبي الحسن علي بن إسماعيل): **مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين**، الجزء الأول، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1985م، ص204، العميد عبد الرزاق محمد أسود: **موسوعة الأديان والمذاهب**، الجزء الثاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1992م، ص207.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**ب- انطلاق الثورة البربرية في الأندلس وأماكن انتشارها:**

لم يمر وقت كبير على تولية عبد الملك بن قطن الفهري أميرا على الأندلس حتى فوجئ بثورة عاتية للبربر في كل ربوع الأندلس وذلك بداية 124هـ[1]/ 741م، تزعم هذه الثورة القائد ابن هدين؛ وكان ثوار الأندلس قبل انطلاق ثورتهم يتابعون ثورة البربر في بلاد المغرب التي كانت تزداد اتساعا؛ وتواصل إلحاق الهزائم بجيوش الأمويين[2]، ولا شك أن صدى الانتصارات البربرية قد وصل إلى كل أنحاء الأندلس[3]، التي كان بربرها يعانون من تسلط ولاة بني أمية، ولم ينالوا ما كانوا يطمحون إليه، نظير دورهم الفاعل في فتح تلك البلاد كما أسلفنا [4]، ولذا ما أن وصلتهم أخبار انتصارات إخوانهم البربر في بلاد المغرب حتى انتفضوا وأعلنوا ثورتهم على حكام الأمويين في نواحي الأندلس[5] مستلهمين طريقة ثورة إخوانهم البربر في بلاد المغرب في تتبع القيادات العربية الحاكمة وطردهم من المدن الرئيسية[6]، ومن ثم تنصيب إمام لهم لتزعم قيادة الثورة يدعى ابن هدين[7]، والذي

(1) ابن خياط (خليفة بن خياط): **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، 1985م، ص356.

(2) ابن خياط، **تاريخ خليفة بن خياط**، 355، الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، ص74-75، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص53- 55.

(3) حسين مؤنس: **ثورات البربر في افريقية والأندلس**؛ مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد العاشر، الجزء الأول، مايو 1948م، ص193.

(4) كان جل الجيش الفاتح لبلاد الأندلس بربريا وبقيادة بربرية تمثلت في طارق بن زياد النفزاوي البربري. انظر المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص220-222.

(5) المؤلف المجهول؛ **أخبار مجموعة**، ص42.

(6) يصف صاحب كتاب أخبار مجموعة ثورة البربر في المغرب ضد القيادات العربية الحاكمة بالقول" **وثب كل قوم من البربر على من يليهم فقتلوا وطردوا** ". انظر المؤلف المجهول؛ **أخبار مجموعة**، 35.

(7) نفس المصدر، ص43.

يغلب على الظن أنه هو من دشن الثورة البربرية في الأندلس ابتداء من المناطق الشمالية؛ ومن ثم توجه صوب المناطق الوسطى وكان الهدف الاستراتيجي لتحركات القائد البربري ابن هدين هو إسقاط العاصمة قرطبة مركز والي الخلافة الأموية، والظاهر أنه كان قد تواصل مع البربر في المناطق الجنوبية الذين تجمعوا بقيادة رجل بربري عرف بالزناتي[1]، لتحقيق ذلك الهدف وهو الانقضاض على العاصمة قرطبة والسيطرة عليها.

ومن أهم المدن الأندلسية التي اندلعت فيها ثورات البربر بعد إشعال فتيلها على يد القائد البربري ابن هدين هي مدن شمال غرب الأندلس وأهمها مدينة جليقية في أقصى الشمال التي أسقطها الثوار وقتلوا عددا من القيادات الأموية وطردوا آخرين[2]، ثم واصلت الثورة زحفها تجاه مدينة استرقة وتمكن الثوار من طرد العنصر العربي الحاكم منها والاستيلاء عليها[3]، وتوسعت الثورة لتشمل بعض الكور والمدائن خلف استرقة؛ وفر كثير من ولاة الأمويين وقادتهم إلى مدينة قرطبة حيث يقيم والي الأندلس عبدالملك بن قطن الفهري[4].

وفي الاتجاه الشمالي الشرقي من الأندلس أيضًا اتجهت جموع من الثوار البربر وواصلوا زحفهم صوب قاعدة الثغر الأعلى للأندلس مدينة سرقسطة، لكنهم فشلوا في الاستيلاء عليها؛ نظرا للتفوق الديموغرافي للعنصر العربي فيها[5].

وكانت جموع أخرى من الثوار البربر قد تحركوا في الثغر الأوسط للأندلس وتمكنوا من الاستيلاء على طلبيرة [6] وأصبحوا قريبين من طليطلة، وتمكنت

(1) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، ص31.
(2) ابن عذاري: **البيان المغرب**،ج2، ص30.
(3) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص43.
(4) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص42، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، ص30.
(5) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**،ص42.
(6) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص43.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

جموع ثائرة أخرى من السيطرة على مدينة قورية وطردت العنصر العربي منها؛ ثم واصلت تلك الجموع زحفها وتمكنت من دخول مدينة ماردة والسيطرة عليها[1].

وامتد لهيب الثورة في الأندلس حتى وصل إلى المناطق الجنوبية؛ إذ تذكر الروايات التاريخية أن البربر الخوارج تجمعوا هناك واستطاعوا الاستيلاء على مدينة شذونه، يقودهم رجل من زناتة[2].

وأمام هذا التمدد الخاطف للثوار البربر الذي شمل معظم نواحي بلاد الأندلس، كان لا بد من موقف حازم من طرف والي الأندلس والقيادات العربية تجاه تلك التطورات المتسارعة، إذ تذكر الروايات أن العنصر العربي وقواته التي فرت من مدن الأندلس الكبرى ومن الأطراف بدأت بالتجمع في وسط الأندلس وخاصة في مدينتي طليطلة والعاصمة قرطبة [3]؛ استعدادا للمواجهة التي أصبحت حتمية قبل أن يستفحل أمر الثورة وتخرج الأمور عن السيطرة؛ حيث عمل أمير الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري على استقبال العناصر العربية التي وفدت عليه؛ وشرع بترتيب قواته وتجهيز جيوشه لمواجهة الثورة، وبدأ عمليًا بإرسال فرقٍ من قواته الحربية لخوض المعارك مع البربر الثائرين، لكن قواته سرعان ما تلقت هزيمة مدوية على يد الثوار [4]، الذين كانوا قد استلهموا كثيرا من أفكار إخوانهم خوارج بلاد المغرب ولا سيما طرقهم في أثناء النزال والمواجهات العسكرية[5].

ونتيجة للوضع الحرج وخوفا من سقوط الأندلس بيد ثوار البربر الخوارج اضطر أمير الأندلس عبدالملك بن قطن الفهري إلى الاستعانة بقوات عربية أموية في بلاد

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.
(2) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، ص31.
(3) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص43- 44.
(4) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص42.
(5) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص44.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المغرب [1]، كانت محاصرة في ضواحي مدينة سبتة منذ أواخر سنة 123هـ/ 739م على يد الخوارج البربر هناك، لتعرف الأندلس بدخول القوات الأموية جولة جديدة من الصراع والحرب مع الثوار البربر أثرت في محصلتها النهائية على الثورة، ولكنها لم تعيد الاستقرار إلى الأندلس.

### ج- استغاثة والي الأندلس بقوات أموية من المغرب وإخماد ثورة ابن هدين

معلوم أن جيوش الأمويين كانت قد تلقت هزائم كبيرة على أيدي الثوار البربر في بلاد المغرب منذ اندلاع ثورتهم سنة 122هـ/ 739م، وبسبب تلك الهزائم عمل الخليفة هشام بن عبدالملك على تغيير واليه على بلاد المغرب عبيدالله بن الحبحاب بداية سنة 123هـ/ 740م، وعين واليًا جديدا هو كلثوم عياض القشيري، ولما وصل كلثوم بلاد المغرب كانت الثورة البربرية في عنفوانها؛ فتلقى جيشه هزيمة كبيرة في موقعة بقدورة جنوبي منطقة طنجة على يد ثوار البربر الخوارج، لاقى الوالي كلثوم بن عياض حتفه فيها[2]، وتمكن جزء من جيشه من الفرار والتحصن في ضواحي مدينة سبتة الساحلية [3]، بقيادة ابن أخيه بلج بن بشر القشيري، وظل هذا الجيش لفترة من الزمن محاصرًا في نواحي سبتة من طرف ثوار الخوارج البربر في المغرب حتى أكلوا الجلود وأوراق الشجر من شدة الحصار كما تقول المصادر[4].

(1) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، ص31.

(2) من أبرز الشخصيات التي سقطت في موقعة بقدورة – بالإضافة إلى كلثوم- حبيب بن أبي عبيدة، وسلمان بن أبي المهاجر ومحمد بن عبد الله الأزدي وغيرهم. انظر ابن خياط، **تاريخ ابن خياط**، ص355، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص55.

(3) تذكر الروايات أن عدد أفراد ذلك الجيش بلغ عشرة آلاف رجل. انظر ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، ص31.

(4) انظر ابن خياط، **تاريخ خليفة بن خياط**، ص355، ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وبلاد المغرب**، ص248، المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص42.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

والمهم أنه لما انطلقت ثورة الخوارج في الأندلس بداية سنة 124هـ/ 741م وانتشرت في معظم مدنه، لم يكن أمام واليها عبدالملك بن قطن سوى التواصل مع ذلك الجيش المحاصر في ضواحي سبتة وتسهيل مروره إلى الأندلس للتعاون معه في إخماد ثورة البربر الخوارج، وقد اشترط عليهم عبدالملك بن قطن أخذ رهائن منهم وأن يعودوا بعد عام من إنهاء مهمتهم التي جاؤوا من أجلها [1]، وهي القضاء على ثورة الخوارج البربر في الأندلس؛ فوافق بلج بن بشر القشيري ومن معه من المحاصرين على تلك الشروط كُرهًا، فأرسل إليهم والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري سفنًا إلى سبتة حملتهم إلى الأندلس، فوصلوا إلى قرطبة ووزع عليهم العطايا، وكسا خيارهم كما تقول الروايات[2].

وعلى التو تحرك جيش بلج بن بشر القشيري لمواجهة الثوار البربر الأندلسيين، ودشن تلك المواجهات بهجوم قوي على جموع من الثوار ففي منطقة شذونة – جنوب الأندلس– وأسفر اللقاء عن هزيمة الثوار البربر والاستيلاء على ما معهم من عتاد ومتاع[3]، وبعد هذا النصر في منطقة شذونة اتحدت قوات بلج بن بشر القشيري مع قوات الوالي عبد الملك بن قطن الفهري لمواجهة فوج آخر من الثوار البربر كان في طريقه إلى العاصمة قرطبة ولم يجد الجيش الأموي صعوبة في القضاء عليه [4].

بعد ذلك استعدت قوات عبدالملك بن قطن وقوات بلج بن بشر لمواجهة الزحف البربري الكبير الذي تجمع من "جليقية واسترقة وماردة وقورية وطلبيرة"[5]،

(1) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص56، السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، ص326.
(2) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص43، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، ص31.
(3) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، ص31.
(4) حسين مؤنس، **ثورات البربر**، ص195.
(5) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص40.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وأخذ يشق طريقه نحو طليطلة بعد عبوره نهر تاجة، ووقع اللقاء الحاسم بين الطرفين على وادي سليط في نواحي طليطلة واستبسل البربر في المعركة، واستلهموا طريقة الخوارج وقادتهم في أثناء المواجهة، إذ "حلقوا رؤوسهم اقتداء بميسرة ولكي لا يخفى أمرهم وليضربوا ولا يختلطوا"[1]، لكن صمود الثوار البربر قابله استماتة من الجيش الأموي؛ ولاسيما من طرف الشاميين الذين أرادوا أن يثأروا لما أصابهم من هزائم على يد البربر في المغرب، وتمكنوا بعد جولات من الصراع من حسم اللقاء لصالحهم وإنزال هزيمة ساحقة بالثوار البربر الذين لم تقم لهم قائمة بعدها، وتم تعقب بقية فلول الفارين منهم ومطاردتهم في أنحاء الأندلس، يصف صاحب أخبار مجموعة المقتلة التي حلت بالبربر على يد الوالي ابن قطن وأهل الشام بقوله" فقتلوهم قتلا ذريعا أفنوهم به فلم ينج منهم إلا الشريد... ثم فرقوا الجيش في الأندلس فقتلوا البربر حتى أطفأوا جمرتهم"[2].

وبهذا النصر الكبير الذي حققه الوالي عبد الملك بن قطن الفهري مسنودًا بالجيش الشامي تم إخماد ثورة البربر الخوارج التي كادت أن تطيح بالأندلس وتسيطر عليه، ورغم هذا النجاح الكبير في التخلص من خطر الخوارج؛ إلا أن الأندلس لم تستقر بعد ذلك فسرعان مع دخل عبدالملك بن قطن في خلاف مع الشاميين لما طلب منهم مغادرة البلاد – حسب الاتفاق الذي أبرم قبل مجيئهم- إذ رفض الشاميون المغادرة؛ وتطور ذلك الخلاف إلى نزاع ومن ثم إلى حرب بين الطرفين أودى بحياة الوالي عبد الملك بن قطن الفهري نفسه على يد بلج بن بشر القشيري[3]، الأمر الذي دفع أولاد عبد الملك بن قطن ومعهم أنصار أبيهم

(1) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص44.
(2) انظر: المؤلف مجهول، **أخبار مجموعة**، ص40.
(3) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وبلاد المغرب**، ص249.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إلى التجمع وخوض حربٍ مع بلج وقواته، أسفرت نتيجتها عن قتل بلج بن بشر وتشتت مناصريه[1].

واستمرت الاندلس بعدها تعيش حالة من الفوضى والصراع الذي تطور لاحقًا وأخذ الصبغة العصبية ( القيسية واليمانية) [2]، حتى قدوم عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الذي فر من مطاردة العباسيين في المشرق وتمكن من دخول الأندلس ليعمل على إعادة إحياء الدولة الأموية في الأندلس سنة 138هـ/ 755م، بعد سقوطها في المشرق قبل ذلك التاريخ بست سنوات.

وتجدر الإشارة أن بلاد الأندلس لم تعرف بعد ذلك – حسب علمنا- ثورات ذات صبغة خارجية خالصة[3] بعد إخماد وكسر شوكة هذه الثورة الخارجية على

(1) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وبلاد المغرب**، ص249، المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص 46-47.

(2) بعد مقتل بلج بن بشر بايع أهل الأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي ولم تستقر الأندلس، فبلغ ذلك والي أفريقية وبلاد المغرب حنظلة بن صفوان الكلبي فبعث إليهم أبو الخطار الحسام ابن الكلبي أميرا على الأندلس سنة 125هـ فضبط الأمور ثلاث سنوات ودخل بعدها بصراع مع الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الذي التفت حوله القيسية وهزم أبو الخطار الكلبي وتولى أمر الأندلس ثوابة بن سلامة الجذامي فتوفي بعد عام من ولايته؛ فاجتمع الناس على يوسف بن عبدالرحمن بن عقبة نافع الفهري سنة 129هـ يساعده الصميل بن حاتم، لكن العنصر اليمني لم يقبل بتولية يوسف وعمل أبو الخطار بن حسام الكلبي يجمع قبائل اليمن من حمير وكندة ومذحج وقضاعة، ودخلوا في حروب استعملت فيها مختلف أنواع الأسلحة والعصي والسكاكين وكانت الغلبة فيها للقيسية في موقعة شقندة جنوب قرطبة، وأصبح يوسف الفهري هو حاكم الأندلس، وقد أدت تلك الحرب التي أخذت الصبغة القبلية إلى زرع الأحقاد بين العرب اليمنية والقيسية وهو الأمر الذي استفاد منه عبدالرحمن بن معاوية عندما دخل الأندلس أواخر سنة 138هـ.. انظر في هذا الشأن المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص57- 61، السيد عبدالعزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس**، ص160-164.

(3) يمكن استثناء الثورة التي قام بها البربر في مدينة ماردة الأندلسية في ولاية ثعلبة بن سلامة العاملي الذي بويع واليًا على الأندلس بعد مثل بلج بن بشر القشيري سنة 124هـ/ 741م،



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

يد عبدالملك بن قطن الفهري وبلج بن بشر القشيري، إذ كان لقيام الدولة الأموية في الأندلس سنة 138هـ/ 755م الفضل في عدم ظهور ثورات ذات نفس خارجي، وذلك نتيجة لطبيعة العلاقات الودية المتميزة التي عرفتها الدولة الأموية في الأندلس مع دول الخوارج التي نشأت في بلاد المغرب[1].

## ٢- ملامح تأثر بربر الأندلس الفكري والسياسي بقبائل بلاد المغرب الخارجية

قد يتساءل المرء عن طبيعة التأثير الفكري والسياسي لقبائل البربر في المغرب على البربر في الأندلس، وهل يمكن الحديث مثلًا عن وجود دعاة للفكر الخارجي قدموا إلى الأندلس من بلاد المغرب وعملوا على تهيئة البربر الأندلسيين وإقناعهم بالتغيير السياسي والثورة ضد الحكم الأموي القائم؛ كما حدث في بلاد المغرب التي سبق ثورتها عمل دؤوب لدعاة فكر الخوارج بين القبائل البربرية؟[2].

في الحقيقة رغم شحة المصادر في الحديث عن وجود دعاة رسميين لفكر الخوارج في الأندلس أُرسلوا من المغرب لنشر الفكر الخارجي، لكننا لا نستبعد

= إذ نرجح أن البربر الخوارج الذين تم تشتيت جموعهم بعد إخماد ثورتهم أوائل سنة 124هـ/ 741م في أيام الوالي عبدالملك بن قطن الفهري أعادوا تجميع أنفسهم في مدينة ماردة ليعلنوا الثورة من جديد ضد ولاة الحكم الأموي؛ لكن ثعلبة بن سلامة العاملي توجه إليهم بنفسه وألحق بهم هزيمة كبيرة وقتل منهم الكثير، وأسر منهم بحدود ألف رجل، وعاد بعدها إلى العاصمة قرطبة، ويذكر محمود مكي أن أمر الخارجية قد ضعف تمامًا في الأندلس بعد قيام الدولة الأموية، مع إشارته إلى أن انتفاضتين حدثتا أيام الأمير الحكم الربضي كانتا ذات صبغة خارجية، وتم القضاء عليها، وكانت الظروف السياسية حينها قد حتمت على الأمويين أن يرتبطوا بعلاقات صداقة مع إمارات الخوارج التي نشأت في بلاد المغرب في تلك المرحلة. انظر ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص56، ج2، ص33، وانظر محمود مكي: **الخوارج في الأندلس**، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، تطوان، مطبعة كريما ديس، العدد الأول، 1956م، ص170-171.

(1) محمود مكي، **الخوارج في الأندلس**، ص171-172.

(2) أبي زكرياء، **سير الأئمة وأخبارهم**، ص41، الدرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**، ج1، ص11.

تسرب بعضهم، وإن أغفلت المصادر ذكر أسماء بعينها، شفيعنا في ذلك استنطاق بعض النصوص التي تؤكد أن البربر في الأندلس اتخذوا من بعض الشخصيات المغربية الخارجية نبراسًا لها يهتدون بخطاها لا سيما في كيفية التعامل العسكري في أثناء مواجهة الجيوش الأموية، من ذلك ما أورده صاحب كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس قائلا " فلما بلغ البربر إقبال الجيوش إليهم حلقوا رؤوسهم اقتداء بميسرة، ولكي لا يخفى أمرهم وليضربوا ولا يختلطوا"[1]، ويؤكد الناصري أن تحرك البربر في الأندلس كان وراءه " النزعة الخارجية"[2].

من هذه الاشارات يُستشف أن أفكار الخوارج قد انتقلت إلى الأندلس بطريقة أو بأخرى؛ ولا يستبعد أن يكون ذلك قد تم بوساطة دعاة من خوارج المغرب وفدوا إلى بلاد الأندلس وهيأوا البربر هناك للاستعداد للثورة[3] وما ذكر اسم ميسرة المطغري- زعيم خوارج المغرب- في بلاد الأندلس إلا دليل ينبأ عن جهود لدعاة وفدوا من المغرب لعبوا دورا في تهيئة البربر للثورة ضد ولاة بني أمية العرب، فقد أضحى ميسرة البربري المغربي الخارجي ملهمًا للثوار الأندلسيين، يقتدون به وبطريقة مواجهته للقوات الأموية من خلال حلق رؤوسهم[4]، حتى تبقى مجاميعهم معروفة وحتى يضربوا بقوة ولا يختلطوا مع الخصم.

إن نقل تجربة ميسرة سواء الفكرية النظرية في اعتناقه للفكر الخارجي وإيمانه بمبادئه التي تدعو لتحقيق العدل والمساواة وعدم حصر السلطة بجنس معين والثورة

(1) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص40.
(2) الناصري، **الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى**، ج1، ص111.
(3) يرجح بعض الباحثين أن أخبار وتفاصيل ثورة البربر في المغرب قد نقلت لبربر الأندلس بوساطة مبعوثين ورسل من الخوارج انتقلوا من المغرب إلى الأندلس وشجعوهم على الثورة. انظر حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص159، محمد حقي، **البربر في الأندلس**، ص200.
(4) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص40.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

على الحاكم الجائر، أو تجربته العملية وخططه في أثناء المواجهات العسكرية والنزالات الحربية مع الخصوم وهم ولاة بني أمية وأتباعهم؛ قد أصبحت نبراسًا لثوار البربر الأندلسيين تأثروا بها في محطات الثورة المختلفة؛ وفضلًا عن ذلك أيضًا يمكن استنباط بعض مظاهر التأثير الفكري والسياسي والعسكري لخوارج المغرب على ثوار البربر في الأندلس من النقاط الآتية:

1- إن فكرة مبايعة البربر المنتفضين في الأندلس لشخص منهم التمُّوا حوله وبايعوه ليكون أميرا لهم اسمه ابن هدين[1] بداية سنة 124هـ/ 741م، يعد استنساخًا لتجربة إخوانهم الثوار البربر المغاربة الذين ثاروا قبلهم بسنتين- 122هـ/ 739م-؛ وتجمعوا حول ميسرة المطغري وبايعوه أميرا لهم [2]، بحيث يمكننا القول إن مراسيم البيعة التي تمت لميسرة المطغري في المغرب الأقصى، قد تكررت في الأندلس؛ عندما أعلن البربر ثورتهم ضد ولاة بني أمية وخلعوا طاعتهم وبايعوا ابن هدين أميرا لهم.

2- من الأمور الملفتة للنظر التي تدل على استلهام ثوار بربر الأندلس لطريقة إخوانهم خوارج بلاد المغرب؛ هي الانقضاض السريع بتوقيت واحد في أكثر من مكان على كبريات المدن الأندلسية التي يسيطر عليها ولاة بني أمية في الأندلس وطردهم منها، والسيطرة عليها، وهذه الطريقة في الهجوم المباغت والسريع على المدن مستوحاة من ثوار البربر في المغرب الذين انتفضوا على الولاة الأمويين في المدن الكبرى وطردوهم منها والتي كان ميسرة المطغري وجموعه الثائرة

(1) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص43، وقارن السيد عبدالعزيز سالم في كتابه **تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس**، ص158، يورد اسم زقطرتق.
(2) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وبلاد المغرب**، ص246.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قد دشنوها في مدينة طنجة[1] ثم سبتة وبعدها مدن السوس الأدنى والأقصى[2]، ومحاولة نقل الهجوم إلى مدن في المغرب الأوسط واتجاه أفريقية[3].

3- إن توقيت انطلاق ثورة البربر في الأندلس بداية سنة 124هـ/ 741م قد جاء والوضع مضطرب بشكل كبير في بلاد المغرب، خاصة بعد أن منيت جيوش الأمويين بهزائم ساحقة على أيدي ثوار بربر المغرب[4]، الأمر الذي دفع الخلافة بداية سنة 124هـ/ 741م، إلى تعيين والٍ جديد لبلاد المغرب والأندلس ودعمه بعشرات الآلاف من الجند، فضلا عن الدعم المالي الكبير للثأر من ثوار البربر المغاربة؛ هذا الوالي هو حنظلة بن صفوان الكلبي، والأمر ذاته انطبق على الأندلس أيضًا التي كانت تحت المجهر من طرف خلافة دمشق، إذ تم تعيين عبدالملك بن قطن الفهري أميرا للأندلس بديلا لعقبة بن الحجاج السلولي الوالي السابق بعد فشل مشاركته في إخماد ثورة البربر في المغرب كما أسلفنا-.

وأخيرا نميل إلى أن تنسيقا وترتيبًا معينا قد تم بين خوارج بربر بلاد المغرب وبين إخوانهم في الأندلس لاستغلال الوضع المضطرب وإرباك الوالي الجديد لبلاد المغرب حنظلة بن صفوان الكلبي، ففي الوقت الذي توجه ثوار البربر في المغرب صوب العاصمة القيروان وضرب الحصار على الوالي حنظلة بن صفوان

(1) ابن خياط، **تاريخ ابن خياط**، ص353.

(2) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص119.

(3) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص52.

(4) بعد فشل والي بلاد المغرب عبيدالله بن الحبحاب السابق وأميره على الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي من إخماد ثورة البربر المغاربة التي كانت قد انطلقت من مدن الشمال المغربي الساحلية المحاذية للأندلس، كانت الخلافة في دمشق قد عينت وال جديد لبلاد المغرب هو كلثوم بن عياض القشيري، ولكنه لاقى حتفه في مواجهة الثوار البربر أواخر سنة 123هـ/ 740م، بعد أن تلقى جيشه ضربات موجعة من الثوار البربر في المغرب. انظر ابن عذاري، **البيان المغرب**،ج1، ص54-55،ج2، ص30.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الكلبي لمحاولة إسقاط المدينة والسيطرة على حاضرة الخلافة الأموية في أفريقية وبلاد المغرب[1]، انطلقت في ذات الوقت ثورة البربر في الأندلس وأسقطت العديد من المدن في شمال ووسط وغرب الأندلس[2]، ليواصل الثوار ملاحقة القيادات العربية الأموية التي فرت نحو العاصمة قرطبة مركز والي الأمويين عبدالملك بن قطن الفهري؛ آملًا منهم في السيطرة عليها وطرد والي الأمويين وكل القيادات الأموية التي فرت إليها[3].

## الخاتمة

تأسيسًا على كل ما سبق في محاور البحث وعناوينه المختلفة يمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

أولًا- أن بلاد المغرب عبر مراحل التاريخ المختلفة كانت على ارتباط وثيق بشبه الجزيرة الإيبيرية بحكم التقارب الجغرافي والتواصل المشترك والهجرات المتبادلة بين المنطقتين والذي نتج عنه تأثر وتأثير متبادل بين البلدين.

ثانيًا- أدى ظهور الإسلام في الجزيرة العربية ومن ثَمّ انتشاره ووصوله بلاد المغرب إلى إحداث تغيير جذري على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي، داخل المجتمع المغربي، اقتضى ذلك التغيير والتحول بالضرورة أن يكون له تأثيره على شبه الجزيرة الإيبيرية بحكم الارتباط العضوي بين المنطقتين؛ وهو ما ظهر واقعًا من خلال الإسهام الفاعل لقبائل البربر في فتح بلاد الأندلس التي تأثرت لاحقًا بصيرورة الأحداث السياسية والتحولات الفكرية التي مرت بها بلاد المغرب.

---

(1) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وبلاد المغرب**، ص250، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص58.

(2) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، ص31، المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص42.

(3) المؤلف المجهول، **أخبار مجموعة**، ص43.

ثالثا- كان لزعماء قبائل البربر الفاتحين للأندلس الذين اعتنقوا فكر الخوارج بعد انتهاء مرحلة الفتوحات تأثير على الوضع العام لبلاد الأندلس، إذ انتشرت أفكارهم التي تدعو لتغيير الحكم الجائر والثورة عليه؛ وهو ما تحقق عمليًا عبر اشعال البربر الأندلسيين ثورة ذات صبغة فكرية خارجية ضد الحكم الأموي كادت أن تطيح به.

رابعا- تأثر ثوار البربر في الأندلس سياسيا وفكريا بزعماء البربر وقادتهم في المغرب وبطرقهم النظرية والعملية في الإعداد والتخطيط والتنفيذ لثورتهم ضد الولاة الأمويين، ويظهر ذلك من خلال حلقهم للرؤوس في أثناء المواجهات والنزالات العسكرية مع خصومهم اقتداء بقائد الثورة البربرية في المغرب ميسرة المطغري، أو في مبايعتهم ابن هدين أميرا لهم تأسيًا بنهج اخوانهم بربر المغرب، فضلا عن خططهم الميدانية في الهجوم المباغت والسريع واسقاط العديد من مدن الأندلس التي كانت تحت سلطان الحكام الأمويين وطردهم منها؛ ومحاولة الوصول إلى العاصمة قرطبة مقر والي الأمويين، محاكاة لإخوانهم ثوار البربر في بلاد المغرب عندما سيطروا على مدن سبتة وطنجة والسوس الأقصى وطردوا حكام الأمويين منها، والسعي لإسقاط القيروان مركز والي الخلافة الأموية في أفريقية وبلاد المغرب.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

## مصادر ومراجع البحث


١- ابن الأثير (عزالدين أبي الحسن علي بن محمد عبد الواحد الشيباني)؛ الكامل في التاريخ، الجزء الثاني، تحقيق مكتبة التراث، بيروت، ١٩٩٤م.

٢- ابن الأثير (عزالدين أبي الحسن علي بن محمد عبد الواحد الشيباني)؛ الكامل في التاريخ، المجلد الثالث، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

٣- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي )؛ صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

٤- ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب السلماني)؛ أعمال الأعلام، الجزء الثالث، تحقيق احمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

٥- ابن خلدون ( عبدالرحمن بن محمد)؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء السادس، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٦- ابن خلدون ( عبدالرحمن بن محمد)؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، المجلد الرابع، بيروت، بدون تاريخ طبع.

٧- ابن خياط (خليفة بن خياط)؛ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٨- ابن سعد (أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري)؛ الطبقات الكبرى، مج٢، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

٩- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله)؛ فتوح مصر والمغرب، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٩٩٥م.

١٠- ابن عذاري ( أبو العباس أحمد المراكشي)؛ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، الجزء الثاني، تحقيق ومراجعة، أ.س كولان، أليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

١١- أبو زكريا ( يحيى ابن أبي بكر)؛ سير الأئمة وأخيارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا؛ تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

١٢- الأشعري ( أبو الحسن علي بن إسماعيل)؛ مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، الجزء الأول تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٥م.
١٣- البكري (أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز)؛ المُغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، باريس، ١٩٦٥م.
١٤- الثعالبي (عبد العزيز)؛ تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق د. أحمد بن ميلاد، محمد ادريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
١٥- الدرجيني ( أبو العباس أحمد بن سعيد)؛ طبقات المشايخ بالمغرب، الجزء الأول، تحقيق إبراهيم طلاي،، مطبعة البعث، قسطنطينية، الجزائر، ١٩٧٤م.
١٦- الذهبي ( أبو عبد الله محمد بن احمد عثمان)؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المجلد الثالث، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، مصر، ١٩٦٣م.
١٧- الذهبي (محمد بن الحافظ)؛ العبر في خبر من غبر، الجزء الأول، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.
١٨- الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم)؛ تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله علي الزيدان، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
١٩- الزر كلي (خير الدين)، الأعلام، المجلد الرابع، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م.
٢٠- الطبري ( أبو جعفر محمد بن جرير)؛ تاريخ الأمم والملوك، المجلد الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م.
٢١- الطبري ( أبو جعفر محمد بن جرير)؛ تاريخ الأمم والملوك، الجزء الخامس، [راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء]، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بدون تاريخ طبع.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

٢٢- القاضي عياض (عياض بن موسى بن عياض السبتي )؛ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، الجزء الثالث، تحقيق عبدالقادر الصحروي، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٦م.
٢٣- القلقشندى (أحمد بن علي)؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الخامس، تعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٢٤- المالكي ( أبو بكر عبد الله بن محمد)؛ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية، الجزء الأول، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٥- مؤلف مجهول؛ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
٢٦- المقري ( أحمد بن محمد التلمساني )؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء الأول، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
٢٧- الناصري ( أحمد بن خالد)؛ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الأول، تحقيق أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الرباط، ٢٠٠١م.
٢٨- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)؛ نهاية الأرب في فنون الأدب؛ الجزء الرابع والعشرين، تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهوائي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٣م.
٢٩- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله بن ياقوت )؛ معجم الأدباء، المجلد السادس – الجزء الثاني عشر–، مطبعة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

## المراجع


١- إبراهيم بيضون؛ الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.

٢- أحمد الطاهري؛ المغرب الأقصى ومملكة بني طريف خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٣- السيد عبد العزيز سالم؛ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٤- السيد عبدالعزيز سالم؛ تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨١م.

٥- العميد عبد الرزاق محمد أسود؛ موسوعة الأديان والمذاهب، الجزء الثاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٢م.

٦- حسين مؤنس؛ فجر الأندلس "دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح حتى قيام الدولة الأموية"، الشركة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

٧- سعد زغلول عبد الحميد؛ تاريخ المغرب العربي، الجزء الثاني، دار المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

٨- عزيز أحمد؛ تاريخ صقلية الإسلامية، نقله إلى العربية وقدم له أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠م.

٩- عبدالرحمن علي الحجي؛ التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.

١٠- عبد الواحد ذنون طه؛ دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، دار المد الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

١١- عبد الوهاب بن منصور؛ قبائل المغرب، الجزء الأول، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨م.

١٢- محمد حقي؛ البربر في الأندلس، دار المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٣- محمد عبدالله عنان؛ دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول، إصدار مكتبة الأسرة، طباعة مكتبة الخانجي بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.


للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

١٤- محمد عيسى الحريري؛ مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي، دار المعارف، الكويت، ١٩٨٣.
١٥- محمود إسماعيل؛ الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
١٦- محمود إسماعيل؛ مغربيات" دراسة جديدة"، المحمدية، المغرب، ١٩٧٧م.

## المقالات والدوريات

١- إبراهيم القادري بوتشيش؛ علاقة الخلافة الإسلامية بمنطقة سوس إبان عصر الخلافة، قراءة وملاحظات، أعمال ندوة أكادير الكبرى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر- أكادير- الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٢- حسن حافظي علوي؛ "مادة بني واسول،" معلمة المغرب، ج.٥، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا، ١٩٩٢م.
٣- حسين مؤنس؛ ثورات البربر في أفريقية والأندلس، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد العاشر، الجزء الأول، مايو ١٩٤٨م.
٤- محمود مكي: الخوارج في الأندلس، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، تطوان، مطبعة كريما ديس، العدد الأول، ١٩٥٦م.

## المراجع الأجنبية

1- M.Lomard, L'Islam dans sa première grandeur,Flammarion, Paris،1971
2- E.Levi-provençal, Histoire del' Espagne musulmane, Paris-Leiden, 1950, T.I, p37.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

# مؤلفات أهـل اليمن عن الأُسر والبيوتات الشهيـرة (دراسة في التراث العربي – الإسلامي)

الأستاذ المتمرس الدكتور
محمد كـريم إبراهيم المدحتي[1]

**الملخص:**

من ظواهر التخصص في كتابة التاريخ اليمني: المؤلفات التي تُعنى بأخبار الأسر والقبائل والبيوتات الشهيرة، وهو منهج تاريخي يدخل ضمن اهتمام واختصاص مؤلفي التراجم، الذين اهتموا بأخبار هذه الأسر والبيوتات، وخصصوا لكل أسرة أو بيت كتابًا مستقلًا على حِدة، ويرجَح أن الاهتمام بهذه المؤلفات يُعد امتدادًا لاهتمام أهل اليمن بالتأليف في مجال الأنساب، الذي شكل جزءًا من تاريخ وتراث هذا البلد العريق، كونه مهد العرب الأول وعلى أرضه نشأت الحضارات القديمة، ورافق ذلك ظهور الكثير من الأنبياء والأولياء الصالحين على تربة هذا البلد المعطاء، فكان أهله السباقين للاهتمام بالأنساب والأصول والأعراق؛ للحفاظ على السلالات الأصيلة من العرب العاربة (القحطانية) أصل العرب جميعًا، وامتد هذا الاهتمام إلى التأليف في أنساب الخيول وتأصيل سلالاتها وأعراقها وأصولها

(1) كلية التربية للعلوم الإنسانيـة – جامعة بابل / العراق.

النقية؛ لأن الخيول كانت جُزءًا مهمًا من تاريخ العرب في مهدهم الأول: اليمن.

إن هذا البحث الذي نقدمه يمثل بانوراما زاهية الألوان، توضح لنا اهتمام أهل اليمن بأنسابهم وأعراقهم وسُلالاتهم عبر العصور التاريخية، وسيكون منهجنا دراسة مؤلِّف كل كتاب وترجمته بصورة موجزة ومركزة، وذكر كتابه من خلال المصادر والمراجع المتوفرة، وبيان فيما إذا كان مخطوطًا أو منشورًا أو مفقودًا، وذلك باتباع تسلسل مؤلفي التراث اليمني عن الأسر والبيوتات الشهيرة في اليمن وأنسابها، إذ أن هنالك مؤلفات عنيت بالأُسر وخصصت لها حصرًا، فضلًا عن مؤلفات أخرى مؤلفة عن أنساب هذه الأسر وأصولها، وسنتبع تاريخ وفاة المؤلف دليلًا على تسلسل هذه المؤلفات من خلال ترجمة مؤلفيها، مقترنًا بسنة وفاته بالتاريخين الهجري والميلادي، وإذا تعذر تحديد تاريخ وفاته فيتم ترتيبه وفق العصر الذي عاش فيه، من خلال القرن الهجري وما يقابله بالميلادي.

## Abstract

### The Publications of the Yemenis on the famous families and houses

by the emeritus prof:
**Mohammed Kareem Ibrahim (ph.D)**
University of Babylon
College of Education of Human Sciences

It is a historical tradition, which attracts Authors who are interested in pursuing family relations and who usually write a full book about every family. This is because Yemen is the area of the Qahtani Arabs.

They even wrote about Yemeni horses, which were an important part of their life.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

Iam going to expose the well- Known authors and arrange them according to their ages by inserting the death year of each of theem.

It is hoped that this work will be significant addition in this field.

**المقدمة:**

يتميز تاريخنا العربي قبل الاسلام وبعد ظهور الاسلام في عصوره المتعاقبة، بسيطرة الأُسر على الحكم بشكل كيانات سياسية، ففي عصر ما قبل الاسلام ظهرت كيانات عديدة في شبه الجزيرة العربية وأطرافها، كان قيامها من قبل أُسر عربية قبلية لأسباب سياسية وتجارية، أبرزها: السبئيون والمعينيون والقتبانيون والحميريون والمناذرة والغساسنة والأنباط والتدمريون ودولة كِندة (الكِنديون).

وبعد ظهور الاسلام وانتشاره، تعاقبت على الحكم في العالم العربي والاسلامي أُسر عربية وغير عربية (إسلامية) على شكل كيانات سياسية في مشرق الدولة العربية – الاسلامية ومغربها، بدءًا من عصر الرسالة والخلفاء الراشدين، ومن بعدهم: الأمويون والعباسيون والحمدانيون والمرداسيون والطاهريون والصفاريون والفاطميون والعقيليون والمروانيون والبويهيون والسلاجقة والخوارزميون، وركزت الدراسات الحديثة على دراسة تلك الأُسر التي ظهرت في أرجاء العالم الإسلامي ولأوقات متباينة، فأبرز المؤلفون المحدثون دورها ونظمها وسياستها وعلاقاتها.

وظهر نشاط آخر للأسر المنحدرة من أصول عرقية توارثت الوزارة، كما توارثت سالفتها الخلافة والقيادة والإدارة، أمثال: البرامكة وآل سهل وآل الربيع، واستمرت هذه الظاهرة خلال القرون التالية بظهور أسر توارثت الوزارة، مثل: بنو خاقان، بنو الفرات، بنو الجراح، بنو جهير، بنو العميد، بنو مقلة، بنو المهلبي، بنو المغربي، بنو وهب والبريديون، وازداد نفوذ هذه الأسر أكثر من سالفتها وتوارث أبناؤها هذا

المنصب، كما شهد تاريخنا العربي الإسلامي ظهور أسر توارثت القضاء وبرزت في هذا المجال الحيوي المهم في أرجاء العالم الإسلامي، نُشرت عنها دراسات علمية كثيرة، فضلًا عن المؤلفات العامة.

وتأسيسًا على ما ذكرناه نؤكد أن أجدادنا العرب العظام كان لهم اهتمام واضح ومتميز بالأنساب لتوثيق أصولهم وأعراقهم، من خلال المؤلفات الكثيرة المخصصة للأنساب، التي امتدت عبر تاريخهم قبل الإسلام واستمرارًا بعد ظهور الإسلام وانتشاره، وتركز الاهتمام بالأنساب من خلال مؤلفات أهل اليمن وأهل الحجاز بها اهتمامًا متميزًا، مثل: مؤلفات هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت:204هـ/ 819م)، ولسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت: بعد سنة 360هـ/ 970م) في موسوعته الشهيرة: (الإكليل) في عشرة أجزاء، لم تر النور منها سوى أربعة أجزاء فقط، هي: الأول والثاني والثامن والعاشر، أما الأجزاء الأخرى فهي مفقودة؛ بسبب العنعنات القبلية؛ لأن المثالب المذكورة فيه عن بعض قبائل اليمن، كانت السبب في تعذر وجوده كاملًا، فأعدمَ أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب، وتابعوا إعدام النسخ فحصل فيه النقص، ومن المتعذَر وجود نسخة كاملة منه، ولعل بعض أجزائه أُحرِقت من قِبَل بعض القبائل؛ بسبب المثالب والخلافات القبلية المعروفة، ولقيت مؤلفات أخرى كثيرة مصير كتاب الإكليل للهمداني، للأسباب المشار إليها آنفًا، منها كتاب: المفيد في أخبار زبيد للملك جياش بن نجاح الحبشي، المتوفى سنة 498هـ/ 1105م.

## أولًا-المؤلفون والمؤلفات عن الأسر والبيوتات الشهيرة في اليمن:

أما أبرز مؤلفي الكتب المتخصصة بالأسر والبيوتات الشهيرة وأنسابها في اليمن، وفق تسلسل وفياتهم، مع ذكر مؤلفاتهم، فهم كالآتي:

- ابن دعسين، الشيخ الفقيه قطب الدين أبو بكر بن أحمد الزبيدي، ولد سنة



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م، وله شيوخ كثيرون من اليمن ومكة، اجتمع باليافعي[1] فكانا يتباحثان في أمور التصوف، وله عناية بالسياحة والزهد، عَدّه أهل التراجم والسير من جملة الصوفية في اليمن، توفي في مدينة زَبيد[2] سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م[3]. وأبرز مؤلفاته عن الأُسر والبيوتات الشهيرة وأنسابها في اليمن، هي:

1- **العقد الفريد في أنساب بني خالد بن أُسيد**: ذكر فيه أنساب بطون بني حسن ورزام بن يحيى بن زكريا بن خالد بن أُسيد، القادم إلى اليمن في عهد بني أمية، ونقل عنه المؤرخ جحاف[4] في تاريخه[5] ولا نعلم مصير كتابه هذا، هل هو مخطوط، منشور أو مفقود.

2- **الكامل في الأنساب**: جمع فيه سيرة جده زكريا بن خالد الأموي القادم إلياليمن، وأنساب أولاده وأحفاده إلى عصر المؤلف[6]، ولا نعلم مصير كتابه هذا مثل سابقه.

- الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن حسن بن أبي بكر بنَ وهَّاس الزَبيدي اليمني، من كبار مؤرخي اليمن، أوقَفَ جهوده على جمع تاريخ بلاده، وكان في أول أمره يَتعاطى مِهنة البِناء، ثم قَرَّبَهُ إليه الملك الاشرف[7] الرسولي، فوضع باسمه عدة مؤلفات، توفي سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م[8] ولا نعلم مصير كتاب الخزرجي، المعنون:

3- **المحصول في انتساب بني رسول**: لعله بقصد دفع الأقوال التي رجحت انتساب بني رسول إلى التركمان[9].

أورد الخزرجي في مقدمة الجزء الأول من كتابه: العقود اللؤلؤية في تاريخ

الدولة الرسولية، عنوانًا للباب الأول، بما نصه: "في ذكر انتساب الملوك بني الرسول وكيف كان السبب في دخولهم اليمن واستقلالهم بالمُلك فيها"، مشيرًا إلى أن أعرق ملوك اليمن في المُلك في الجاهلية والإسلام، هم: ملوك حِمْيَر وملوك غَسّان؛ لهذا يقال: حمير أرباب العرب وغَسان أرباب الملوك، وأضاف الخزرجي في حديثه عن شخصية الحارث الرائش، أنه تقلد قيادة ملوك كهلان وولده، على سنن آبائه من كهلان في حفظ الممالك والذَب عنها وسَد ثغورها، وكان الحارث الرائش مُحدَّثًا، والمُحَدَّث هو الذي يتحدث عن مستقبلات الزمان، ويخبر بما سيكون من الحوادث قبل كونها، فيأتي الأمر بتصديق ما يقوله، فكان الحارث الرائش كذلك، وله في هذا الشأن عدة قصائد، منها القصيدة التي أولها: [الوافر].

**أنـا الـمَـلِـكُ الـمُـتَـوجُ ذُو العطايا جَـلـبـتُ الـخَـيـلَ مـن أوطـانِ سَـام**

وتقع القصيدة في (21) بيتًا، وربما أنها أكثر من هذا، وقد أخبر في هذه القصيدة بمن يملك اليمن بعده من حمير وبنيهم، فكان كما قال، ولم تزل ملوك قحطان يتوارثون مُلك اليمن إلى قيام دولة الإسلام[10].

وقد شرح الخزرجي[11] هذه القصيدة، قائلًا: "وقد كنتُ شرحتُ هذه القصيدة التي قالها الحارث الرائش في جزء لطيف وسميته: **المحصول في انتساب بني الرسول**، وذلك لما شهدتُ به من صحة انتسابهم، وقَلَّ أن يوجد دليل على صحة نسب أحد من الناس كصِحة هذا النَسبَ".

أراد الخزرجي إثبات انتساب بني رسول الى الغساسنة ملوك اليمن القدامى قبل ظهور الإسلام، ودفع الشبهة عما قيل عن انتسابهم إلى التركمان.

- الناشري، أبو النجباء محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عمر، ولد سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م، ودرس على يد علماء زَبيد، ثم ولي قضاء القحمة[12] وقضاء زَبيد، وكان معتقَدًا عند الناس جاهرًا بالحق، توفي سنة



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

٨٢١هـ/ ١٤١٨م[13]. ولا نعلم مصير كتابه، المعنون:

4- **غرر الدرر في مختصر السير وأنساب البشر**، يقول عنه الزَبيدي: انه في تاريخ أسرته آل ناشر، ومنه نقولات في تحفة الزمن للأهدل، وسماه: الدرر[14].

- ابن دعسين، الشيخ رضي الدين أبو بكر بن أحمد (الطيب) بن أبي بكر بن أحمد القرشي، كان فقيهًا محققًا، ولي قضاء مَوزع[15]، ثم انفصل عنه واشتغل بالتدريس، توفي سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م[16] ولا نعلم مصير كتابه، المعنون:

5- الدر **النضيد في أنساب بني أُسيد**[17]، وهو ذيل على كتاب: العقد الفريد في أنساب بني أُسيد، لجده الفقيه القطب أبي بكر بن أحمد[18]، فهو حفيده كما يتضح من سلسلة نسبه.

- الناشري، عفيف الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر، ولد سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م، يعد من العلماء المشتغلين في علم التاريخ وغيره، أخذ في علم القراءات عن ابن الجزري[19]، وحَجَّ مِرارًا، ثم عُين مدرسًا في إحدى مدارس مدينة زَبيد، ثم رتبه الملك الظاهر الرسولي[20] في التدريس بمدرسته، وبعد ذلك انتقل إلى حصن حَب[21]، وعمل مُدَرسًا في المدرسة الأسدية[22]، توفي بالطاعون الكبير سنة ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م[23]، ولا نعلم مصير كتابه، المعنون:

6- **البستان الزاهر في طبقات بني ناشر**[24]، وصفه السخاوي[25] بأنه مفيد في بابه وقد طالعه وفيه استطرادات لغير بني ناشر.

ذَيَّلَ عليه قريبه: تقي الدين حمزة بن عبد الله الناشري (الآتي ذكره) ، وسماه: البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر.

وصف البريهي[26] عثمان الناشري وكتابه، (لكنه لم يذكر عنوانه صريحًا) ، قائلًا: " وأما السادة العلماء من بني الناشر فقد صَنْف المقرئ عفيف الدين عثمان الناشري في ذِكرهم وتحقيق نَسَبهم مُصّنَفًا جعله مجلدًا كبيرًا، وجعل لهم شجرة جمعهم بها وذكر من سَكنَ زَبيد ومن سكن غيرها منهم".

- الخطيب، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، ولد في مدينة تريم[27] سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م، وعاش حياة صوفية محبًا لأهله، توفي سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م[28] . وعنوان كتابه، المخطوط:

7- **الجوهر الشَفاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف من آل أبي علوي وغيرهم من الأولياء العِراف**، مخطوط في مجلدين بمكتبة شخصية بمدينة تريم، وأخرى مصورة في الكويت[29] .

- ابن عُمَير، عبدالله بن معروف بن محمد بن عبد الله بن محمد، من علماء اليمن في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، أدرك زمن الأهدل (الحسين بن عبد الرحمن، المتوفى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) ، مؤلف كتاب: تحفة الزمن بذكر سادات اليمن[30] . ولا نعلم مصير كتابه، المعنون:

8- **بغية المراد في مناقب المشايخ السادة آل باعَبّاد**، ذكر الأهدل أن مؤلفه قَدِمَ به إلى الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله اليافعي، بخط أحد علماء آل عباد، ويتضمن مناقب عبد الله بن محمد باعباد وأحواله وكراماته، فعمل لها الشيخ ابن عمير مقدمة، وأسماه: بغية المراد...، ولعله إضافات على كتاب: المنهج القويم[31] .

**وكتاب المنهج القويم في مناقب الشيخ القديم**، عبدالله بن محمد باعَبّاد وأولاده وأحفاده، مخطوط في مكتبة الشيخ علي بن عبد الرحمن باعَبّاد في حضرموت،



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

ومؤلفه محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد باعَبّاد، كان من كبار المحققين، أخذ عنه جماعة من العلماء، توفي سنة 801هـ/ 1398م[32]. ولا نعلم مصير هذا الكتاب.

- الناشري، تقي الدين حمزة بن عبد الله بن محمد، ولد سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، تلقى العِلم عن شيوخ مدينة زَبيد، ثم رَحِل إلى مكة، ولقي السخاوي سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، فأخذ عنه وزوده بتراجم علماء بلده، وقد عُرِف باللَطافة وكثرة الزواج، عَمَّر إلى أن قارَبَ المائة سنة، توفي سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م[33]. ولا نعلم مصير كتابه، المعنون:

9- **البُستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر**، وهو ذيل على كتاب سلفه السابق، رجع إليه السخاوي[34]، وسماه سيد[35]: **البستان الزاهر في طبقات علماء بني ناشر**، وهو في تاريخ علماء بني ناشر، ذَيَّل به كتاب: "**البُستان الناشر**..."، لعفيف الدين عثمان بن عمر الناشري المتوفى سنة 848هـ -المُتَرجَم له آنفًا.

- باعلوي، جمال الدين محمد بن علي بن علوي، المعروف بـ: صُرَد اليمني، من فقهاء حضرموت، عني بجمع التاريخ وتدوين تراجم بعض الأعلام، توفي سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م[36]، له:

10- **غرر البهاء الضوي في ذكر العلماء من بني جديد وبصري وعلوي**، كتاب في التراجم مخطوط بمدينة تريم / مكتبة الجامع، طبع في مصر (القاهرة) بإشراف حفيده[37].

- ابن الوزير، أحمد بن عبد الله بن أحمد، ولد سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م، ومن شيوخه صالح النمازي وغيره، وقد بَرِع في علم الحديث وانتهت إليه الرئاسة فيه، حَجَّ سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م، واجتمع في أثناء عودته إلى

اليمن بأحد علماء صعدة وفيها استقر، توفي سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م[38]، وكتابه المخطوط، بعنوان:

11- **الفضائل في تاريخ السادات العلماء الكُمُل بني الوزير**، تمم به كتاب جده السابق، ومنه مخطوطات عديدة في مكتبات: رضا رامبور (مصورة في معهد المخطوطات العربية برقم 3035) ، وأخرى في الامبروزيانا تاريخها 1053هـ/ 1643م، رقم P556، وثالثة في المكتبة نفسها رقم A133، ورابعة خط قديم في مكتبة الجامع الكبير الغربية / صنعاء رقم (24) تاريخ[39].

وبخصوص مُؤلِف تاريخ جده (السابق) المذكور آنفًا، فهو: محمد بن العفيف بن الوزير، لم نطلع على تاريخ وفاته، وعنوان كتابه: (**الفضائل في تاريخ السادة الأعلام آل الوزير**) ، وهذا الكتاب هو الأصل الأول لكتاب: أحمد بن عبد الله الوزير في تراجم أعيان أسرته، وقد أضاف إليه الأخير وَسَّعهُ، مخطوط مكتبة الجامع الكبير/ صنعاء رقم 119 تاريخ، منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية[40].

- ابن دعسين، القاضي الكبير عبد الملك بن عبد السلام بن عبد الحفيظ بن عبد الله الأموي القرشي اليمني، ولد سنة ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م، وبَرِعَ في علوم التصوف والحديث والتفسير، كان عاملًا بالكتاب والسنة، وصف بـ: المؤرخ اللغوي، توفي في بندر المخا[41] في شهر ربيع الأول سنة ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م[42]. ولا نعلم مصير كتابه المعنون:

12- **قرة العين بمعرفة بني دعسين**[43]، فرغ من تأليفه سنة 993هـ/ 1585م[44].

- محمد العيدروس بن عبد الله بن شيخ العيدروس، المولود في مدينة



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

تريم سنة ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م، حفظ القرآن الكريم، ثم رحل إلى الهند سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م، ولازَمَ جده في عدة علوم، توفي سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م، ألف كتابًا اختصر فيه كتاب صرد، بعنوان:

13- **مختصر كتاب غرر البهاء الضوي في مناقب بني علوي**[45].

- الأهدل، أبو بكر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد، ولد سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م تقريبًا، في تهامة ودرس على عدد من علماء زبيد وتهامة، له مؤلفات عديدة، واستجاز من معظم شيوخه ومن علماء الحرمين، نظم الشعر، وبرع في علم الفقه والتاريخ، وكان من علماء عصره.

ترجم لنفسه في كتابه: نفحة المندل، فذكر ولادته في قرية المراوعة[46]، ثم أدخله والده مدينة زَبيد، توفي سنة 1035هـ/ 1626م[47]. وله عدة مؤلفات، هي:

14- **نفحة المندل بذكر بني الاهدل**[48]، مخطوط بحوزة منصب المراوعة، وأخرى نسخة مكتبة محمد بن قاسم البحر خطيب الزيدية[49].

15- **النور الباسم في مناقب بني الاهدل**، ذكره الحفظي[50] في شرح منظومة عقد اللآل[51]، مخطوط.

16- **الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية**[52]، وهو في تاريخ أسرته.

وهو مطبوع، بتحقيق: أ. محمد طاهر محمد طاهر الأهدل، أ. مزيلي محمد مضوني الأهدل، درويش محمد عبد الله الأهدل، إبراهيم عبد الله أحمد الأهدل، (صنعاء، 2002م).

وهنالك مؤلِف آخر، هو: محمد أديب الأهدلي، وكتابه المطبوع، بعنوان: **القول الأعدل في تراجم بني الأهدل**، مطبعة الشرق، الطبعة الأولى، (حمص، 1359هـ).

- أبو عَلّامَة، محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين المؤيدي، أدرك عصر



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الإمام القاسم بن محمد، واشترك معه في حرب الاتراك، وَرُتبَ في صعدة، ثم خرج عن طاعة الإمام ودخل تحت ولاء الأتراك، ثُمَّ رحل من صنعاء إلى صعدة، و توفي سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م[53]. من مؤلفاته كتابه المخطوط، المعنون:

17- **روضة الألباب وتحفة الأحباب وبغية الطلاب ونخبة الأحساب في معرفة (لمعرفة) الأنساب**، عرف بـ: مُشجَّرَ أبي عَلَّامة في أنساب أهل البيت في اليمن، وكان المعتمد عليه في أنسابهم عند أهل اليمن، مخطوط تاريخه 1086هـ، أمبروزيانا 7 ، أخرى في المكتبة نفسها 18 ، وثالثة: مكتبة الجامع الكبير/ صنعاء رقم 24 تراجم، ونسخ أخرى[54].

- ابن بحر، محمد بن الطاهر بن أبي القاسم بن أبي الغيث بن أبي القاسم بن ابي بكر الحسني اليمني، ولد في قرية المنصورة من أعمال بيت الفقيه سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م، ودخل مدينة زَبيد للدراسة سنة ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م، فأخذ العلم عن علمائها ثم حَجَّ سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م، والتقى في مكة بجماعة من العلماء، وأصبح من أكابر العلماء في عصره، توفي سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م، وله كتابه المعنون:

18- **تحفة الدهر في أنساب الأشراف من بني بحر ونَسَب من حُقِقَ نسبه من أهل العصر**، مخطوطة مكتبة الجامع الكبير الغربية/ صنعاء، 144 ورقة برقم 53 تراجم، وأخرى رقم: 54 تاريخ[55].

وعند مراجعتنا فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء[56]، ورد ذكر نسختين من هذا الكتاب المخطوط، الأولى بعنوان: **تحفة الدهر في أنساب بني بحر**، مؤلفها: محمد بن الطاهر البحر، مكتوبة بخط نسخي متوسط وبدون تاريخ النسخ، في 138 ورقة، فيها أثر رطوبة والإرضة واضحة بنهاية المخطوط، رقمها: 53 تاريخ.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أما النسخة الثانية، فكان عنوانها: **تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر**، مؤلفها: محمد بن الطاهر البحر، منسوخة أخرى، نسخة محمد بن عثمان بن حسن الوصابي، بخط نسخي حديث جدًا، في 16 ذي القعدة (بدون) ، أي: بدون تاريخ، في 237 صفحة، في النهاية مقابلة بتاريخ السبت 17 ذي القعدة 1370هـ/ 1951م، ونرجح بأنها سنة النسخ.

أولها بخط الناسخ عبد الرحمن المسوري إلى صفحة 87 فقط، ثم أكمل نسخِها الوصابي. بدايات النسَب بالمِداد البنفسجي، رقمها: 54 تاريخ.

- المؤيدي، إبراهيم بن محمد بن أحمد، عاش في صعدة، ودعا لنفسه بالإمامة ثم نُحِّيَ عنها للإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، وأَقطَعَهُ مدينة رغافة[57] وما إليها من البلاد، توفي بصعدة سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م[58]. ولا نعلم مصير كتابه، المعنون:

19- **الروض الباسم في أنساب آل القاسم الرسي**[59].

- الشلّي، جمال الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد باعلوي، ولد في حضرموت سنة ١٠٣٠هـ/ ١٦٢١م، أخذ العلم عن علمائها في عدة علوم، مثل: الفقه والتصوف، وكان أغلب تنقله بين مدينتي تريم وظفار[60] في حضرموت، ثم رحل إلى الهند والحجاز، واستقر في مكة إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢[61]. لهُ مؤلَف مطبوع، بعنوان:

20- **المَشرَع الروَي في مناقب السادة بني عَلوي**، ضَمَّنهُ تراجم (278) شيخًا من علماء السادة الأشراف في حضرموت، طبع في مصر (القاهرة) سنة 1319هـ/ 1901م[62].

وألف عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس (الآتي ذكره) ، المتوفى سنة 1193هـ/ 1779م، ذيلًا، أي تكملة للمشرع الروي.

- الجرموزي، أحمد بن الحسن بن المطهر، ولد في صنعاء سنة ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٥م، وكان من أكابر رجال الدولة في عصره، وله مشاركة في علم الأدب، توفي سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م[63]. ألف كتابه الذي لا نعلم مصيره، هل هو: مخطوط، مطبوع، مفقود، بعنوان:

21- **قلائد الجوهر في أبناء بني المطهر**[64]، ذكر فيه تراجم جماعة من أهله الأدباء والشعراء من آل المطهر بن أحمد الجرموزي[65].

- العيدروس، عبد الرحمن بن مصطفى، ولد بمدينة تريم سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م، من العلماء الصوفية، رحل إلى مكة وزَبيد، ثم استقر في مصر (القاهرة) ، وتوفي فيها سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م[66]، لهُ ثلاثة كتب، هي:

22- **مرآة الشموس في مناقب بني العيدروس**، في مجلدين تاريخه سنة 1180هـ/ 1766م، مخطوط في مكتبة آل يحيى بمدينة تريم.

23- **عقود الجواهر في فضل الآل آل طاهر**، مخطوط مصور بجامعة أم القرى[67]، في مكة المكرمة.

24- **ذيل المشرع الروي في مناقب بني علوي**[68]، ولا علم لنا عنه هل هو: مخطوط ، أو مطبوع، أو مفقود.

- الجفري، شيخ بن محمد بن شيخ، من علماء حضرموت، رحل إلى الحجاز، واستقر في الهند، توفي سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م[69]، ألف كتابه المعنون:

25- **الكوكب الدري في نسب آل الجفري**، مخطوط مكتبة آل يحيى في مدينة تريم[70].

- الأهدل، القاسم (أبو القاسم) بن أبي الغيث بن أبي القاسم بن عبدالله الأهدل، ولد سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، نشأ في قرية المنيرة[71]، وتلقى علومه



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

على يد علماء بني الأهدل، منهم والده، توفي سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م. وكتابه بعنوان:

26- **الدرة الخطيرة في أعيان المنيرة**، مخطوط تاريخه سنة 1257هـ/ 1841م، مكتبة محمد بن قاسم البحر في الزيدية[72].

- الكوكباني، الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد، ولد سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، سافر إلى مكة سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م، والتقى هناك بالأديب إبراهيم بن محمد الأمير، وكان أديبًا ذكيًا، حفظ عدة دواوين شعرية ونظم الشعر الشعبي والفصيح، توفي سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م[73] وكتابه المخطوط، بعنوان:

27- **المواهب السنية والفواكه الجنية من أغصان الشجرة المهدوية والمتوكلية**، في أنساب من ينتسب إلى الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى والإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين، مخطوط سنة 1272هـ/ 1855م، مكتبة الجامع الكبير الغربية/ صنعاء، رقم: 57 تراجم، وأخرى في المكتبة نفسها، رقم:59 تراجم[74].

وبمراجعة فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء[75] وجدنا بعض الاختلاف في عنوان الكتاب، **وهو: المواهب السنية مما مَنَّ الله تعالى من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية**، وفي المكتبة أربع نسخ مخطوطة من الكتاب، تشترك في العنوان الذي ذكرناه، لكنها تختلف في عدد أوراقها وقياس أحجامها، الأولى برقم: 189 تاريخ، والثانية تحمل الجزء الأول، رقمها: 190 تاريخ، والثالثة تحمل الجزء الثاني، رقمها: 191 تاريخ، والرابعة تحمل أيضًا: الجزء الثاني، رقمها: 192 تاريخ.

- الأهدل، محمد بن أحمد بن عبد الباري، ولد سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، ودرس على يد بعض أقاربه، وحَجَّ سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م، واجتمع



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بعلماء مكة، وأصبح إمامًا راسخًا في جميع العلوم، يلتجأ إليه الطلبة لحل المشكلات، توفي سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م[76]. وكتابه المطبوع، بعنوان:

28- **المنهج الأعدل في ترجمة الشيخ علي الاهدل وبعض ذُريته واتباعه،** رتبهُ على أربعة أبواب، الأول: في نَسبَ الشيخ علي الأهدل، الثاني: في بدايته، الثالث: في كراماته، الرابع: في أولاده. طبع في بومباي سنة 1287هـ/ 1870م، والشيخ علي بن عمر الأهدل هو جد آل الأهدل، توفي الشيخ علي سنة 604هـ/ 1207م[77].

- ابن شهاب الدين، أبو بكر بن عبد الرحمن العلوي، ولد سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م في مدينة تريم، وأخذ العلم عن علماء حضرموت، ثم رحل إلى مكة وَساحَ في أكثر البلدان، كان من كبار الشعراء في عصره، توفي بحيدر آباد (في الهند) سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م[78]، وكتابه بعنوان:

29- **سلالة آل أبي علوي، وهو مطبوع**[79].

- باكثير، محمد بن محمد بن أحمد، ولد سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، في مدينة سيئون بحضرموت، وأخذ العِلم عن جماعة من العلماء، وكان أكثر إقامته ببلدته معتكفًا بأحد مساجدها، توفي سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م[80]. من مؤلفاته كتابان هما:

30- **البنان المشير إلى فضلاء آل أبي كثير**[81]**، في تراجم أعيان أسرته،** مخطوط في منزل ابن المؤلف[82] في مدينة سيئون.

31- **العدة في تراجم المنتمين إلى كندة**[83]، ولا نعلم مصيره هل هو: مخطوط، أو منشور، أو مطبوع.

- بافضل، محمد بن عوض محمد بافضل، ولد سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م، من العلماء الأدباء، عاش في حضرموت ورحل إلى بلدان عدة، توفي سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ألف كتابا بعنوان:



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

32- **صلة الأهل في مناقب فضلاء بني فضل**، مجلد ضخم في مناقب أعيان هذه الأُسرة، مخطوط بمكتبة السيد أبي بكر بن أحمد بافضل في مدينة تريم في حضرموت[84].

- الحَدَّاد، علوي بن طاهر بن عبد الله الهَدّار، ولد سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، ببلدة قيدون[85] من دوعن[86] بحضرموت، وأخذ العِلم عن شيوخ حضرموت، منهم: العَلّامة أحمد بن حسن العَطّاس، ثم تَصَدَر للتدريس والوعظ مدة، ورحل إلى بلدان إسلامية عدة، وأخيرًا استقر في الملايو عند سلطان جِهوَر، وتولى وظيفة الإفتاء حتى وفاته سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م. من مؤلفاته عن الأسر اليمنية وأنسابها، كتابان هما:

33- **طبقات بني علوي، مخطوط بحوزة ابن المؤلف.**

34- **رسالة في تاريخ آل عبد الملك بن علوي وأنسابهم**[87]، ولا نعلم عنه هل هو: مخطوط، أو منشور، أو مفقود.

- **باحنان، محمد بن علي بن عوض بن سعيد بن زاكن، ولد في مدينة عينات**[88] سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، درس على العَلّامة الحسن بن إسماعيل الحامد، ورحل إلى قرىً عدة في حضرموت لنشر العِلم، توفي سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، له ثلاث مؤلفات عن الأُسر الشهيرة في اليمن وأنسابها، لا نعلم مصيرها، هل هي مخطوطة، أو مفقودة، أو منشورة، هي:

35- **الفَرَج بعد الشِدَّة في إثبات فروع كِندة.**

36- **مَنهل العِرفان في تراجم مشاهير بني حَنان.**

37- **العقود الحِسان في شَجرة فروع بني حَنان**[89].

- باوزير، مزاحم بن سالم، من علماء القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، له كتاب مطبوع، بعنوان:

38- **رَفع الحجاب عن نسب بني وزير**، طبع في مصر (القاهرة) سنة 1329هـ/ 1911م، في (220) صفحة[90].

## ثانيًا - مؤلفون ومؤلفات أخرى:

نختتم بحثنا بذكر مؤلفين آخرين ومؤلفاتهم، لم نجد لهم تراجم كافية وواضحة، فضلًا عن عدم تأكدنا من العصر أو القرن الذي عاشوا فيه، وعدم اطلاعنا على سنوات وفياتهم، نوردهم هنا إتمامًا للفائدة؛ بهدف استكمال هذا البحث التراثي، المعبر عن أصالة تاريخ أمتنا وتراثها في جزء مهم وعريق من أرضها الطيبة المعطاء: اليمن بلد العِلم والحضارة.

- باجَمَّال، أحمد بن محمد موذن باجمال الأصبحي، ذكر الحبشي أنه لم يقف على ترجمته، ولعله من أهل القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، واطلع الحبشي على كتاب المشرع الروي لمؤلفه محمد بن أبي بكر بن أحمد الشلي باعلوي، في ترجمة: طه بن عمر السقاف المتوفى سنة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م، فذكر أنه من تلاميذ أحمد بن محمد باجَمّال، وانه عاش في قرية الغرفة[91]؛ لذا نرجح وفاته في القرن الحادي عشر الهجري. له كتاب، بعنوان:

39- مطالع الأنوار في بروج الجمال ببيان الشجرة والمناقب لآل أبي جمال[92]. وليست لدينا معلومات عن مصير هذا الكتاب، أهو مخطوط، أو منشور، أو مفقود.

- الحضرمي: ذكر الحبشي أنه لم يجد من ترجم له. وكتابه بعنوان:

40- مناقب بني سُود، في تراجم المنتسبين إلى الفقيه سُود بن الكميت، المتوفى



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

سنة 430هـ/ 1039م، رجع إليه الأهدل في تاريخه[93]. ومعلوماتنا عن هذا الكتاب مجهولة تمامًا، فلا علم لنا بمصيره، هل هو: مخطوط، أو منشور، أو مفقود.

- السماوي، محمد بن محمد بن عبد الجبار، ولد سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، في سماة ناحية عُتمة[94] وتخرج فيها على علمائها، ثم رحل إلى ذمار وأخذ عن الشيخ صالح الحوذي وغيره، ورحل إلى زَبيد وسمع الحديث على فقيهها السيد سليمان بن محمد الأهدل، ثم قصد صنعاء للأخذ أيضًا، وهو من كبار العلماء[95]. له مؤلف، بعنوان:

41- السمط الحاوي بتراجم النبلاء من بني السماوي[96] ولا نعلم إذا كان مخطوطًا، أو منشورًا، أو مفقودًا.

- المرزوقي، يحيى؟ له مؤَلَف، بعنوان:

42- تاريخ بني مرزوق، جمع تراجم أعيان هذا البيت المنتسبين إلى الشيخ مرزوق بن مبارك، وقد رجع إليه الشرجي[97] في كتابه: طبقات الخواص[98]، ولا علم لنا بمصير هذا التاريخ، هل هو: مخطوط، أو منشور، أو مفقود.

## الاستنتاجات:

لعل أبرز الاستنتاجات التي توصلنا إليها من بحثنا هذا، تتمحور حول اهتمام أهل اليمن بتدوين أنسابهم وأصولهم وأعراقهم وتوثيقها، من خلال هذه المؤلفات التي شكلت لونًا من ألوان الكتابة التاريخية عند أهل اليمن، وهي امتداد لما عرفوا به من اهتمامهم بتدوين الأنساب والأصول القبلية منذ عصر ما قبل الإسلام، فخلدوا سلاسل أنسابهم بمشجرات النسب المعروفة، فضلًا عن المؤلفات الخاصة بتراجم رجال هذه الأُسر العريقة، خلال مرحلة طويلة من العصور التاريخية، امتدت إلى



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

أواخر القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي، وقد تنوعت المؤلفات الخاصة بين هذه الأسر اليمنية: من أسر ذات أصول عربية قبلية عامة، إلى أُسر السادة العلويين أمثال: بني الأهدل، السقاف، العطاس، الحداد، باعلوي... ومعظم المؤلفين عن هذه الأسر والبيوتات من الحضارمة.

برزت من خلال البحث مؤلَفات عديدة لأكثر من مؤلِف من أسرة واحدة ولأكثر من قرن وعصر، كما في مؤلفات: بني الأهدل، بني دعسين، الناشري، باعلوي، باوزير... يجدها القارئ الكريم في ثنايا هذا البحث العلمي المتواضع.

## هوامش البحث وتعليقاته:

(1) عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح، ولد سنة 696هـ وتوفي سنة 768هـ، من مؤلفاته التاريخية: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان (مطبوع)، فيه أخبار كثيرة عن اليمن. سيد. مصادر تاريخ اليمن ص146-147.

(2) زَبيد: بفتح أوله وسكون ثانيه، اسم وادٍ به مدينة يقال لها: الحُصَيب، ثم غلب عليها اسم الوادي (زَبيد) نسبة إلى رافد من روافده بالسحول، يسمى: زَبيد، وهي مدينة مشهورة استحدثت في خلافة المأمون العباسي وقامت فيها أول إمارة شبه مستقلة في اليمن، تم اختطاطها في شهر شعبان سنة 204هـ/ 819م. الحموي، معجم البلدان، 3/ 131-132، الحجري، مجموع بلدان اليمن، ص262، 381-384، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص296-297.

(3) الشرجي. طبقات الخواص ص 178، الحبشي. مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص 46-47، 447. سيد. مصادر تاريخ اليمن ص146، وسمّاه: (دعسين).

(4) لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد جحاف الصنعاني، ولد سنة 1189هـ وتوفي سنة 1243هـ، من مؤلفاته: التاريخ الجامع ويعرف بـ: ( تاريخ جحاف). سيد. مصادر ص289-290.

(5) حاجي خليفة. كشف الظنون ص 1151، الحبشي. مصادر الفكر ص 447، 462. وسمّاه سيد: العقد الفريد في أنساب بني أُسيد. مصادر ص146.

(6) حاجي خليفة. كشف الظنون ص1381، سيد. مصادر ص146، الحبشي، مصادر الفكر ص462.

(7) أبو العباس إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد علي الغساني، سابع سلاطين بني



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

رسول في اليمن، ولد سنة 761هـ، وتوفي سنة 803هـ. سيد مصادر. ص157-158.

(8) السخاوي. الضوء اللامع 5/ 21، سيد. مصادر ص161، الحبشي. مصادر الفكر ص447، 466، الأكوع، محمد بن علي بن الحسين ( المحقق). مقدمة كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي، ج1/ 9-11.

(9) سيد. مصادر ص165، الحبشي. مصادر الفكر ص447، 467.

(10) الخزرجي. العقود اللؤلؤية ج1/ 17-19.

(11) المصدر نفسه 1/ 02-12.

(12) القحمة: بُليدة قرب زبيد على ساحل البحر الأحمر شمال جازان، وهي قصبة (مركز) وادي ذؤال، وهي للأشاعرة وفيها خولان وهمدان. الحموي، معجم البلدان، 4/ 113، الحجري، مجموع، ص851، المقحفي، معجم البلدان، ص615.

(13) السخاوي. الضوء اللامع 5/ 108، سيد. مصادر ص167، الحبشي. مصادر الفكر ص447، 548.

(14) الحبشي. مصادر الفكر ص468، وسمّاه: **غرر الدرر في أنساب بني ناشر**. المرجع نفسه ص 447. ولم يذكر سيد كتابه هذا، بل ذكر من مؤلفاته: تاريخ اليمن، ويعرف بـــ: تاريخ الناشري. مصادر ص167.

(15) مَوزَع: بفتح الميم والزاي، وهو المنزل السادس لحاج عدن، من مدن تهائم (سواحل البحر الأحمر) اليمن، وهي بلدة من أعمال المخا. الحموي، معجم البلدان، 5/ 221، الحجري، مجموع، ص724، المقحفي، معجم البلدان، ص674.

(16) السخاوي. الضوء اللامع 11/ 17، البريهي. طبقات صلحاء اليمن ص 114، 312، الحبشي. مصادر الفكر ص470.

(17) الحبشي. مصادر الفكر ص470.

(18) راجع المؤلِف الأول وكتابه تسلسل رقم (1) من بحثنا هذا.

(19) الشمس أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي المقرئ، ويعرف بـــ: ابن الجزري؛ نسبة الى جزيرة ابن عمر قرب الموصل، كان أبوه تاجرًا، ولد ابنه محمد ليلة السبت 25 رمضان سنة 751هـ/ 1350م في دمشق، فنشأ فيها وأخذ القراءات عن عدد من العلماء ورحل الى القاهرة والاسكندرية، وتفرد في علم القراءات في جميع الدنيا ونشره في كثير من البلاد، وله كتب كثيرة نافعة، أبرزها: غاية النهاية في طبقات القراء وهو كتاب منشور ومعروف، وكانت وفاته في مدينة شيراز يوم الجمعة 5 ربيع الأول سنة 833هـ/ 1430م. السخاوي، الضوء اللامع، 9/ 255-262، ترجمة رقم: 808، الشوكاني، البدر الطالع، 2/ 257-259.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

(20) يحيى بن إسماعيل بن عباس الرسولي، بويع بالسلطنة صبيحة يوم الجمعة 10 جمادى الآخرة سنة 831هـ/ 1428م في مدينة تعز، ودخل مدينة زبيد دخولًا معظمًا، ومن مآثره في مدينة تعز: المدرسة الظاهرية التي ابتدأ بعمارتها في 27 شعبان سنة 835هـ/ 1432م وقبره فيها، توفي الملك الظاهر في مدينة زبيد بعد دخوله إليها قادمًا من تعز يوم 26 رجب سنة 842هـ/ 1439م، وكان مريضًا فأقام بها ثلاثة أيام، وكانت وفاته آخر يوم الجمعة من شهر رجب المذكور، ونقل جثمانه الى مدينة تعز، ودُفن في مدرسته الظاهرية-كما ذكرنا. الديبع، بغية المستفيد، ص109، 112-114.

(21) حُصن حَب: قلعة مشهورة باليمن من نواحي سبأ ولها كورة تسمى: الحبية. الحموي، معجم البلدان، 2/ 211، المقحفي، معجم البلدان، ص160-161.

(22) موقعها في حافة الميهال من مغربة تعز، وتسمى: مدرسة دار الأسد، بنتها دار الأسد ابنة الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول (ت:677هـ/ 1278م)، زوج الملك المظفر، وهي أم ولده الملك الواثق إبراهيم، وابنته ماء السماء، والمُرجح أن مدرستها شُيدت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

كانت دار الاسد من خيرة النساء في الدين والصدقة، وقد وقفت على مدرستها وقفًا جيدًا، وتوفيت سنة 704هـ/ 1305م، الجَنَدي، السلوك، 1/ 467-468، الخزرجي، العقود اللؤلؤية، 1/ 300، الأكوع، المدارس الاسلامية، ص 136-137، 139.

(23) السخاوي. الضوء اللامع 5/ 134، الحبشي. مصادر الفكر ص22. سيد. مصادر ص178، (وذكر ولادته سنة 803هـ/ 1401م).

(24) الحبشي. مصادر الفكر ص471، ونسبه الشوكاني إلى حمزة بن عبدالله الناشري خطًا. البدر الطالع 1/ 238.

(25) الضوء اللامع 5/ 134، وذكر انه تصنيف في الناشريين، أي: بنو ناشر، وذكر (سيد) أن السخاوي طالعه ووصفه بأنه: مفيد، وأنه استطرد فيه لغير بني ناشر مع فوائد ومسائل. مصادر ص178.

(26) طبقات صلحاء اليمن ص 316.

(27) تريم: إحدى مدينتي حضرموت؛ لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها، ومدينتاها: شبام وتريم، وهما قبيلتان سميت المدينتان باسميهما. الحموي، معجم البلدان، 2/ 28.

وتريم احدى مدن حضرموت القديمة، سميت باسم: تريم بن السكون بن الأشرس بن



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

كندة، ويقال إن أول من عمّرها: تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر، فهي إذن تنسب إليه، وهي مدينة عامرة بالعلم خرج منها عدد كبير من العلماء والفقهاء والمشايخ الأجلاء. الحجري، مجموع، ص143-144، المقحفي، معجم البلدان، ص 106-107.

(28) السقاف. تاريخ الشعراء الحضرميين 1/ 77، الحامد. تاريخ حضرموت2/ 300، الحبشي. مصادر الفكر ص471.

(29) الحبشي. مصادر الفكر ص 471 - 472.

(30) المرجع نفسه ص 471، 474.

(31) المرجع نفسه، ص474، ينظر عن ترجمة عبد الله بن محمد باعَبّاد: باوزير. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص 129-130.

(32) الحامد. تاريخ حضرموت 2/ 683، باوزير. الفكر والثقافة ص 133-134، الحبشي. مصادر الفكر ص465.

(33) راجع عن ترجمته: السخاوي. الضوء اللامع 3/ 164، الشوكاني. البدر الطالع 1/ 238، البغدادي. هدية العارفين 1/ 338، سيد. مصادر ص198، الحبشي. مصادر الفكر ص 369، 447.

(34) سيد. مصادر ص198، الحبشي. مصادر الفكر ص477، وذكر الشوكاني تأليف حمزة بن عبد الله الناشري، كتاب: البستان الزاهر في طبقات بني ناشر. البدر الطالع 1/ 238، والصحيح هو: ذيل على كتاب عثمان بن عمر الناشري.

(35) مصادر تاريخ اليمن، ص198.

(36) السقاف. تاريخ الشعراء الحضرميين 1/ 143، سيد. مصادر ص209، الحبشي. مصادر الفكر ص56، وسماه: (خُرّد).

(37) سيد. مصادر ص209، وسمّاه الحبشي: غرر البهاء الضوي في مناقب السادة بني بصري وجديد وعلوي. مصادر الفكر ص479.

(38) زبارة. ملحق البدر الطالع للشوكاني ص36-37، سيد. مصادر ص212، الحبشي. مصادر الفكر ص 58، 447.

(39) الحبشي. مصادر الفكر ص480، وسماه سيد: **تاريخ السادات العلماء الكمل النبلاء الفضلاء**، ويعرف بـ: (تاريخ بني الوزير)، وهو في تاريخ أسرة الاشراف بني الوزير



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

باليمن، وفيه معلومات مهمة عن تاريخ الزيدية الهادوية في اليمن. مصادر ص212.

(40) الحبشي. مصادر الفكر، ص464.

(41) المَخا: موضع باليمن بين زَبيد وعدن على ساحل البحر الأحمر، وبندر (ميناء) معروف على ساحل البحر الأحمر غربي تعز، ويُعد فُرضة بلاد تعز. الحموي، معجم البلدان، 5/ 67، الحجري، مجموع، ص694.

(42) زبارة. ملحق البدر الطالع ص 141-142، سيد. مصادر ص221، الحبشي. مصادر الفكر ص427، 447.

(43) زبارة. ملحق البدر الطالع ص 141، سيد. مصادر ص221، الحبشي. مصادر الفكر ص484، وسمي: **قرة العين لمعرفة بني دعسين**. المرجع نفسه ص 447، والصواب ما ذكرناه أولًا في متن البحث أعلاه.

(44) حاجي خليفة. كشف الظنون ص 1324، الحبشي. مصادر الفكر ص484، وقال (سيد) أوله: "الحمد لله الذي جعل بني آدم شعوبًا وقبائل...". ذكر (المؤلف) أنه صنف أولًا كتابًا في ذكر غالب أهله بني دعسين وسمّاه بـ: "**عقد الجوهر الزين المنتقى من الدر النضيد في أنساب خالد بن أسيد**"، ومضت على ذلك مدة فنقحه وهذبه، وفرغ من نسخه أواخر شهر رمضان سنة 992هـ/ 1584م. مصادر تاريخ اليمن ص221-222.

(45) الحبشي. مصادر الفكر الإسلامي ص485.

(46) المَراوعة: من مشاهير قُرى تهامة اليمن، تقع شرق الحديدة، يعود تاريخ عمارتها الى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، لها أعمال واسعة في العبسية وبيت الفقيه أحمد بن عجيل، والعبسية ناحية واسعة من تهامة، مركزها: المراوعة، وهي من قبائل عك، سميت الناحية باسم القبيلة، وتمتد بلاد العبسية من سفح جبل برع الى ساحل البحر الأحمر. الحجري، مجموع، ص574، 704، المقحفي، معجم البلدان، ص434-435، 609.

(47) زبارة. ملحق البدر الطالع ص 14، الحبشي. مصادر الفكر ص240، 447.

(48) البغدادي. ايضاح المكنون 2/ 267، زبارة. ملحق البدر الطالع ص14، سيد. مصادر ص227، وسماه: **نفحة المندل في تراجم السادة بني الأهدل**، الحبشي. مصادر الفكر ص486.

(49) الزيدية: بلدة في تهامة اليمن من ناحية وادي سردد شمال الحديدة، لها أعمال واسعة،



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

منها: بلاد الجرابح، الحشابرة، صليل، وشبه جزيرة الصليف، قرب كمران، ومن قرى بلاد الزيدية: المنيرة، القناوص، الصخي في بلاد الجرابح. الحجري، مجموع، ص397-398، المقحفي، معجم البلدان، ص304-305.

(50) إبراهيم بن أحمد بن عبد القادر، ولد سنة 1199هـ، سافر إلى مدينة أبي عريش فأخذ عن علمائها، وكان أكثر تفننه في علوم العربية والنحو، توفي سنة 1257هـ. الحبشي، مصادر الفكر، ص436، 486، وذكر كتابه: نفحة المندل.

(51) عقد اللآل بتحقيق ما سنح في أيام ولاية جعفر باشا من تصاريف الأحوال، لمؤلفه عبدالله بن صلاح الدين بن داود بن داعر، كان حيًا سنة 1020هـ/ 1611م. سيد. مصادر ص222-223.

(52) سيد. مصادر ص 227، الحبشي. مصادر الفكر، ص447، 486.

(53) ذكر فؤاد سيد ان وفاة المؤيدي بعد سنة 1035هـ/ 1625م، وذكر (سيد) أن المؤيدي وثّقَ في كتابه: **روضة الألباب**...، أنساب العترة النبوية وغيرهم مُشجرّة، وانتهى فيه إلى سنة 1035هـ/ 1625م، وللمؤيدي كتابٌ آخر بعنوان: **مُستخرج في نسب آل باعلوي**. مصادر تاريخ اليمن ص226.

(54) الحبشي، مصادر الفكر ص486-487.

(55) المرجع نفسه ص 490.

(56) المليح وعيسوي. فهرس مخطوطات المكتبة الغربية ص652، وسماه الحبشي: تحفة الدهر في تراجم بني بحر للمؤرخ محمد الطاهر بن بحر. مصادر الفكر ص447.

(57) رغافة: قرية على مرحلة من صعدة باليمن، اشتهرت بمعدن الحديد الذي يسبك فيها. الحموي، معجم البلدان، 3/ 53، ورغافة قرية مشهورة من بلاد جُماعة وأعمال صعدة، اشتهرت بمعدن الحديد المعروف بجودته وحسنه وكثرته. الحجري، مجموع، ص369، وحدد المقحفي موقع رغافة في الغرب الشمالي من مدينة صعدة، وقد انجبت علماء أعلامًا، وعرفت بمعدن الحديد المشهور بـــ: الحديد الصعدي. معجم البلدان، ص279.

(58) الحبشي. مصادر الفكر ص181، 490.

(59) المرجع نفسه ص491.

(60) ظفار: مدينة باليمن قرب صنعاء، وهي التي يُنسب إليها: الجزع الظفاري، وبها كان مسكن



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ملوك حِمْيَر. الحموي، معجم البلدان، 4/ 60.

وظفار المشهورة هي: ظفار حمير، عاصمة التبابعة ملوك حمير، وهي في رأس ربوة مشرفة على حقل قتاب من بلاد يريم، بها من الآثار ما يبهر العقول، فهي منطقة أثرية في الجنوب من يريم، تضم العديد من الآثار في عصر ما قبل الاسلام وفي العصر الاسلامي، من: البيوت المنقورة في الجبل ومخازن المياه والأسوار والقلاع والحصون والمساجد والأضرحة والمقابر. الحجري، مجموع، ص564-565، المقحفي، معجم البلدان، ص420-421.

(61) سيد. مصادر ص245، الحبشي، مصادر الفكر ص 541-542.

(62) سيد. مصادر ص246، وسماه: (المشرع الروي في مناقب السادة آل أبي علوي)، الحبشي، مصادر الفكر ص491.

(63) زبارة. ملحق البدر الطالع ص 25، الحبشي مصادر الفكر ص496، سيد. مصادر ص254.

(64) الحبشي. مصادر الفكر ص496، وقيل عنوانه: **قلائد الجوهر في ابنَي بَني المُطَهّر**. زبارة. ملحق البدر الطالع ص25، وسماه سيد: **قلائد الجوهر في أنباء بني المطهر**. مصادر ص254.

(65) الحبشي. مصادر الفكر ص496، سيد. مصادر ص 254.

(66) السقاف. تاريخ الشعراء الحضرميين 2/ 189، الحبشي. مصادر الفكر ص 332.

(67) الحبشي. مصادر الفكر ص501-502.

(68) المرجع نفسه ص 501.

(69) المرجع نفسه ص 336.

(70) المرجع نفسه 504.

(71) المُنيرة: القرية من قرى تهامة اليمن المشهورة في بلاد الزيدية. الحجري، مجموع، ص398، 722.

والمنيرة بضم الميم وكسر النون، تقع غرب الزيدية بمسافة ثمان كيلو مترات، وفيها مركز الناحية. المقحفي، معجم البلدان، ص671.

(72) سيد. مصادر ص 292، الحبشي، مصادر، ص506.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

(73) سيد. مصادر ص 297، الحبشي، مصادر، ص396.

(74) الحبشي، مصادر الفكر ص508، سيد، مصادر، ص297، وذكر أنه يقع في مُجلدين فيهما سيرة آل جده الإمام المهدي أحمد، ومن وازرهم واتصل بهم من العلماء إلى عصره، المرجع نفسه ص298.

(75) المليح وعيسوي. فهرس مخطوطات المكتبة الغربية ص702-703.

(76) الحبشي. مصادر الفكر ص275، سيد. مصادر ص 304.

(77) الحبشي. مصادر الفكر ص512، سيد. مصادر ص 304، وسماه: **المنهج الأعدل في ترجمة العلامة علي الأهدل**، وفرغ من تأليفه سنة 1267هـ.

(78) الحبشي، مصادر الفكر ص402، عن تفاصيل ترجمته، راجع: الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي ج2/ 433-434، 449-450، 455-463.

(79) الحبشي. مصادر الفكر ص517.

(80) المرجع نفسه ص440

(81) ذكره الحبشي بعنوان آخر: **البنان المشير في فضل آل باكثير**. مصادر الفكر ص 440.

(82) ذكر د. باصرة ان نسخته المخطوطة في منزل المؤلف في سيئون. حضرموت... ببليوغرافيا مختارة ص23.

(83) الحبشي. مصادر الفكر ص 518؛ باصرة. حضرموت، ص23.

(84) المرجع نفسه ص520.

(85) قيدون: بلدة في وادي دوعن بحضرموت، بها آل العمودي، وبها مشهد الشيخ أحمد بن المغربي، وله في تلك الناحية ذرية صالحون. الحجري، مجموع، ص658-659، المقحفي، معجم البلدان، ص543.

(86) دوعن: هو الوادي الرئيسي في حضرموت، وعليه تشرع القرى والمدن، ينسب إليه أبو عبدالله الحسين بن عبدالله الدوعاني، كان معاصرًا للفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي. الحجري، مجموع، ص335، المقحفي، معجم البلدان، ص250.

(87) الحبشي. مصادر الفكر ص523.

(88) عينات: مدينة حضرمية، تقع الى الجنوب الشرقي من مدينة تريم، على وادي عينات.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

المقحفي، معجم البلدان، ص484.

(89) الحبشي، مصادر، ص524-525.

(90) المرجع نفسه، ص526.

(91) الغُرفة: موضع من اليمن بين جرش وصعدة في طريق مكة، من قرى حضرموت ذات نخيل ومزارع، وبها فقراء صالحون يعرفون بـ: آل أبي عباد. الحموي، معجم البلدان، 4/ 194، الحجري، مجموع، ص623.

(92) الحبشي، مصادر الفكر ص 494.

(93) المرجع نفسه، ص 464.

(94) عُتمة: بالضم، ناحية مشهورة من بلاد ذمار في الجنوب الغربي من صنعاء، على بعد ثلاث مراحل من صنعاء، وهي ناحية واسعة كثيرة الخيرات، فيها من بيوت العلم: بنو السماوي. الحجري، مجموع، ص576-577؛ المقحفي، معجم البلدان، ص436.

(95) الحبشي، مصادر الفكر. ص405-406.

(96) المرجع نفسه. ص527.

(97) طبقات الخواص، ص3، 155.

(98) الحبشي. مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص464.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

## مصادر البحث ومراجعه:


- الأكوع، القاضي اسماعيل بن علي بن الحسين الحوالي.

١- المدارس الاسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ومكتبة الجيل الجديد/ صنعاء، (بيروت، د.ت).

- باصرة، أ.د. صالح علي عمر.

٢- حضرموت... ببليوغرافيا مختارة، دراسة رقم (١)، ضمن كتاب دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، (عدن، ٢٠٠١م).

- باوزير، الأستاذ سعيد عوض بن طاهر.

٣- الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، دار الطباعة الحديثة، (القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

- البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن، (ت:٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م).

٤- طبقات صلحاء اليمن، المعروف بـ: تاريخ البريهي، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني/ صنعاء، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

- البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد، (ت: ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م).

٥- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، مجلد ١-٢، الطبعة الثالثة، (طهران، ١٩٦٧م).

٦- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مجلد ١-٢، الطبعة الثالثة، (طهران، ١٩٦٧م).

- الجَنَدي، ابو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب، (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).

٧- السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الاكوع الحوالي، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

♦ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب – جلبي، (ت: ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م).

٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلد ١-٢، (بغداد، د. ت).

♦ الحامد، صالح بن علي، (ت: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

٩- تاريخ حضرموت، ج٢، (بيروت، ١٩٦٨م).

♦ الحبشي، أ. عبد الله محمد.

١٠- مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، (صيدا – بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

♦ الحجري، القاضي محمد بن أحمد.

١١- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مجلد ١-٢، ج١-٤(متسلسل الصفحات)، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوع، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الطبعة الأولى، (صنعاء، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

♦ الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله، (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

١٢- معجم البلدان، (٥ مجلدات بلونين)، منشورات دار صادر، الطبعة الثامنة، (بيروت، ٢٠١٠م).

♦ الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس، (ت:٨١٢هـ/ ١٤١٠م).

١٣- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج١،٢، عني بتصحيحه: محمد بن علي الأكوع الحوالي، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني/ صنعاء و: دار الآداب/ بيروت، الطبعة الثانية، (بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

♦ الديبع، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر، (ت: ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م).

١٤- بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق: الدكتور يوسف شلحد، منشورات دار العودة، (بيروت، ١٩٨٣م).

♦ زبارة، محمد بن محمد بن يحيى، (ت: ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

١٥- ملحق البدر الطالع، (مطبوع بعد المجلد الثاني من كتاب: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني)، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، د.ت).


للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

♦ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ( ت: ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).

١٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٣، ٥، ٩، ١١، منشورات دار الجيل، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

♦ السقاف، السيد عبد الله بن محمد بن حامد، (ت: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

١٧- تاريخ الشعراء الحضرميين، مطبعة حجازي، (القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م).

♦ سيد، أيمن فؤاد.

١٨- مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة، ١٩٧٤م).

♦ الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر.

١٩- أدوار التاريخ الحضرمي، ج١-٢، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، (جدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

♦ الشرجي، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف، (ت: ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م).

٢٠- طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دار المناهل للطباعة والنشر، (بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

♦ الشوكاني، شيخ الإسلام محمد بن علي، (ت: ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م).

٢١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج١،٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، د.ت).

♦ المقحفي، إبراهيم أحمد.

٢٢- معجم البلدان والقبائل اليمنية، منشورات دار الكلمة، الطبعة الثانية، (صنعاء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م).

♦ المليح، أ. محمد سعيد & عيسوي، أ. أحمد محمد.

٢٣- فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، منشأة المعارف، (الإسكندرية، ١٩٧٨م).



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

# خصوصية العلاقة بين الأمراء الحاتميين والدولة الرسولية في عهد الملك المظفر يوسف بن عمر (647 - 694هـ)

د / محمد منصور علي بلعيد[1]
د / محمد عبدالله سعيد الميسري[2]

## ملخص البحث

يتناول هذا البحث العلاقة التي جمعت الأمراء الحاتميين وعلى رأسهم في ذلك الحين الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بالدولة الرسولية في عهد الملك المظفر يوسف بن عمر (647 – 694هـ) التي اتخذت أشكالًا وصورًا عديدة، وتميزت بالخصوصية عن باقي علاقات الملك المظفر الأخرى.

ومن أشكال هذه الخصوصية وصورها، ما أُسند إليهم من مهام دلت في مجملها على الثقة المطلقة والاحترام المتبادل والتحالف الصادق الذي وصل في بعض مراحله إلى حد التضحية بالنفس والمال في سبيل خدمة هذا الملك ودولته الرسولية، ومن أبرز هذه المهام: حماية حدود الدولة الرسولية من الاعتداءات الزيدية، والتنسيق مع

(1) أستاذ مشارك / كلية التربية – زنجبار.
(2) أستاذ مشارك / كلية التربية – زنجبار.

القبائل في مناطق اليمن الأعلى للانضمام للدولة الرسولية، وزرع بذور الخلاف بين أعدائها من الأشراف الزيديين وغيرهم، وتمثيل الملك المظفر فيما يرجو فعله وتنفيذ أوامره على أكمل وجه. ولعل طريقة تعامل الملك المظفر مع هؤلاء الأمراء وما أبداه من رفعة وتكريم لهم، دليل على عرفانه بالجميل لتضحياتهم، وانعكاس لخصوصية التعامل معهم.


## ABSTRACT

This research deals with the relationship between Al Hatimeens princes, headed by Prince Badr al-Din Muhammad ibn Hatim in the apostolic state during the reign of King Muzaffar Yusuf bin Omar (647-694 AH), which took many forms and images, which were distinguished from the rest of the other Muzaffar relations.

The forms and images of this particularity, which were entrusted to them in terms of total confidence and mutual respect and sincere alliance, which reached at some stages to the extent of self-sacrifice and money for the service of this king and his apostolic state, the most important of these functions: protection of the borders of the Apostolic State of The Zaydi attacks, coordination with the tribes in Yemen's highest regions to join the apostolic state, sowing the seeds of disagreement between its enemies of Zaydis and others, and representing the Muzaffar king in what he hoped to do and execute his orders to the fullest. The dealing way of Muzaffar with these princes, and valorization and the honor shown by them, is a sign of gratitude for their sacrifices and a reflection of the specificity of dealing with them.




للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

**المقدمة:**

تُعد الدولة الرسولية من أبرز الدول المستقلة في اليمن من حيث الازدهار والعمر، كما يُعد عهد الملك المظفر يوسف بن عمر، أطول عهود الملوك الرسوليين كافة. ونظرًا لما أسلفنا، كان على الطائفة الإسماعيلية عامة، وقبيلة همدان على وجه الخصوص، أن تمد جسور التواصل مع هذا الملك بعد توليه الحكم في الدولة الرسولية في سنة 647هـ، بوصفه الملاذ الآمن، والقادر على حمايتها من التسلط الزيدي القادم من الشمال صوب مناطق تواجدها في صنعاء وما حولها.

وحتى لا يكون الحديث على وجه العموم، علينا أن نشير إلى ذلك الانقسام الذي حدث في صفوف هذه الطائفة، في أواخر عهد السيدة بنت أحمد الصليحي، بسبب عدم التزام الدعاة الإسماعيلية في مصر بالفكر الإسماعيلي الذي لا يجيز انتقال الخلافة من الأخ لأخيه أو ابن عمه، ويحصرها في الابن دون سواه، وهو ما تم تجاهله من قبلهم بعد تجويز بعضهم انتقال الخلافة من الآمر بأحكام الله إلى ابن عمه الحافظ، وكان المفترض أن تنتقل إلى ولده الطيب. فظلت الإسماعيلية في اليمن مخلصة للدعوة الطيبية، مما أدى إلى انفصالها عن الدعوة الحافظية في مصر.

وعلى أثر هذا الانقسام، وما نتج عنه من تضييق على الإسماعيلية في اليمن، اتخذ الإسماعيلية من بني حاتم الهمدانيين خطوة نحو تغليب المصلحة القبلية على المصلحة المذهبية، ورسموا لأنفسهم خطًّا يختلف كثيرًا عن ذلك النهج الذي استمر عليه بقية الدعاة الإسماعيلية في اليمن. وبنوا لهم دولة في صنعاء وما حولها، أطلق عليها البعض: " دولة شعب همدان" في إشارة إلى أساسها القبلي البعيد كل البعد عن المذهب الإسماعيلي. واستمرت هذه الدولة حتى الفتح الأيوبي لليمن في سنة 569هـ.

وإذا كانت العلاقة بين بني حاتم الهمدانيين والدولة الأيوبية قد شابها الكثير من التعقيدات لأسباب ليس المجال هنا لذكرها، فإن العلاقة بين بني حاتم والدولة الرسولية في عهد الملك المظفر قد اتخذت طابعًا آخر ساد فيه الاحترام المتبادل القائم على المصالح المشتركة حينًا، والعدو المشترك (الزيدي) في أحيان كثيرة. على أن الملك المظفر لم يرضَ من بني حاتم وغيرهم سوى الاندماج الكامل تحت حكم الدولة الرسولية، وهو الأمر الذي نتج عنه انقسام داخلي بين بني حاتم، إذ عارض هذا الأمر الأمراء من نسل السلطان حاتم بن أحمد في حصن ذي مرمر، كونه أخل بالاستقلالية التي تعودوا عليها منذ عقود، بينما رحب به أبناء عمومتهم في حصن العروس، وعلى رأسهم – في ذلك الحين – الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، كونه يمنحهم فرصة للظهور السياسي، وتصدُّر الموقف، والتطلع لرئاسة بني حاتم وهمدان عامة، وهو الأمر الذي لن يتسنى لهم إلا بالتعرض لخدمة الملك المظفر، والسير في ركبه. فكان من نتائج هذا الانقسام أن تم إخضاع كل من وقف معارضًا للملك المظفر، بمن فيهم السلاطين الحاتميون في حصن ذي مرمر، بينما جمعت هذا الملك بالأمراء الحاتميين في حصن العروس علاقة ذات طابع خاص يختلف كليًا عن باقي علاقاته الأخرى في مناطق اليمن الأعلى.

وعلى هذا الأساس، أسندت لهؤلاء الأمراء مهام جسيمة، دلت على الثقة المطلقة التي منحها لهم الملك المظفر، ومن أبرز تلك المهام: التفاوض مع مختلف الأطراف في مناطق اليمن الأعلى نيابة عنه، والتحدث باسمه – بعد التشاور معه – حول أدق الأمور السياسية والعسكرية والمالية المتعلقة بالدولة الرسولية، كما تم تكليفهم بشراء الحصون من الراغبين في بيعها، وإسقاط المعارضة منها عسكريًا إذا لزم الأمر، ناهيك عما أبداه هؤلاء الأمراء من النصح والإرشاد للملك



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المظفر، مما يدل على صدق تحالفهم معه. كما أنهم بذلوا الغالي والنفيس في سبيل هذا التحالف، ولم يبخلوا حتى بأرواحهم دفاعًا عن الدولة الرسولية، ولهذا عرف لهم الملك المظفر قدرهم، وأنزلهم منازلهم التي يستحقون، وأكرمهم كما لم يفعل مع غيرهم.

ولتحقيق الهدف المنشود من هذا البحث، فقد تم تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحث رئيس واحد. خُصص التمهيد في محوره الأول لتناول التاريخ السياسي لبني حاتم الهمدانيين من سنة 492هـ، إلى قيام الدولة الرسولية في سنة 626هـ، كما تطرق التمهيد في المحور الثاني للأوضاع السياسية في الدولة الرسولية في عهد مؤسسها الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول وصولًا إلى سنة مقتله في 647هـ، وكُرس المبحث الرئيس في هذا البحث لاستعراض مجالات وجوانب الخصوصية في العلاقة التي جمعت الأمراء الحاتميين بالملك المظفر في سنوات حكمه التي امتدت من سنة 647هـ حتى وفاته سنة 694هـ، وأنهينا البحث، بخاتمة احتوت أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها، وقائمة بأهم المصادر والمراجع المستخدمة في البحث.

## تمهيد

### أولًا-التاريخ السياسي لبني حاتم الهمدانيين:

يعد السلطان حاتم بن الغشيم الهمداني أول من حكم صنعاء مستقلًا عن الصليحيين[1] بعد وفاة الداعي أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي، وانفراد السيدة بنت أحمد الصليحي بالحكم في الدولة الصليحية وذلك في سنة 492هـ[2]، واستمر

(1) ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تح: عبد الله بن محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني، ط2، دار الحكمة، صنعاء، 1408هـ/ 1988م، ص87.

(2) ابن الحسين، يحيى، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج1، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1388هـ/ 1968م، 1/ 279.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

أمر همدان في آل الغشيم حتى سنة 510هـ[1]، بعدها قررت همدان نقل زمام أمرها من آل الغشيم إلى آل القُبيب الهمدانيين، واختارت لهذا الأمر هشام بن القبيب اليامي الهمداني، إلا أن الخلاف الداخلي الذي حدث - لاحقًا - بين آل القبيب حول الزعامة، أدى إلى عزلهم جميعًا[2]، واجتمعت كلمة همدان في سنة 533هـ، على اختيار السلطان حاتم بن أحمد بن عمران اليامي الهمداني، خلفًا لآل القبيب، نظرًا لما يتصف به من الحكمة والكياسة والفطنة والدهاء[3].

وتعد أسرة آل حاتم هذه من أهم الأُسر التي ساندت الصليحيين في إقامة دولتهم، وفي قتالهم للنجاحيين في تهامة، حتى إن عمران اليامي - جد السلطان حاتم - كان واليًا للدولة الصليحية على منطقة ذي جبلة[4] في عهد المكرم أحمد بن علي الصليحي. بل إنه قُتل، وهو يقاتل دفاعًا عنها في موقعة الكظائم سنة 479هـ[5].

وبتولي السلطان حاتم بن أحمد أمر همدان في سنة 533هـ، ووفاة السيدة بنت أحمد الصليحي في السنة التي قبلها، دانت له صنعاء وما حولها؛ إلا أن الأمر لم يدم

(1) السروري، محمد عبده محمد، تاريخ اليمن الإسلامي، ط1، دار الكتب اليمنية، صنعاء، 1429هـ/ 2008م، ص185.

(2) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 294.

(3) ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص88.

(4) جِبْلة: تقع في جنوب مدينة إب، وتبعد عنها بحوالي (عشرة كيلو مترات)، وهي عبارة عن ربوة شمال جبل التعكر. الويسي، حسين بن علي، اليمن الكبرى "كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي" مطبعة النهضة العربية، القاهرة، 1962م، ص144؛ الحجري، محمد بن أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تح: إسماعيل بن علي الأكوع، ط2، دار الحكمة، صنعاء، 1416هـ/ 1996م، 1/ 31 - 37.

(5) السروري، تاريخ اليمن الإسلامي،ص186.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

طويلًا، إذ بايعت الزيدية المتوكل على الله أحمد بن سليمان[1] إمامًا لهم. وكان من الطبيعي حدوث الصراع بين الطرفين (الزيدي والحاتمي) على صنعاء وما حولها.

وظل الصراع بين الجانبين سجالًا، تارة ينتصر الإمام المتوكل ويسيطر على صنعاء، وتارة ينتصر السلطان حاتم ويطرد الإمام منها، وتارة ثالثة يعقد الطرفان صلحًا إلى حين ثم يُعاودا القتال مرة أخرى، واستمر الوضع على هذه الحال حتى وفاة السلطان حاتم سنة 556هـ[2]، ثم تولي السلطنة من بعده ابنه علي.

وفي عهد السلطان علي بن حاتم اتخذت العلاقة بين الحاتميين والزيديين شكلًا آخر يختلف عن سابقه، وتسوده المودة والألفة بين الجانبين، حتى إنه لما استجد الصراع بين الأشراف من آل القاسم العياني والأشراف من آل الهادي، الذي ينتمي إليهم الإمام المتوكل وأُسِر الإمام المتوكل في إحدى المعارك مع الأشراف القاسميين، اتجه أبناء الإمام المتوكل، إلى السلطان علي بن حاتم، لكي يسعى في إطلاق سراح أبيهم من الأسر، فبذل السلطان علي بن حاتم جهودًا مضنية حتى تم إطلاق سراح الإمام المتوكل[3].

(1) هو أبو الحسن أحمد بن سليمان بن محمد المطهر بن علي بن أحمد بن يحيى بن الحسين... بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد في سنة 500هـ، في منطقة حوث، وقام بأمر الإمامة الزيدية في سنة 532هـ، وعمره لم يتجاوز اثنتين وثلاثين سنة، كانت له وقائع مشهورة مع السلطان حاتم بن أحمد اليامي الهمداني على صنعاء ونواحيها. انظر: الثقفي، سليمان بن يحيى، سيرة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (532 – 566هـ)، تح: عبدالغني محمود عبدالعاطي، ط1، الرياض، 2000م، ص10 وما بعدها؛ المحلي، حسام الدين حميد بن أحمد، الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، ج2، تح: المرتضى بن زيد الحسني، ط1، مطبوعات مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي، صنعاء، 1423هـ/ 2002م، 2/ 219.

(2) ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص89.

(3) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 318.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بعد وفاة الإمام المتوكل أحمد بن سليمان في سنة 566هـ، بايع الأشراف الزيديون المنصور بالله عبدالله بن حمزة[1] إمامًا لهم في سنة 593هـ، وفي عهد هذا الإمام توطدت العلاقة بين السلاطين الحاتميين والأشراف الزيديين بشكل لم تعهده العلاقات الحاتمية – الزيدية عبر تاريخها الطويل، حتى إن الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة تزوج من ابنة أحد السلاطين الحاتميين[2]، وكان الوجود الأيوبي في اليمن – حينذاك – أبرز أسباب هذا التحالف[3].

واستمرت تلك العلاقة تتوطد حتى وفاة الإمام المنصور في سنة 614هـ[4]. وخلال المدة (614 – 646هـ) ظل منصب الإمامة عند الزيدية شاغرًا بسبب استئثار الأشراف الحمزيين (أبناء الإمام المنصور عبد الله بن حمزة) بالسلطة والنفوذ في الدولة الزيدية، فظلت العلاقة وطيدة بين السلاطين الحاتميين وأولئك الأشراف، كما كانت عليه في عهد أبيهم المنصور.

(1) هو الإمام المنصور بالله أبو محمد عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة ابن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، عاصر الأيوبيين في اليمن، وكانت له معهم صولات وجولات حتى وفاته في سنة 614هـ. عن حياة هذا الإمام، وحروبه مع الأيوبيين. انظر: ابن دعثم، أبو فراس بن دعثم الصنعاني، السيرة الشريفة المنصورية، سيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، ج2، ج3، تح: عبدالغني محمود عبدالعاطي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1414هـ/ 1993م، 2/ 29 وما بعدها، 3/ 477 وما بعدها؛ وللمزيد من التفاصيل عن هذا الإمام ودولته المنصورية، انظر: الميسري، محمد عبدالله سعيد، الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ودوره في إحياء الدولة الزيدية في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، 1424هـ/ 2004م، ص29 وما بعدها.

(2) الميسري، الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، ص87.

(3) ابن حاتم: الأمير بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح: ركس سميث ، كمبردج ، 1974م، ص42.

(4) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 406.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بعد ذلك، ظهرت قوة جديدة على مسرح الأحداث السياسية في اليمن، وهم بنو رسول الذين أُسندت لهم مهمة الدفاع عن الدولة الأيوبية في حال غياب ملوكها، واستمر أمر بنو رسول يتعاظم بمرور السنين، وكان على السلاطين الحاتميين التأقلم مع هذا الوضع، وبالفعل جمعت الأمراء الحاتميين علاقات وطيدة مع الأمراء الرسوليين، حتى إن الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول أمر السلطان مدرك بن بشر بن حاتم أن ينظم له قصيدة[1] تتضمن ما حدث في معركة عصر[2]، التي انتصر فيها الأمراء الرسوليين على الأشراف الزيديين، الطامحين إلى السيطرة على صنعاء.

وحين وصلت هذه القصيدة إلى الديار المصرية، حيث كان الملك المسعود الأيوبي هناك في زيارة لوالده الملك الكامل، استعظمها الملك الكامل[3]، وأمر ولده الملك المسعود بالتخلص من الأمراء الرسوليين[4]، وعلى رأسهم الأمير بدر الدين الحسن، حين رأى بفراسته، افتخارهم بأنفسهم، وأنهم يشكلون خطرًا على الوجود الأيوبي في اليمن، حتى قال الأمير بدر الدين محمد بن حاتم[5]: "ولم تخف بنو أيوب على ملك اليمن أحدًا من العرب والعجم، كخوفهم من بني رسول، وذلك لما كان فيهم من علو الهمة، وبُعد الصيت، وحسن سياسة الأمر، وقهر الأعداء".

(1) ابن حاتم، السمط، ص187 – 188.

(2) عَصِر: قرية وجبل غربي صنعاء بمسافة (أربعة كيلومترات)، وقد أصبحت اليوم مع التوسع العمراني جزءًا من صنعاء. المقحفي، إبراهيم بن أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط2، دار الكلمة، صنعاء، 1406هـ/ 1985م، ص455.

(3) ابن حاتم، السمط، ص189.

(4) ابن الأنف، عماد الدين إدريس بن الحسين، نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام في اليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار، مخطوط مصور، دار الكتب المصرية، القاهرة، برقم (1253) (تاريخ)، ق54ب.

(5) السمط، ص189.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

## ثانيًا-قيام الدولة الرسولية على يد الملك المنصور عمر بن علي ابن رسول (626 هـ):

في سنة 626هـ، قرر الملك المسعود الأيوبي مغادرة اليمن لزيارة والده[1]، للمرة الثانية، وكان قبل مغادرته قد عمل بوصية والده التي أوصاه فيها بالتخلص من الأمراء الرسوليين، وتحديدًا الأمير بدر الدين الحسن بن رسول لما يشكلونه من خطر على الوجود الأيوبي في اليمن، فقبض على هؤلاء الأمراء، وأرسلهم إلى الديار المصرية[2]، ما عدا الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، وذلك أن هذا الأمير لم يكن يُظهر حبه للمناصب ورغبته في السلطة، كما أنه لم يظهر عليه يومًا الخيلاء والفخر والكبرياء كما كان يفعل أخوه الأكبر الأمير بدر الدين الحسن بن رسول، ناهيك أنه كان مقربًا من الملك المسعود نظرًا لطاعته العمياء وإخلاصه وتفانيه في خدمة الملك المسعود[3].

ونظرًا لما أسلفنا، أناب الملك المسعود، الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، على بلاد اليمن حتى موعد عودته من الديار المصرية[4]، بعد أن أزاح من أمامه كل العقبات التي قد تعترض طريقه، وعلى رأسها، أخوه الأمير بدر الدين الحسن، وفي أثناء الطريق توفي الملك المسعود بالقرب من مكة[5]، وحين تواترت الأخبار إلى اليمن بوفاته، أظهر الأمير نور الدين بقائه على الولاء للدولة الأيوبية،

(1) الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، عنى بتصحيحه: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، القاهرة، 1329هـ/ 1911م، 1/ 40.

(2) ابن الديبع، أبو الضياء وجيه الدين عبد الرحمن بن علي، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تح: محمد بن علي الأكوع، ط2، المكتبة اليمنية، صنعاء، 1409هـ/ 1988م، ص298.

(3) ابن الديبع، قرة العيون، ص300.

(4) وللخزرجي رواية أخرى حول هذا الأمر، انظر: العقود اللؤلؤية، 1/ 40 – 41.

(5) ابن الديبع، قرة العيون، ص300.

ولم يغير شيئًا مما كان على عهد الملك المسعود.

وفي سنة 628هـ، أيقن الأمير نور الدين بعجز الأيوبيين، عن إرسال من ينوبهم في حكم اليمن، وبدأ يفكر جدِّيًّا بالاستئثار بالسلطة والاستقلال عن الدولة الأيوبية، فاتخذ عدد من الخطوات التي أدت في مجملها إلى انفراده بالسلطة، والتخلص مما تبقى من النفوذ الأيوبي في اليمن، ولعل أبرز هذه الخطوات، ذلك الصلح الذي عقده مع الأشراف الزيديين[1]، الذي نص في أحد بنوده على أن الطرفين (الزيدي والرسولي) حلفاء ضد أي محاولة من قبل الأيوبيين لاستعادة نفوذهم في اليمن[2].

أما السلاطين الحاتميون فكان من مصلحتهم إبرام مثل هذا الصلح، بالنظر إلى العداوة التاريخية[3] بينهم وبين الأيوبيين في اليمن، والتي تمتد جذورها إلى عهد السلطان علي بن حاتم، فحافظوا على علاقات متوازنة مع الرسوليين والأشراف الزيديين على حدٍ سواء، حتى إنهم كانوا هم الوسطاء في هذا الصلح والتحالف، فقد كان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول في أثناء عقد هذا الصلح، يقيم في دار السلطان علي بن حاتم بينما كان الأشراف الزيديون يقيمون في دار السلطان مبارك ابن علي بن حاتم[4].

وعلى الرغم من توتر العلاقة بين الملك المنصور والأشراف الزيديين خلال

(1) ابن الأنف، نزهة الأفكار، ق57ب؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، 1/ 47.

(2) الميسري، محمد عبدالله سعيد، الزيدية في اليمن، ط1، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، 1435هـ/ 2014م، ص83.

(3) تعود هذه العداوة التاريخية، إلى كون الأيوبيين هم من أسقط الدولة الحاتمية، التي أسسها السلطان حاتم بن أحمد اليامي الهمداني، والتي استمرت من سنة 533هـ إلى سنة 569هـ، وهي السنة التي دخل فيها الأيوبيون إلى اليمن، كما ازدادت هذه العداوة ضراوة بعد أن نقض الملك العزيز طغتكين بن أيوب (579 – 593هـ)، الصلح الذي عقده مع السلطان علي بن حاتم، والذي نص على إعطاء السلطان علي بن حاتم جامكية شهرية مقدارها خمسمائة دينار مقابل التنازل عن الحصون والبلاد الحاتمية. ابن حاتم، السمط، ص41.

(4) ابن حاتم، السمط، ص203.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

سنوات عهده، بعد استبعاد الخطر الأيوبي على اليمن، إلا أن السلاطين الحاتميين لم يألوا جهدًا في الصلح بينهما كلما سنحت لهم الفرصة بذلك، وظل هذا ديدنهم حتى مقتل الملك المنصور في سنة 647هـ[1] على يد بعض مماليكه[2] بالقرب من مدينة الجَنَد.

## العلاقة بين الأمراء الحاتميين والدولة الرسولية في عهد الملك المظفر يوسف بن عمر (647 – 694 هـ)

تزامنت بداية عهد الملك المظفر يوسف بن عمر في سنة 647هـ[3] مع قيام المهدي أحمد بن الحسين بأمر الإمامة عند الزيدية[4]، ونظرًا لحالة الفوضى

(1) الخزرجي، العقود اللؤلؤية،1/ 82.

(2) المملوك: هو العبد، وتطلق كلمة مماليك على فئة من الرقيق الأبيض يشتريهم الحكام من أسواق النخاسة البيضاء لتكوين فرق عسكرية خاصة في أيام السلم، ويتم إضافتها إلى الجيش العام أيام الحرب انظر: البستاني، بطرس، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان، بيروت، 1977م، ص862. علي عبد الحليم، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط2، دار عكاظ، جدة، 1402هـ/ 1982م، ص208. العبادي، أحمد مختار، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، مؤسسة شباب الإسكندرية، 1988م، ص11. وكان الملك المنصور قد استكثر من شرائهم حتى بلغت مماليكه البحرية ألف فارس. انظر: ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 433.

(3) الخزرجي، العقود الؤلؤية، 1/ 88 – 90.

(4) هو الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن عبد الله بن القاسم بن أحمد بن إسماعيل بن أبي البركات بن أحمد... بن القاسم الرسي بن إبراهيم... بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ولد في هجرة كومة ببلد شاكر من بلاد الظاهر، وحين بلغ الثانية عشرة من عمره نقله عمه إلى مدرسة مسلت ومنها إلى المدرسة المنصورية بـ(حَوْث)، فقرأ في العلوم حتى بلغ الغاية فيها. ولمّا كان مستوفيًا لشروط الإمامة عند الزيدية طلب منه أهل زمانه من العلماء والفقهاء القيام بها، فوافق على ذلك. انظر: السيد شرف الدين، يحيى بن القاسم، سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين، مخطوط مصور،



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

والارتباك التي سادت الدولة الرسولية عقب مقتل الملك المنصور عمر بن علي، تمكن الإمام المهدي من بسط نفوذه على معظم مناطق اليمن الأعلى، وفي مقدمتها، صنعاء وما حولها، وأجاب دعوته سواد الناس والقبائل، ولم يتأخر عن إجابته أحد في تلك الجهات[1].

ومثل بقية القبائل في اليمن الأعلى، لم يجد بنو حاتم الهمدانيين بدًا من مبايعة الإمام المهدي اتقاءً شره، ولعلمهم بأن الملك المظفر منشغل بإرساء دعائم دولته، وأن الوقت لم يحن لطلوعه اليمن الأعلى[2]، وحتى يحدث ذلك، كان على الأمراء الحاتميين مهادنة الإمام المهدي والسير في ركبه مع التواصل سرًا مع من تبقى من الرسوليين في بعض الحصون المنيعة القريبة من صنعاء، كحصني كوكبان وبراش[3].

وفي أثناء إقامة الإمام المهدي في صنعاء، أمر بقتل رجلين من قبيلة جشم الهمدانية على تهمة قتل قِيل إنها من غير بينة، فأنفت بقية همدان من ذلك[4]، ومالت

= دار الإمام زيد بن علي، صنعاء، برقم (4) (سير وتراجم)، ق4 ب – 7 أ. ابن فند، محمد بن علي الزحيف، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، ويسمى: اللواحق الندية بالحدائق الوردية (شرح بسامة السيد صارم الدين الوزير)، ج2، ج3، تح: عبد السلام بن عباس الوجيه وخالد قاسم محمد المتوكل، ط1، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، 1423هـ/ 2002م، 2/ 867 – 868.

(1) ابن حاتم، السمط، ص225. الخزرجي، العقود اللؤلؤية، 1/ 76.

(2) الميسري، الزيدية في اليمن، ص109.

(3) بَرَاش: اسم مشترك بين عدد من المواضع في اليمن منها: براش صنعاء وهو جبل شامخ إلى الشرق من صنعاء يطل عليها من خلف جبل نقم. وبراش أيضًا جبل في بلاد وادعة إلى الجنوب من مدينة صعدة ويعرف ببراش صعدة. وسيأتي ذكره فيما بعد. الحجري، مجموع بلدان اليمن،1/ 105 – 106. المقحفي، معجم البلدان، ص72.

(4) ابن حاتم، السمط، ص236.

إلى حصونها في ذي مرمر[1] والعروس[2]، ولم يبقَ مع الإمام المهدي أحد منهم، حتى قال شاعرهم[3]:

| | |
|---|---|
| ومن مبلغٌ عنا النبي محمدًا | ومن مبلغٌ عنا البتول وحيدرا |
| بأن إمامًا قام بعد ابن حمزةٍ | أقام حقوق الدين حولًا وأشهرا |
| فلما استقلت في أزالٍ ركابهُ | أناخ على الإسلام حتى تدعثرا |
| أباح دماء المسلمين ومالها | وكان رجاها أن يقوم وينصرا |
| وإن تشأروا أو تنكروا كان عاجلًا | وإلا قصدنا الأريحيَّ المظفَّرا |
| كبيرَ بني غسانَ وابن كبيرهم | وحامي حماها أن يُضام ويُقهرا |

وفيما يبدو، فإن همدان عامة والأمراء الحاتميين خاصة قد حزموا أمرهم، وقرروا مراسلة الملك المظفر، وهو ما أكده أيضًا قول الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، حين قال[4]: "جاء الرسول إلى والدي بكتاب مولانا الملك المظفر بخط يده، يأمره بإعانة أهل حصن كوكبان[5]، وأنه لا يغفل عنهم، ويعرِّفه صدور مائتي مثقال (لأهل حصن العروس)، ويخبره بما وقع من الفتح والنصر باستفتاح زبيد، ويقول: وأما الأشراف وكونهم قد غلبوا على شيء من بلادنا، فنحن نخرجهم

(1) ذِي مَرْمَر: حصن في أعلى قرية شبام الغراس، على بعد (18 كيلو مترًا) شمال غرب صنعاء. المقحفي، معجم البلدان، ص 261. وعند الأكوع، إلى الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة (25 كيلو مترًا). انظر: الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/ 1995م، 2/ 788.

(2) العَرُوسُ: حصن وبلدة في حضور، بالجنوب الغربي من صنعاء، وهو مقابل لحصن كوكبان من الجنوب. المقحفي، معجم البلدان، ص450.

(3) ابن حاتم السمط، ص237.

(4) السمط، ص262.

(5) كَوْكَبان: حصن مطل على شبام كوكبان إلى الغرب الشمالي من صنعاء، يقال إنه سمي بهذا الاسم لأن قصره كان مبنيًا بالفضة والحجارة وداخلها الياقوت والجوهر، وكان الدر والجوهر يلمع مع حلول الليل كما يلمع الكوكب. انظر: الحجري، مجموع بلدان، 4/ 669.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

منها – إن شاء الله – أذلة وهم صاغرون". وقد كان الملك المظفر قد أرسل قبل ذلك بجامكية[1] لأهل حصن كوكبان، مقدارها خمسمائة مثقال، خوفًا من سقوط الحصن بيد الإمام المهدي[2].

وبانتظار طلوع الملك المظفر، حاول الأمراء[3] الحاتميون جاهدين الحد من نفوذ الإمام المهدي، حتى وصل بهم الأمر إلى حد التخطيط سرًا للقبض عليه[4] بالتعاون مع الأمير أسد الدين محمد بن الحسن الرسولي المتحصن في براش، وكذلك مع الأشراف الحمزيين الذين ضاقوا ذرعًا بمحاولات الإمام المهدي تهميشهم.

ونظرًا لاعتراض الأمير شمس الدين أحمد بن عبدالله بن حمزة على هذه الخطة[5]، تم الاستعاضة عنها بخطة أخرى[6] مفادها تخليص الأمير أسد الدين الرسولي من

(1) الجامكية: كلمة فارسية من مصطلحات الدواوين، ومعناها المرتب أو العطاء الذي يناله موظف الدولة. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ/ 1990م، ص51.

(2) ابن حاتم السمط، ص261.

(3) منذ عهد الملك المظفر، انتقل الدور المحوري في زعامة بني حاتم الهمدانيين من أولاد السلطان حاتم بن أحمد (دار السلطنة)، إلى أبناء عمومتهم كالأمير بدر الدين محمد بن حاتم وإخوته، إلا أنهم لن يلقبوا أنفسهم بالسلاطين لعدة أسباب، لعل أبرزها: أن لقب "سلطان" لا يطلق إلا على كل من كان من نسل السلطان حاتم بن أحمد فقط، أما من هم دونهم فهم أمراء وليسوا من دار السلطنة. والسبب الثاني أنه لم تعد لبني حاتم أي سلطنة، بعد سقوطها على يد الأيوبيين في سنة 569هـ، واستمرار إطلاق هذا اللقب على من تبقى من أبناء وأحفاد السلطان حاتم بن أحمد هو من باب التشريف لا غير.

(4) السيد شرف الدين، سيرة الإمام المهدي، ق60أ. ابن حاتم، السمط، ص277.

(5) ابن الأنف، نزهة الأفكار، ق62أ. الشرفي، أحمد بن محمد بن صلاح، اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية، مخطوط مصور، دار الإمام زيد بن علي، صنعاء، برقم (4) (تاريخ)، 2/ 392.

(6) قضت الخطة أن يسعى الأشراف الحمزيين في الصلح بين الإمام المهدي والأمير أسد الدين، على أن يجهز الإمام المهدي، الأمير أسد الدين لقتال ابن عمه الملك المظفر، من أجل تخليص أخيه الأمير فخر الدين أبي بكر من الأسر، على أن يقوم الأمراء الحاتميين



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

حصار الإمام المهدي وإرساله لقتال ابن عمه الملك المظفر[1]، على أن يقوم الأمراء الحاتميون بعد ذلك بالسعي في الصلح بين الأمير أسد الدين والملك المظفر، وهو ما تم لاحقًا[2]، حتى وصف الأمير بدر الدين محمد بن حاتم هذا اللقاء بين الأمير أسد الدين والملك المظفر بالقول[3]: " ولم يكن أحسن منه لقاء ولا آنق ولا أبهج"، وحين علم الإمام المهدي بما فعله الأمراء الحاتميون، أمر بخراب ممتلكاتهم في صنعاء وما حولها[4].

وفيما كان الملك المظفر منشغلًا بالصراع مع أخويه (غير الأشقاء) الفائز والمفضل على الحكم في الدولة الرسولية، قام الأمراء الحاتميين بدور الوسيط بين الملك المظفر وكبير الأشراف الحمزيين وهو الأمير شمس الدين أحمد بن عبدالله بن حمزة، بعد أن وصل إلى طريق مسدودة في علاقته مع الإمام المهدي، إذ تم إقناعه بما لم يكن مقتنعًا به قبل ذلك، وهو ضرورة التخلص من الإمام المهدي ولو اقتضى الأمر قتله وتصفيته جسديًا، وذلك بطلبه الدعم من الملك المظفر لتحقيق هذا الأمر، وبالفعل نجح الأمراء الحاتميون في هذه المهمة، حتى نظم الأمير شمس الدين أحمد شعرًا في الملك المظفر، قال فيه[5]:

**سـلامُ مـشـوقٍ ودّه مـا تـصرما يـزورك من نجدٍ وإن كنت مُتهِما**
**سـلامٌ كنشرِ الـروضِ بـاكـره الحيا فـأضـحـى أنـيـقًـا مـشـرقًـا متبسـما**

= بعد ذلك بالسعي في الصلح بين الأمير أسد الدين والملك المظفر. ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 435.

(1) كان هناك خلاف قد حدث بين الملك المظفر وابن عمه الأمير أسد الدين عقب اعتقال الملك المظفر للأمير فخر الدين أبي بكر بن الحسن، أخي الأمير أسد الدين، بعد تحصنه في زبيد وامتناعه عن تسليمها للمك المظفر. ابن حاتم، السمط، ص257.

(2) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 435.

(3) السمط، ص278 – 279.

(4) السيد شرف الدين، سيرة الإمام المهدي، ق61أ.

(5) ابن حاتم، السمط، ص307 – 308. الخزرجي، العقود اللؤلؤية، 1/ 112 – 114.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

يخصك من قرب، وإن كنت نائيًا ... ويُهدي تحياتي فُرادى وتوأما
فيا أيها الملك المظفر والذي ... حمى قصبات المُلك أن تتهدما
فشمِّر لشيد المجد إذ أنت أهله ... وتمم على اسم الله تدع متمِّما

استغل الملك المظفر هذا الأمر، ولم يألُ جهدًا في دعم هذا الأمير بالمال والسلاح عبر الأمراء الحاتميين، لا سيما أنه قد استقر له الأمر في مناطق اليمن الأسفل ولم يعد هناك ما يشغله عن التفرغ لمناطق اليمن الأعلى، فكان من ثمار هذا التعاون العسكري أن قُتل الإمام المهدي أحمد بن الحسين في إحدى المعارك مع الأشراف الحمزيين في سنة 656هـ[1]، وكانت النسخة التي أرسلها الأمير شمس الدين أحمد ابن عبدالله بن حمزة إلى الملك المظفر على ما رواه الأمير محمد بن حاتم[2] بقوله: "يجدد الخدمة ويشكر النعمة لله تعالى ثم للمقام العالي السلطاني خلد الله ملكه، وينهي صدورها في المصف بشوابة[3]، ورأس الإمام أحمد بن الحسين بين يدي، وخاتمه في إصبعي". والأكيد أن هذا الأمر ما كان له أن يحدث، لولا تلك الجهود التي بذلها الأمراء الحاتميون كوسطاء بين الطرفين الحمزي والرسولي.

ولأننا لا نستطيع أن نتحدث عن العلاقة بين الملك المظفر والأمراء الحاتميين من غير التطرق إلى العلاقة مع الأشراف الحمزيين، فإن علينا أيضًا الإشارة إلى عمق العلاقة التي جمعت الأمراء الحاتميين بهؤلاء الأشراف منذ تولي جدهم المنصور

(1) السيد شرف الدين، سيرة الإمام المهدي، ق119أ. الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي، كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، تح: عبد المحسن مدعج المدعج، ط1، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1992م، ص104.

(2) السمط، ص331.

(3) شُوَابَة: واد من أعمال ذيبين من بلاد بكيل، ينحدر ماؤه إلى الجوف، وإليه تنسب قرية شوابة في عزلة سفيان، ناحية ذيبين، بمحافظة عمران. الحجري، مجموع بلدان اليمن، 3/ 458. المقحفي، معجم البلدان، ص375.

بالله عبد الله بن حمزة الإمامة الزيدية في سنة 594هـ[1]، والتي استمرت في العهود اللاحقة، وهو الأمر الذي انعكس على علاقة كل منهما بالأطراف الأخرى. فقد ظل هؤلاء الأمراء يقومون بدور الوساطة بين الملك المظفر والأشراف الحمزيين طيلة عهد هذا الملك التي ناهزت الخمسين عامًا، فتمكن عبرهم من تحقيق العديد من الأهداف المهمة التي ما كان له أن يحققها دون مساعدة الأمراء الحاتميين.

وتأخذ خصوصية العلاقة بين الأمراء الحاتميين والدولة الرسولية في عهد الملك المظفر طابعًا أخر يختلف جذريًا عن العلاقة مع الأشراف الحمزيين، لعدة أسباب:

أولًا- أن الأشراف الحمزيين لديهم آمال وتطلعات في إعادة أمجاد الدولة الزيدية التي كانت في عهد سلفهم الإمام المنصور عبدالله بن حمزة، وكان الملك المظفر يعلم بذلك، ويدرك أنه يتناقض تمامًا مع أطماعه، في السيطرة على اليمن الأعلى، وصولًا إلى صعدة في أقصى الشمال.

ثانيًا- أن الصلح الرسولي مع الأشراف الحمزيين، هو صلح مؤقت مرهون بالعداء المشترك للطرف الثالث (الإمام المهدي أحمد بن الحسين)، وبعد التخلص من هذا الطرف، خفّت وتيرة هذا الصلح، وأصبحت الحاجة لهم أقل مما سبق.

ثالثًا- أن الأمراء الحاتميين أكثر ليونة وتساهلًا وانقيادًا من الأشراف الحمزيين، والتحالف معهم لا يتأثر بتغير الأحداث، وليست لهم أطماع في تكوين دولة خاصة بهم، وذلك ينبع من إدراكهم لعجزهم عن مواجهة الأشراف الزيديين منفردين، فهم من باب أولى محتاجون لتحالف مع الرسوليين، لحماية أنفسهم من الخطر الزيدي، بينما كان الأشراف الحمزيون يستغلون هذا التحالف لتحقيق مصالحهم الذاتية، وهو ما سيتعارض حتمًا مع المصالح الحاتمية والرسولية على حد سواء.

(1) عبد الله بن حمزة (الإمام المنصور بالله) ، الشافي، تح: مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، 1406هـ/ 1986م ، 1/ 3.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

كما علينا في هذا الشأن، أن نشير إلى الموقف العام للأمراء الحاتميين من الدولة الرسولية، ففي حين قرر الأمير بدر الدين محمد بن حاتم وأخوته الاندماج الكامل مع الدولة الرسولية في عهد الملك المظفر، ووضعوا كل حصونهم وممتلكاتهم تحت تصرف هذا الملك، اتخذ الأمراء الحاتميون في حصن ذي مرمر موقفًا مغايرًا كليًا لهم، إذ أرادوا الاحتفاظ بنوع من الخصوصية التي ورثوها عن أجدادهم السلاطين[1]، وهو ما لم يرق للملك المظفر ولم يرَ إليه سبيلاً، ولعل لهذا التباين في الموقف بين الأمراء الحاتميين من الدولة الرسولية، عدة أسباب، أهمها:

أولًا- أن الرئاسة في بني حاتم ظلت محصورة مدة طويلة بيد الأمراء من نسل السلاطين في حصن ذي مرمر، فأراد أبناء عمومتهم من الأمراء الحاتميين في حصن العروس منافستهم على الرئاسة[2]، وذلك بالتعرض لخدمة الملك المظفر، والتقرب منه، وهو ما كان يأنفه الأمراء من نسل السلاطين.

ثانيًا- أن بذور هذا الانقسام تعود إلى ذلك الخلاف الذي حدث بين الملك المظفر وابن عمه الأمير أسد الدين بسبب قيام الملك المظفر باعتقال الأمير فخر الدين أبي بكر بن الحسن[3]، أخي الأمير أسد الدين، ففي حين وقف الأمراء الحاتميون في حصن ذي مرمر في صف الأمير أسد الدين، استنادًا إلى تحالف قديم جمعهم به أيام ولايته على صنعاء في عهد الملك المنصور عمر بن علي[4]، اختار

(1) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر: فرحان، عباس علوي، بنو حاتم الهمدانيون (492 ـ 626هـ)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، 1426هـ/ 2005م، ص41 وما بعدها.

(2) وهذا ما أكده ابن الحسين حين قال: "وفيها (657هـ) تنافس بنو حاتم بن أحمد على الرياسة، وتنازعوا واختلفوا... حتى آل الأمر إلى أن قبض عليهم المظفر، واستولى على حصنهم ذي مرمر". غاية الأماني، 1/ 447 – 448.

(3) ابن حاتم، السمط، ص265.

(4) المصدر نفسه، ص343.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الأمراء الحاتميون في حصن العروس الوقوف في صف الملك المظفر ورفضوا أي استضافة للأمير أسد الدين في حصون بني حاتم، حتى قال الأمير بدر الدين محمد بن حاتم[1]: "فما زال ذلك بيننا حتى ولّد حقدًا وشحناء، ثم آل الأمر إلى المحطة على ذي مرمر".

ثالثًا- كان الأمراء الحاتميون في حصن العروس أكثر قراءة للواقع السياسي في ذلك الحين، وأدركوا بفراستهم أن هذه المرحلة هي مرحلة الملك المظفر ولا سواه، فوضعوا رهانهم على الحصان الرابح، فصدقت فراستهم وارتفع شأنهم، بعكس الأمراء الحاتميين في حصن ذي مرمر الذين ما زالوا يعيشون في زمن أسلافهم السلاطين ولم يدركوا أنه ولّى دون رجعة، وأن عليهم التعايش مع الواقع كما هو.

رابعًا- وقفت العلاقات مع الأشراف الحمزيين حجرًا عثرة دون أي تقارب بين الأمراء الحاتميين في حصن ذي مرمر والملك المظفر، فقد كانوا يرجحون كفة هؤلاء الأشراف على كفة الملك المظفر عند حدوث أي خلاف بينهما، بينما يفعل الأمراء الحاتميون في حصن العروس العكس من ذلك تمامًا.

ولكل ما أسلفنا، فقد انحصرت خصوصية العلاقة - موضوع البحث - في الأمراء الحاتميين في حصن العروس - ونعني بهم الأمير بدر الدين محمد بن حاتم وإخوته، ومن كان على نهجه، وانتهى أي دور للأمراء الحاتميون في حصن ذي مرمر بعد إخضاعهم مرغمين للدولة الرسولية[2]. واللافت في الأمر، أن من تصدر هذه المهمة هم أبناء عمومتهم في حصن العروس، إثباتًا للملك المظفر على صدقهم في تحالفهم معه، وأن لا شيء قد يثنيهم عن ذلك، حتى إنهم كانوا أحرص منه على إسقاط حصن ذي مرمر، فعندما أرسل إليهم الملك المظفر أن لا يحدث

(1) ابن حاتم، السمط، ص354.
(2) الخزرجي، العقود اللؤلوية، 1/ 147.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الاستعجال في أخذ الحصن وأن يُعطَوا الفرصة للتفكير، أقسم الأمير بدر الدين محمد بن حاتم على إسقاطه بأي الوجوه[1].

ونظرًا للجهود التي بذلها الأمير بدر الدين في إخضاع حصن ذي مرمر، وهبه الملك المظفر ثلث ما يُتحصل من بلاد حصن ذي مرمر والثلث من المال المخصص للأمراء كافة يتصرف به كيف يشاء، وهنا تتجلى صورة من صور الخصوصية في العلاقة بين هذا الأمير تحديدًا والملك المظفر، حين قال له[2]: "لست أطلب إلا الشفقة تبقى عليّ، وأنت الأهل والمال والحصن والبلد"، ثم يضيف حينما ألح عليه الملك المظفر في أخذ المال: "فأقسمت لا أخذت غير عادتي من المال التي أعتادها ولا أخذت غير بلد أستوهبها منك"، ثم أردف قائلًا: "ثم عمل لي من البر والكرم والمعروف أضعاف ذلك".

وفي سنة 657هـ، قرر الملك المظفر الطلوع إلى مناطق اليمن الأعلى[3]، وإخضاع ما تبقى من الحصون الممتنعة، فجعل محطته في سيان[4]، وأرسل قادته لحصار تلك الحصون، فأرسل علي بن موسى بن رسول لحصار حصن فدة[5]، وأرسل الأمير بدر الدين محمد بن حاتم لحصار حصن الظفر[6]. وفي أثناء هذا الحصار ورد أمر من الملك المظفر إلى الأمير بدر الدين بالتقدم إلى بلاد

(1) السمط، ص356.
(2) المصدر نفسه، ص357.
(3) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 448.
(4) سَيَّان: قرية عامرة جنوب صنعاء من بلد ذي جُرة (بلاد الروس حاليًا). تنسب إلى سيان بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي، وإليها يُنسب بنو السياني. المقحفي، معجم البلدان، ص341.
(5) فِدَّة: حصن وسط وادي ضهر، على بعد (سبعة كليو مترات) غربي صنعاء. الحجري، مجموع بلدان اليمن، 4/ 634. المقحفي، معجم البلدان، ص498.
(6) الظُفُر: حصن في منتهى حقل قتاب (قاع الحقل) ويقع بالشرق من يحصب العلو. المقحفي، معجم البلدان، ص423.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بني شهاب[1] وحضور[2] للتوسط بينه وبين تلك القبائل، وكان على رأسها في ذلك الحين الأمير شهاب بن الوشاح[3].

ونظرًا لقوة العلاقة التي جمعت الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بكل من الملك المظفر من جهة، والأمير محمد بن الوشاح، توصل الطرفان إلى تفاهم بينهما، وكان الأمير بدر الدين حريصًا على إتمام ذلك الصلح، يظهر ذلك جليًا من قوله[4]: "وما زلت به (يقصد الأمير محمد بن الوشاح) حتى أصلحت أموره عند مولانا السلطان"، بل ورهن أخاه الأمير السيف بن حاتم[5] عند آل الوشاح في حصن بيت ردم[6]، ضمانةً لما تم الاتفاق عليه، بينما كان حصن العروس التابع للأمراء الحاتميين، المكان الآمن للرهائن من القبائل عند عقد أي صلح بينها وبين الملك المظفر.

(1) بنو شهاب: قبيلة وبلد من حمير قرب صنعاء تسمى اليوم بلاد البستان، وتنسب إلى شهاب بن العاقل بن ربيعة بن وهب بن ظالم... بن كندة، وتضم عزلتي شهاب الأسفل، وشهاب الأعلى، ومن قراهم: بيت بوس، وحدّة، وحَمِل، وأرتل. انظر: ابن دعثم، السيرة المنصورية، 2/ 151، (حاشية 4). ابن الديبع، قرة العيون، ص129، (حاشية 4). الحجري، مجموع بلدان اليمن، 1/ 119.

(2) حَضُور: جبل شامخ غربي صنعاء بمسافة (18 كيلو مترًا)، ينسب إلى حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سُدد بن زرعة بن حمير بن سبأ الأصغر، وهو أعلى جبل في اليمن، ويدعى أيضًا جبل النبي شعيب لوجود قبر النبي شعيب عليه السلام ومسجده فيه. المقحفي، معجم البلدان، ص191 – 192.

(3) ابن حاتم، السمط، ص338.

(4) المصدر نفسه، ص341 – 342.

(5) المصدر نفسه، ص341.

(6) بَيتُ رَدَم: قرية وحصن في مخلاف بني شهاب أسفل بني مطر، جنوب جبل حضور إلى الغرب من صنعاء. ابن الديبع، قرة العيون، ص308، (حاشية 6)؛ الأكوع، إسماعيل بن علي، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ/ 1988م، ص49.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ولم يزل الملك المظفر يعتمد على الأمير بدر الدين محمد بن حاتم وإخوته من الأمراء الحاتميين للقيام بالمهام الجسام، ومن تلك المهام شراء الحصون ممن يرغب في بيعها من القبائل كحل وسط بينه وبين تلك القبائل. وفي هذا الشأن تمكن الأمير بدر الدين من إقناع أصحاب حصني عزان[1] والمصنعة[2] ببيعهما بثلاثين ألف دينار[3].

وفي سنة 658هـ، أوكل الملك المظفر ولاية صنعاء للأمير علم الدين الشعبي[4]، وفيما يبدو أن الملك المظفر لم يكن يرغب في تولية صنعاء للأمير بدر الدين محمد بن حاتم، على الرغم من تلك الجهود التي بذلها في خدمة الدولة الرسولية، لعدة أسباب، لكن أبرزها: الخوف من تفكير الأمراء الحاتميين في استعادة أمجادهم الغابرة وإحياء دولتهم المندثرة، فأراد بتولية الأمير علم الدين قطع كل الأسباب التي قد تؤدي إلى هذا الأمر، لا سيما أنه رأى تلك المكانة الكبيرة للأمير بدر الدين في نفوس قبائل صنعاء وما حولها، وهو الذي كان يُلقب بـ: "الأمير الكبير"[5]، تمييزًا له عن بقية الأمراء الحاتميين.

(1) عِزَّان: اسم مشترك بين عدد من الأماكن في اليمن منها: بلدة عزان في عرش رداع بالغرب الجنوبي منها بمسافة (18 كيلو مترًا) ، وعزان حصن في جبل بُرع وعزان حصن خرب أعلى جبل ريمان المطل على مدينة إب من الزاوية الشرقية الشمالية ، وجبل عزان في حاشد. المقحفي ، معجم البلدان ، ص452. والمقصود من النص عزان المصانع في البلاد الحميرية بيريم، كما يفهم من النص. ابن حاتم، السمط، ص209.

(2) المصنعة: أسم مشترك بين عدد من المواضع في اليمن، لكن المقصود من النص، حصن في البلاد الحميرية بيريم. ابن حاتم، السمط، ص499؛ المقحفي، معجم البلدان، ص629 – 630.

(3) ابن حاتم، السمط، ص364. ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 452 – 453.

(4) هو الأمير علم الدين سنجر، من مماليك الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل الأيوبي، سُمي بالشعبي تمييزًا له عن باقي المماليك، لأنه لم يعرف شيئًا من فسقهم وفجورهم، كان أميرًا شجاعًا، متدينًا، وناسكًا متعبدًا، توفي في سنة 682هـ، أثر انهدام قصره في صنعاء، وهو بداخله. الخزرجي، العقود اللؤلؤية، 1/ 197.

(5) ابن حاتم، السمط، ص530.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وعلى الرغم من ذلك، كان الملك المظفر يوكل للأمير بدر الدين مهامًا هي أقرب في جوهرها إلى وظيفة الوالي دون تعيين رسمي، فتراه حينًا يجعله شريكًا للوالي، وحينًا نائبًا له، وحينًا أخرى بديلًا عنه عند انشغاله، وهذا يدل على ذكاء كل من الملك المظفر والأمير بدر الدين، فالأول وإن لم يعين الأمير بدر الدين واليًا على صنعاء، إلا أنه أشعره بأهميته في تلك المناطق وجعله يمارس دور الوالي دون تعيين، وبالمقابل لم يطمع الأمير بدر الدين في أكثر من ذلك، وكانت قراءته للواقع السياسي – في ذلك الحين – صحيحة، وأدرك أن التحالف مع الملك المظفر قلبًا وقالبًا هو السبيل الوحيد لتبوء مكانة تليق به بين الأمراء والأشراف والقبائل على حد سواء، وعمل بالمثل القائل: "ليس بالإمكان.. أفضل مما كان".

وتأسيسًا على ما تقدم، بذل الأمير بدر الدين وبقية الأمراء الحاتميين من إخوته وأقاربه، جهودًا محمودة في خدمة الدولة الرسولية بالتعاون مع هذا الوالي الجديد، حتى إن الأمير بدر الدين كان يقترح على الأمير علم الدين الشعبي أن يحل محله في بعض مكامن الخطر[1]، وبالمقابل كان الأمير علم الدين الشعبي يدرك مكانة الأمير بدر الدين في مناطق اليمن الأعلى، ويعلم أنه لن يستقيم له الحال، إلا بالتعاون معه، ولذلك كان يعامله بما هو أهله ويستشيره ويستصوب رأيه في كثير من الأمور بل ويقبل شفاعته إكرامًا له[2].

ولم تقتصر علاقة الملك المظفر بزعماء همدان على الأمير بدر الدين فقط، بل امتدت لتشمل الكثير من الزعامات القبلية، وإن لم تكن بالمستوى والخصوصية نفسهما، ومن هؤلاء الشيخ عزان بن عمرو الهمداني الذي أوصى الملك المظفر قادته في صنعاء ألا يفعلوا شيئًا دون مشورته[3]. وكذلك الأمير محمد بن عمران

(1) ابن حاتم، السمط، ص376.
(2) المصدر نفسه، ص377.
(3) المصدر نفسه، ص395.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الهمداني الذي كان أحد قادة المحاط الست الموكلة إليها مهمة حصار حصن ثلا[1]. وكذلك الأمير شمس الدين أحمد بن علي الصليحي الهمداني الذي كان واليًا للملك المظفر على بلاد حجة[2].

ونتيجة لسياسات الأمير علم الدين الشعبي وأساليبه الخاطئة في التعامل مع القبائل اليمنية[3]، توترت الأوضاع في مناطق اليمن الأعلى حتى وصل الحال إلى أن الأمير علم الدين لم يعد يأمن على نفسه، وهنا تتجسد صورة أخرى من صور خصوصية العلاقة التي جمعت الأمير بدر الدين وهمدان عامة بالدولة الرسولية في عهد الملك المظفر، ومن ذلك ما رواه الأمير بدر الدين حين قال[4]: "فسار الأمير علم الدين راكبًا حصانه قلقًا مما فعل العسكر - حين تركوه وحيدًا - وقال لي: هؤلاء الغُز قد صدروا ولم يلووا، فقلت له: لا بأس نحن يا همدان بين يديك، والله لا أُخذ لك عقال ومنا عين تطرف"، وكان وعده قبل ذلك بألف رجل من همدان، وهو في مقدمتهم، يعوِّض بهم عسكره الذين تمردوا عليه، في أثناء حصار حصن ثلا، ولكنه من شدة خوفه لم يثبت وفك الحصار عن الحصن[5].

ومع تواتر الأخبار إلى الملك المظفر بما آل إليه الحال في مناطق اليمن الأعلى، رأى أن الوقت قد حان ليتولى الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، بعض المهام التي أخفق فيها الأمير علم الدين الشعبي، ومن ذلك قول الأمير بدر الدين: "ثم اتفق

(1) ابن حاتم، السمط، ص381.
(2) حَجّة: مدينة عامرة بالسكان تقع في الشمال الغربي من صنعاء وهي منطقة جبلية وجزء منها من تهامة. الويسي، اليمن الكبرى، ص117 - 118.
(3) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 455. وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر: الميسري، الزيدية في اليمن، ص160، 168 - 169.
(4) السمط، ص423 - 424.
(5) ابن حاتم، السمط، ص411.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

في هذه الهدنة أن الأمر السلطاني ورد (عليَّ) بالنزول إلى الأبواب (السلطانية) للمراجعة بحديث المحطة على ثلا (للمرة الثانية)"، ثم أردف قائلًا: "فنزلت إلى الأبواب ومثلت بالمقام، وقال لي مولانا السلطان: عرضنا المحطة على ثلا، وأن تكون أنت صاحب المحطة"، ولتنفيذ هذا الأمر، استعمل الأمير بدر الدين ألف رجل من همدان[1].

ولم يكتفِ الملك المظفر بهذا الدور للأمير بدر الدين، بل أرسل إليه عبر وسطاء من حجة، خزانة مبلغها خمسون ألف دينار مظفرية، وفي مضمونها[2]: "عند وصول الخزانة إليك، ترسل منها للأمير علم الدين بجامكية عسكره، وتنفق على الرتب التي تحت يدك وكذلك الحصون، وما كان منها محتاجًا إلى الجامكية أنفقت على أهله، فليس عندنا صورة ولا تفصيل لما تحتاج إليه". وهذا يدل على الثقة الكبيرة التي كان يوليها الملك المظفر للأمير بدر الدين محمد بن حاتم، إذ استأمنه على هذا المبلغ الكبير من الخزانة دون أن يعلم تفاصيل إنفاقها على وجه التحديد، بل إنه أرسل إليه خزانة غيرها وبمبلغها نفسه، ولكن من طريق ذمار، ضمانًا لوصول الخزانة وتحسبًا لتعثر إحداهما [3].

والمؤكد في كل هذا، أنه ما كان للأمير بدر الدين أن يتمتع بهذه المكانة عند الملك المظفر لولا وقوف الأمراء الحاتميين خاصة وهمدان عامة إلى جانبه، بل إن الكثير منهم جاد بنفسه دفاعًا عن الدولة الرسولية، وعلى رأس هؤلاء الأمير بشر بن حاتم الذي قُتِلَ في إحدى المعارك مع الأشراف الزيديين[4].

الجدير بالذكر هنا، أن الأمير بدر الدين محمد بن حاتم كان أعلم بأحوال البلاد

(1) ابن حاتم، السمط، ص404 – 405.
(2) المصدر نفسه، ص415.
(3) المصدر نفسه، ص415.
(4) المصدر نفسه، ص542.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

العليا من الملك المظفر، نظرًا للتقارب الجغرافي بين البلاد الحاتمية الهمدانية وتلك التي تخضع للنفوذ الزيدي شمال صنعاء، وكان لا يدخر نصحًا للملك المظفر، وإن كان لا يعارضه إذا أصر على أمر، بينما كان الملك المظفر يثق في رأيه، ولا أدل على ذلك من كثرة المراجعات التي نزلها الأمير بدر الدين للأبواب السلطانية في زبيد أو تعز[1]، والتي كان يلتقي فيها بالملك المظفر شخصيًا، ويناقش معه أهم المستجدات على الساحة السياسية، ومن الأمثلة على ذلك، ما رواه الأمير بدر الدين، حين أمره الملك المظفر بالمحطة على ثلا، إذ نصح الملك المظفر بترك حصني ثلا[2] وظفار[3] كمتنفسين للأشراف الزيديين ينشغلون بهما عما سواهما، وأكد له أن محاولة إسقاط هذين الحصنين سيجعل الأشراف يفكرون جديًا في تنحية خلافاتهما جانبًا[4] وفي إقامة إمام يجمع كلمتهم[5]، ويوحد صفوفهم، وهذا

(1) ابن حاتم، السمط، ص393، 404، 558، 561.

(2) كانت ثلا منذ قيام دولة بني رسول في سنة 626 هـ، من أشد المناوئين لهم، وأبرز المتحالفين مع الدولة الزيدية، وظلت عصية عليهم، وفية للزيديين حتى سقوط الدولة الرسولية في سنة 858هـ. انظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية، 1/ 73. ابن الحسين، أنباء الزمن في تاريخ اليمن، مخطوط مصور، دار الإمام زيد بن علي، صنعاء، برقم (3) (تاريخ)، ق158. جار الله، عبد الرحمن حسن، ثُلا إحدى حواضر اليمن في العصر الإسلامي تاريخها وآثارها، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م، ص46 – 47.

(3) ظَفَارِ: اسم مشترك بين عدد من الحصون اليمنية، والمقصود هنا، حصن من بلاد همدان من أعمال ذيبين، كان يعرف سابقًا بأكمة الإمام الناصر أبي الفتح الديلمي (437 – 444هـ) ثم أعاد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بناءه في سنة 600هـ، ثم ارتبط اسمه لاحقًا بالأمير صارم الدين داود بن عبد الله بن حمزة. انظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن، 3/ 564. الأكوع، هجر العلم، 3/ 1283.

(4) وهذا ما قصده الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، حين قال: "... وأيقنوا أنهم بعد فوات ثلا، صائرون إلى البلاء... وهما- أي ظفار وثلا – زوقاء حصونهم ومعاقلهم، وبهما يحاربون، ويقاومون الغز..." . انظر: السمط، ص406.

(5) ابن حاتم، السمط، ص405.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ما حدث فعلًا. بعد أن أصر الملك المظفر على حصار ثلا، إذ لم تمضِ مدة على هذا الحصار حتى بايع الأشراف الزيديون المهدي إبراهيم بن تاج الدين إمامًا لهم في سنة 671هـ[1]، فاجتمع له عسكر عظيم، فيه كل مناهضي الملك المظفر، ولم يثبت مع الملك المظفر سوى الأمراء الحاتميين ومن ورائهم قبيلة همدان[2].

ونظرًا لهذا الموقف من الأمراء الحاتميين، قام الإمام المهدي إبراهيم بن تاج الدين[3] بالاستيلاء على حصني النواش[4] والمنار[5]، وهي من الحصون الحاتمية، كما أمر المماليك بنهب بيوت الأمراء الحاتميين في صنعاء بعد دخولهم إليها[6]،

(1) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 456.

(2) ابن حاتم، السمط، ص467.

(3) هو إبراهيم بن أحمد تاج الدين بن محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى... بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، كان إمامًا شهيرًا، ذا علم غزير، دعا بعد موت عمه الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين محمد. انظر: ابن القاسم، إبراهيم، طبقات الزيدية الكبرى (القسم الثالث)، ويسمى: " بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد "، تح: عبد السلام بن عباس الوجيه، ط 1، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، 1421هـ/ 2001م، 1/ 61 – 62. المؤيدي، مجد الدين بن محمد بن منصور، التحف شرح الزلف، ط3، مكتبة مركز بدر، صنعاء، 1417هـ/ 1997م، ص262 – 263. ومن الجدير بالذكر، أنه حين حدثوا المهدي إبراهيم بن تاج الدين في أمر توليه الإمامة، اشترط إجماع العلماء والفقهاء على ذلك، فبعث إليهم الأمير صارم الدين، فأجابه البعض وامتنع البعض الآخر، وقالوا له لا يمكننا أن نبايعه دون المناظرة لتصح إمامته ونبايعه على بصيرة، فلما سمع الأمير صارم الدين قولهم، أخرج سيفه وأقسم لئن تأخر عن مبايعته أحد لأضربن عنقه، عندها بايعوه طائعين وكارهين، وكانت البيعة له في حصن ظفار في آخر ذي الحجة من سنة 670هـ. انظر: ابن حاتم، السمط، ص407. ابن الأنف، نزهة الأفكار، ق 84 أ.

(4) النواش: حصن في قفلة عذر من بلاد حاشد، والنواش: حصن في عزلة التويتي من مخلاف الشِّعر وأعمال النادرة. المقحفي، معجم البلدان، ص707.

(5) المنار: عزلة من بعدان جنوبي يريم، ومن قراها: الجبجب وذي حيفان وحيضان وبيت هريش ومدين وعَقد وثاولة. المقحفي، معجم البلدان، ص662.

(6) ابن حاتم، السمط، ص466.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وكان على الأمير بدر الدين وإخوته أن يقودوا المواجهة مع هذا الإمام، حتى روى مصنف السمط هذا الأمر بقوله[1]: "قال الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، وأقبل الأمير علي بن عبدالله (الزيدي) وبنو شهاب، فأرسلت صنوي السيف (ابن حاتم) في خيل ورجل من همدان مقابلته، وأقبل أحمد بن محمد.. بمن معه، فجعلت في مقابلتهم صنوي الفهد (ابن حاتم)، ثم خرجت أنا بمن بقي من همدان وقد تلازم الأمير علي بن عبدالله والصنو السيف... ملازمة عظيمة، فكسرناهم، ومنح الله النصر الجنود المظفرية".

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا، قول الأمير بدر الدين محمد بن حاتم[2]: "وكان صنوي علي بن حاتم في موضع يسمى "دباخ"[3]... فقاتلوه في تلك الليلة قتالاً عظيمًا... فلم ينالوا منهم شيئًا"، وقوله أيضًا[4]: "ثم قصدونا إلى الزعلاء... فرددناهم تلك الليلة وأمسى كل منا ومنهم يوقد ناره خائفًا من صاحبه، والرمي من أول الليل إلى الصباح".

ولم يزل الأمراء الحاتميون يواجهون الأشراف بمفردهم تارة، ويسعون إلى الصلح معهم تارة أخرى، حتى وصلتهم الأخبار بطلوع الملك المظفر ومحطته في جهران[5]، وفي صورة من صور الخصوصية في العلاقة بين هؤلاء الأمراء والدولة الرسولية في عهد الملك المظفر، انتدب هذا الملك اثنين من الأمراء الهمدانيين

(1) المصدر نفسه، ص422 – 423.
(2) المصدر نفسه، ص500.
(3) لم استدل على هذا الموقع في المعاجم، ولكنه – كما يُفهم من النص – ليس بعيدًا عن صنعاء.
(4) ابن حاتم، السمط، ص500.
(5) جَهْران: حقل واسع إلى الجنوب من مدينة صنعاء بمسافة (66 كيلو متر)، وينسب إلى جهران بن يحصب بن دهمان بن مالك، من ولد سبأ الأصغر، وهي اليوم ناحية من أعمال آنس تعرف بقاع جهران. المقحفي، معجم البلدان، ص 196.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

لمهمة استطلاع الطريق له إلى صنعاء وتأمينه، وهما: الأمير السيف بن حاتم والأمير شمس الدين أحمد بن علي الصليحي الهمداني[1]، كما أمرهما باستكشاف حال القبائل، ومن منهم لا يزال على الطاعة، ومن منهم مخالف، وأعطاهما عشرة آلاف دينار من أجل هذا الغرض، وتعهد لهما بالمزيد إن احتاجا لأكثر من ذلك، وألح عليهما بإفساد من أمكنهما إفساده من عسكر الأشراف وحلفائهم[2].

بينما أسندت للأمير بدر الدين محمد بن حاتم مهمة مراسلة القبائل في حضور وبني الراعي[3] ليتراجعوا عن خلع الطاعة، والعودة إلى حلف الملك المظفر، فأنجز هذه المهمة بنجاح، وألزمهم تقديم الرهائن على ذلك[4]، وكذلك فعل الأمر ذاته مع أهل بيت حنبص[5]، ثم ورد عليه الأمر من الملك المظفر بالطواف حول جبل عيبان[6] على رأس مائة فارس، وتفحص جوانبه، ومن أي الجهات يمكن طلوعه، نزولًا إلى صنعاء[7].

وبينما الوضع على هذه الحال، قرر الإمام المهدي النزول من صنعاء لملاقاة الملك المظفر، وهو لا يعلم أن الأمراء الحاتميين قد أفسدوا عليه القبائل، فلم يجد

(1) ابن حاتم، السمط، ص475.
(2) المصدر نفسه والصفحة.
(3) بنو الراعي: عزلة من ناحية بني مطر (ناحية البستان سابقًا). المقحفي، معجم البلدان، ص265.
(4) ابن حاتم، السمط، ص499.
(5) بيت حُنْبُص: بلدة بالقرب من صنعاء في ظاهر جبل عيبان، فوق حدة. المقحفي، معجم البلدان، ص95.
(6) عَيْبان: جبل يطل على صنعاء من ناحية الغرب. الحجري، مجموع بلدان اليمن، 3/ 619. المقحفي، معجم البلدان، ص 482.
(7) ابن حاتم، السمط، ص429.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

غير حصن في قرية أفق[1] يتحصن به من الجنود المظفرية، وبعد فترة قصيرة وقع الإمام المهدي ومن معه في الأسر بعد أن تم اقتحام الحصن.

ولا تزال العلاقة بين الأمراء الحاتميين والملك المظفر تتوطد أكثر فأكثر حتى إنهم لم يكونوا يرفضون له أمرًا ولو كان فيه ضرر لهم، ولعل فيما اشترطه أهل حصن كوكبان على الملك المظفر، مقابل تسليمه دليلًا على ذلك، فقد اشترطوا عليه لتسليم الحصن، عشرين ألف دينار والأمان لهم ولأموالهم وحصن ردمان[2] بديلًا عن حصنهم، وهو يومئذ للأمير بدر الدين محمد بن حاتم، اشتراه من الأمير الحمزي علي بن عبدالله، وقد أورد الأمير بدر هذا الموقف بقوله[3]: ".. ولم يطلبوه إلا طلبًا لمضرتي"، فقد كان هو من أسند إليه الملك المظفر المحطة على الحصن والتضييق على أهله حتى يستسلموا، فأرادوا بهذا الشرط نكايته والانتقام منه، وحين ورد الأمر من الملك المظفر للأمير بدر الدين بتسليم حصن ردمان لأهل كوكبان، أجابه بالقول[4]: "ليس مني خلاف، ولو طلب مولانا الأرواح لم يكن هناك توقف، والحصن هو نعمة من مولانا السلطان".

وكمندوبين للملك المظفر يثق بهم ويعلم صدقهم، أرسل الملك المظفر، الأمير علي بن حاتم إلى كافة الأمراء الحمزيين يدعوهم "للفرحة"[5]، والنزول

(1) أَفْق: قرية عامرة من مخلاف عنس وأعمال ذمار. انظر: البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م، 1/ 178. المقحفي، معجم البلدان، ص46.

(2) رَدْمَانُ: اسم مشترك بين عدد من الأماكن والقبائل في اليمن، والمقصود من النص لا يبعد عن صنعاء كثيرًا. المقحفي، معجم البلدان، ص273.

(3) السمط، ص532.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

(5) الفرحة أو الفرجة في بعض المصادر: عادة اجتماعية، يحتفل فيها الملوك الرسوليين، عند قدوم مولود جديد من أبنائهم أو أبناء أبنائهم أو عند ختانهم أو عند الشفاء من آثار الختان.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للأبواب السلطانية، وطلب منه أن يكون هو الرفاقة لمن أراد منهم النزول[1]، وفي مهمة أخرى تختلف في جوهرها عن مهمة الأمير علي بن حاتم، تم انتداب الأمير سالم بن حاتم لقتال من ظل من الأشراف مخالفًا للملك المظفر[2].

إننا حين نتحدث عن خصوصية العلاقة بين الأمراء الحاتميين والدولة الرسولية في عهد الملك المظفر، فإنما نتحدث عن علاقة قَدَّمَ فيها الأمراء الحاتميون الغالي والنفيس في خدمة هذه الدولة، وهي علاقة لن تتكرر في خصوصيتها مع أي ملك رسولي أخر، وإذا كانت همدان كافة قد انحازت إلى صف الدولة الرسولية، فإن الأمراء الحاتميين هم من وقع عليهم العبء الأكبر، كونهم من تصدره وضربوا من أجله أروع الأمثلة.

لم يقتصر دور الأمراء الحاتميين على ما سبق الإشارة إليه، بل إنهم كانوا يقومون مقام الملك المظفر في بعض الأحوال، ومن ذلك ما رواه الأمير بدر الدين حين قال[3]: "وفي خلالها (انقطاع الطرق) تعسر وصول الخزائن، فتقدم الأمير السيف بن حاتم بخزانة جيدة إلى (حصن) الزاهر[4]، وأوصلها صعدة".

كما أنهم لم يدخروا جهدًا في خدمة الدولة الرسولية بكل السبل، فإليهم يرجع الفضل الأول في تفكيك الجبهة الزيدية بعد مقتل الإمام المهدي، إذ كانوا يستغلون

= فيدعون فيها الخاصة والعامة، ويقدمون فيها، ما لذ وطاب من الأطعمة والمشروبات والحلاوات خلال أيام معدودة. ابن حاتم، السمط، ص534. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر: هُديل، طه حسين، الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (626 – 858هـ) ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2010م، ص231 232.

(1) ابن حاتم، السمط، ص534.

(2) ابن حاتم، السمط، ص543.

(3) المصدر نفسه، ص545.

(4) الزَاْهِر: حصن وقرية مشهورة في بلاد الجوف. المقحفي، معجم البلدان، ص295.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

بعض الخلافات التي تحدث بين الأشراف الزيديين لاستمالة بعضهم إلى صف الدولة الرسولية، ومن ذلك ما فعله الأمير الفهد بن حاتم حين سعى في التقريب بين الأمير نجم الدين موسى بن أحمد الحمزي والسلطان الملك المظفر، وكذلك فعل الأمير بدر الدين محمد بن حاتم مع الأمير علم الدين سليمان بن محمد، حين أصلح بينه وبين الملك المظفر، بل أرسل ولده رفاقة للأمير علم الدين حتى يصل إلى الأبواب السلطانية[1].

وبوصفه الممثل الشخصي للملك المظفر فيما يخص العلاقات الزيدية – الرسولية، وضامنًا له فيما يُتفق عليه، ووسيطًا يثق به هؤلاء الأشراف ويعلمون صدقه ونزاهته، لم يكن بالإمكان إيجاد بديل عن الأمير بدر الدين محمد بن حاتم للقيام بهذه المهام التي وصلت مداها حين أصبح عضوًا في لجنة التحكيم[2] التي تنظر في الخروقات التي قد يرتكبها أي طرف في أثناء مدة الهدنة أو الصلح بين الجانبين. وهذا دليل واضح على المكانة التي كانت للأمير بدر الدين في نفوس الأشراف الزيديين والملك المظفر على حد سواء، والتي ما كان له أن ينالها إلا بوجود صفات لا تتوافر في الكثير من الناس، ومن تلك الصفات: الصدق والوفاء والوضوح، والتفريق بين الممكن والمستحيل، وإنزال الناس منازلهم مهما كانت درجة الخلاف معهم، ولعلنا نتلمس بعض هذه الصفات مما رواه الأمير بدر الدين عن نفسه حين قال[3]: "ثم أني اتفقت مع الأمير جمال الدين وأبلجت خاطره، ثم عزمت عليه إلى المحطة، وقلت له: تكون لنا ضيفًا هذه الليلة... فساعد إلى ذلك... وكانت ليلة من أحسن الليالي وأعجبها، واتفق من الإسعاف أن الأمير علم الدين (الشعبي) طلع له من منزله بصنعاء أشياء أنيقة من أصناف الأطعمة والحلاوات...

(1) ابن حاتم، السمط، ص546، 551.
(2) المصدر نفسه، ص548.
(3) السمط، ص502.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

لم تكن تطلع له من قبل ولا من بعد، فأمسى الأمير جمال الدين عندنا تلك الليلة على الكرامات الطائلة".

وفي توافق قدري عجيب، يعكس صورة أخرى من صور الخصوصية في العلاقة بين الأمراء الحاتميين والدولة الرسولية في عهد الملك المظفر، تزامن انهدام القصر بصنعاء مع وجود هؤلاء الأمراء مع الأمير علم الدين الشعبي[1]، مع أن القصر قبل لحظات من انهدامه كان يعج بالزوار عربًا وعجمًا، فلما قضوا حوائجهم، خرجوا وتفرقوا، ولم يبق في المجلس مع الأمير علم الدين إلا الأمراء الحاتميون وبعض غلمانه، فانهدم القصر عليهم جميعًا، ومات نتيجة لذلك كل من الأمير علم الدين الشعبي والأمير علي بن حاتم، ونجا من الموت بأعجوبة الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، بعد أن أُخرِج من تحت الأنقاض في آخر لحظة.

وفي السنوات الأخيرة من عهد الملك المظفر ضعفت قوته ولم يعد يتحمل مشقة السفر صوب مناطق اليمن الأعلى، وكان عليه في الوقت نفسه أن يجد من يحل محل الأمير علم الدين الشعبي بعد وفاته، ولكنه على ما يبدو، لم يجد الشخص المناسب الذي يقوم مقامه من الأمراء الرسوليين، فأسند ولاية صنعاء لابنه الملك الواثق[2]، ولكنه عجز عن احتواء تمردات القبائل في اليمن الأعلى، ثم جعلها في ابنه الأشرف[3]، وكان أكثرهم شبهًا بوالده من حيث الحنكة والكياسة وحسن التصرف وصفات القيادة وتدبير الأمور[4]، وهذا ما انعكس على العلاقة بين الملك الأشرف

(1) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 467 – 468.
(2) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، 1/ 235.
(3) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 470.
(4) ولا أدل على ذلك، من قول الإمام المهدي إبراهيم بن تاج الدين وهو في أسر الملك المظفر، واصفًا حاله بعد معركة أفق:

**وبعد ذلك جاءوا بي إلى ملكٍ ... له المفاخر والعلياء مكتسبُ**



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

والأمراء الحاتميين[1]، الذين رأوا فيه امتداد لعهد والده، فقال شاعرهم[2]:

**ألا مرحبًا يا ابن المظفرِ قابلتْ طلوعَك فينا أنجمُ اليُمْن طُلَّعا**
**وأهلًا بها من أوبةٍ أشرفيةٍ يروقُ جميعَ الناسِ مرأى ومَسْمَعا**

وفي محاولة من الملك المظفر لإرضاء بقية أولاده من جهة، وللمحافظة على حياة الملك الأشرف كولي للعهد، أسند ولاية صنعاء لابنه الثالث الملك المؤيد داود بن يوسف[3]. ومن خلال قراءة الأحداث، وجدنا أن الملك المؤيد لم يكن بحنكة أبيه المظفر وأخيه الأشرف وكياستهما. فخلال الفترة التي قضاها في ولاية صنعاء (687 – 693هـ)، انتهج أسلوب القوة والبطش كخيار وحيد في التعامل مع القبائل اليمنية والأشراف الزيديين على حد سواء، وهذا يعني أنه استغنى عن أي دور للأمراء الحاتميين كوسطاء بين الدولة الرسولية وتلك الأطراف، وبذلك أخفق في احتواء الوضع في مناطق اليمن الأعلى، واضطربت البلاد عليه[4] من نقيل

= **أبو الهزبر نقيُّ العرض من دنسٍ وباذل المال لا زور ولا كذبُ**
**فكان منه من الإحسان ما شهدت بفضله فيه عجم الناس والعربُ**
**فمن يبلِّغ عني كل من سكنت قلبي محبته أو بيننا نسبُ**
**فليشكروه فإني اليوم شاكره سرًا وجهرًا وهذا دون ما يجبُ**

انظر: ابن فند، مآثر الأبرار، 2/ 907 – 908.

(1) كان الأشرف ابن الملك المظفر، ملكًا نبيلاً عارفًا، ذكيًا، فطنًا، حازمًا، حسن السيرة والسياسة، ولهذا كانت الأوضاع تهدأ، وتقل الفوضى، وتصل إليه القبائل عارضة الطاعة، ويتم الصلح مع الأشراف الزيديين فور وصوله إلى اليمن الأعلى، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تقديره للجميع، وتقديرهم له، وذلك ما لم يكن عند أخويه الواثق والمؤيد، توفي في الثالث والعشرين من شهر محرم من سنة 696هـ، للمزيد من التفاصيل حول هذا الملك، انظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية، 1/ 297 – 298.

(2) ابن حاتم، السمط، ص553.

(3) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 471.

(4) الشاوش، نادر حسن محمد، الدولة الرسولية في عهد السلطان المؤيد (696 – 721هـ)، رسالة دكتوراه، (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، 1435هـ/ 2013م، ص15.

صيد[1] إلى صعدة، ولم يتمكن مع ما استخدم من قوة مفرطة من إخمادها، وهنا تبرز بوضوح أهمية الدور الذي كان الأمراء الحاتميون يقومون به في توطيد حكم الدولة الرسولية في تلك الجهات.

ولإدراك الملك المظفر لهذه الحقيقة، استدعى كل من الملك المؤيد والأمير بدر الدين محمد بن حاتم إلى الأبواب السلطانية في تعز، حتى روى الأمير بدر الدين هذا الأمر بقوله[2]: " وكنت إذ ذاك منقبضًا عن (الملك) المؤيد في (حصن) العروس، فنزلت الأبواب السلطانية، فتلقاني (الملك المظفر) بالبر والكرامة التي هي من عوائده الجميلة إلينا، ووصلني ومن معي من الصدقات العميمة بما لا أقوم بشكره، ووقفت على بابه الكريمة أيامًا، ثم أمرني بالطلوع صحبة الملك المؤيد، بعد أن أكد الوصية عليه فيَّ، وأوصاني بخدمته".

لكن الملك المؤيد – على ما يبدو – لم يستوعب رسالة والده فيما يخص هؤلاء الأمراء، واستمر في تكبره وغيِّه، مما اضطر الملك المظفر إلى عزله عن ولاية صنعاء، وإسنادها إلى الملك الأشرف مرة أخرى، لعله يصلح بعض ما أفسده المؤيد مع الأمراء الحاتميين ومع غيرهم من القبائل والأشراف الزيديين، حتى وصف الأمير بدر الدين محمد بن حاتم هذا الأمر بقوله[3]: "فاقتضت الآراء طلوع من لا يأفل الخطب إلا بطلوع غرته، ولا تخمد الحرب إلا بوقود نار همته وعزمه، مولانا السلطان الأعظم الملك الأشرف". فطلع إلى صنعاء في سنة 693هـ[4]، قبل أشهر قليلة من وفاة والده المظفر في سنة 694هـ[5].

(1) نقيل صَيْد: وهو ما يعرف اليوم بنقيل سمارة، الذي يقع بين يريم والمخادر، ويمر به طريق تعز – ذمار. المقحفي، معجم البلدان، ص 400.
(2) السمط، ص558.
(3) المصدر نفسه، ص561.
(4) ابن الحسين، غاية الأماني، 1/ 474.
(5) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، 1/ 275.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

## الخاتمة:

مما لا شك فيه، أنه لولا تلك الخصوصية في العلاقة بين الأمراء الحاتميين – وعلى رأسهم في ذلك الحين الأمير بدر الدين محمد بن حاتم – والدولة الرسولية في عهد الملك المظفر يوسف بن عمر، لما تمكن هذا الملك من بسط نفوذ دولته على مناطق اليمن وصولًا إلى صعدة في أقصى الشمال.

كما كان للصفات الشخصية التي توافرت في كل من الملك المظفر والأمير بدر الدين دور كبير وكلمة الفصل في تلك الخصوصية، إذ شكلا ثنائيًّا فريدًا لم يتكرر في تاريخ العلاقات بين الطرفين على امتداد تاريخ الدولة الرسولية (626 – 858هـ)، ولم يكن له مثيل في تاريخ اليمن في عهد الدول المستقلة، إلا ما شهدته الدولة الطاهرية من الخصوصية في العلاقة مع قبيلة همدان (الإسماعيلية) في عهد الملك الظافر عامر بن طاهر (858 870–هـ).

ولذلك رأينا كيف تزعزعت أوضاع الدولة الرسولية في أواخر عهد الملك المظفر، حين ولى صنعاء وما حولها لولديه الواثق والمؤيد، اللذين جهلا أهمية هذه الخصوصية في العلاقة مع الأمراء الحاتميين بالنسبة للاستقرار السياسي في الدولة الرسولية، وبالتالي فشلا في إدارة تلك المناطق بمعزل عن هؤلاء الأمراء، بينما كان أخوهما الأشرف سر أبيه، فأدرك بفطنته أهمية تلك الخصوصية، فكان عهده امتدادًا لعهد أبيه لولا الأجل الذي وافاه باكرًا.

وبالمقابل أخلص الأمراء الحاتميون للدولة الرسولية في عهد الملك المظفر، وبذلوا في خدمتها الغالي والنفيس حين رأوا ما لهم من المكانة عند هذا الملك، وأحجموا عن ولديه الواثق والمؤيد حين رأوا الغلظة في التعامل معهم، واستبشروا خيرًا حين آلت ولاية العهد في الدولة الرسولية للملك الأشرف.

## المصادر والمراجع

### أولًا- المصادر:


- ابن الأنف، عماد الدين إدريس بن الحسين (ت: ٨٧٢هـ)

1 - نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام في اليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار، مخطوط مصور، دار الكتب المصرية، القاهرة، برقم (1253) (تاريخ).

- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت: ٤٨٧هـ)

2 - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م.

- الثقفي، سليمان بن يحيى (ت: بعد سنة ٣٢٧هـ)

3 - سيرة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (532 - 566هـ)، تح: عبدالغني محمود عبدالعاطي، ط1، الرياض، 2000م.

- ابن حاتم، الأمير بدر الدين محمد بن حاتم (ت: بعد سنة ٧٠٢هـ)

4 - السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح: ركس سميث، كمبردج، 1974م.

- ابن الحسين، يحيى (ت: ١١٠٠هـ)

5 - أنباء الزمن في تاريخ اليمن، مخطوط مصور، دار الإمام زيد بن علي، صنعاء، برقم (3) (تاريخ).

6 - غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج1، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1388هـ/ 1968م.

- الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي (ت: ٧٤٤هـ)




للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

7 – كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، تح: عبد المحسن مدعج المدعج، ط1، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1992م.

♦ الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت: ٨١٢هـ)

8 – العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج1، عنى بتصحيحه: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، القاهرة، 1329هـ/ 1911م.

♦ ابن دعثم، أبو فراس بن دعثم الصنعاني ( من رجال القرن السابع الهجري)

9 – السيرة الشريفة المنصورية، سيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، ج2، ج3، تح: عبدالغني محمود عبدالعاطي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1414هـ/ 1993م.

♦ ابن الديبع، أبو الضياء وجيه الدين عبد الرحمن بن علي (ت:٩٤٤ هـ)

10 – قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تح: محمد بن علي الأكوع، ط2، المكتبة اليمنية، صنعاء، 1409هـ/ 1988م.

♦ السيد شرف الدين، يحيى بن القاسم بن (ت: ٦٧٧هـ)

11 – سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين، مخطوط مصور، دار الإمام زيد بن علي، صنعاء، برقم (4) (سير وتراجم).

♦ الشرفي، أحمد بن محمد بن صلاح (ت: ١١٠٠هـ)

12 – اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية، مخطوط مصور، دار الإمام زيد بن علي، صنعاء، برقم (4) (تاريخ).

♦ عبدالله بن حمزة (الإمام المنصور بالله) (ت: ٦١٤هـ)

13 – الشافي، ج1، تح: مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، 1406هـ/ 1986م.

♦ ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي (ت: ٧٤٤هـ)
14 – بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تح: عبد الله بن محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني، ط2، دار الحكمة، صنعاء، 1408هـ/ 1988م.
♦ ابن فند، محمد بن علي الزحيف (ت: ٩١٦هـ)
15 – مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، ج2، ج3، ويسمى: اللواحق الندية بالحدائق الوردية (شرح بسامة السيد صارم الدين الوزير)، تح: عبد السلام بن عباس الوجيه وخالد قاسم محمد المتوكل، ط1، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، 1423هـ/ 2002م.
♦ ابن القاسم، إبراهيم (ت: ١١٥٢هـ)
16 – طبقات الزيدية الكبرى (القسم الثالث)، ويسمى: "بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد"، تح: عبد السلام بن عباس الوجيه، ط1، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، 1421هـ / 2001م.
♦ المحلي، حسام الدين حميد بن أحمد (ت: ٦٥٢هـ)
17 – الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، ج2، تح: المرتضى بن زيد الحسني، ط1، مطبوعات مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي، صنعاء، 1423هـ/ 2002م.

## ثانيًا- المراجع:

♦ الأكوع، إسماعيل بن علي
1 – البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ/ 1988م.
2 – هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج2، ج3، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/ 1995 م.
♦ البستاني، بطرس



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

3 – محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1977م.

♦ جار الله، عبد الرحمن حسن

4 – ثُلا إحدى حواضر اليمن في العصر الإسلامي (تاريخها وآثارها)، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م.

♦ الحجري، محمد بن أحمد

5 – مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تح: إسماعيل بن علي الأكوع، ط2، دار الحكمة، صنعاء، 1416هـ/ 1996م.

♦ دهمان، محمد أحمد

6 – معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ/ 1990م.

♦ السروري، محمد عبده محمد

7 – تاريخ اليمن الإسلامي، ط1، دار الكتب اليمنية، صنعاء، 1429هـ/ 2008م.

♦ الشاوش، نادر حسن محمد

8 – الدولة الرسولية في عهد السلطان المؤيد داود (696 – 721هـ)، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، 1435هـ/ 2013م.

♦ العبادي، أحمد مختار

9 – قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، مؤسسة شباب الإسكندرية، 1988م.

♦ علي عبد الحليم

10 – الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط2، دار عكاظ، جدة، 1402هـ/ 1982م.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

♦ فرحان، عباس علوي
11 – بنو حاتم الهمدانيون (492 ـ 626هـ)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، 1426هـ/ 2005م.
♦ المقحفي، إبراهيم بن أحمد
12 – معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط2، دار الكلمة أ صنعاء، 1406هـ/ 1985م.
♦ المؤيدي، مجد الدين بن محمد بن منصور
13 – التحف شرح الزلف، ط3، مكتبة مركز بدر، صنعاء، 1417هـ/ 1997م.
♦ الميسري، محمد عبد الله
14 – الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ودوره في إحياء الدولة الزيدية في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، 1424هـ/ 2004م.
15 – الزيدية في اليمن، ط1، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، 1435هـ/ 2014م.
♦ هُديل، طه حسين عوض
16 – الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (626 – 858هـ)، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2010م.
♦ الويسي، حسين بن علي
17 – اليمن الكبرى كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي، مطبعة النهضة العربية، القاهرة، 1962م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

# العلم والذهنيات العامة في تاريخ اليمن الوسيط [1] من خلال كتاب "العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية" لعلي بن الحسن الخزرجي.

أ.د. أحمد السري


## ملخص:

يعالج هذا البحث العلاقة بين الازدهار العلمي في زمن الدولة الرسولية، وسيادة ذهنية عامة (خرافية) كما ظهرت في سير علماء الدين وعند العامة. بدأ البحث أولا باستعراض الصورة العلمية التي بان ازدهارها في أنشطة علمية مختلفة مثل بناء المدارس، والتدريس وفي تطور التأليف في موضوعات متعددة، تبع ذلك استعراض لنماذج من صور الذهنيات العامة (الخرافات) التي ذكرت في سير العلماء، وعند العامة في كتاب الخزرجي" العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية". ثم خُتم البحث بتحليل واف أبرز المواقف المناوئة للعلوم التطبيقية والفلسفة، وسيادة شكل من أشكال العلم الشرعي تم تواتره دون مراجعات نقدية، وهو ما أدى إلى ظهور روايات قديمة، جديدة ذات طابع خرافي متصلة بسير العلماء ومشاعة بين العامة. وقد أظهر التحليل أن شيوع الخرافات تلك كانت لها وظائف


(1) قدم هذا البحث في مؤتمر الدراسات الآسيوية والأفريقية، ونشر ملخصه في أعمال المؤتمر ذاته المنعقد في لويزيانا- أمريكا، في سلسلة المونوجراف بواسطة مؤسسة NAAS Association for Asien and African Studies 2011

اجتماعية جلبت المنافع لبعض من زعم أن بمقدوره من خلال طلاسم شرعية دفع شرور القوى الخفية التي تشيع أخبارها ويصدقها الناس. وختم التحليل بإبراز فوائد العلم التطبيقي والفلسفة في تحرير العقول من أوهام الخرافة التي لا تزال ممتدة إلى اليوم.

## Knowledge and Superstitions in Medieval Yemen History: Based on The Alḫazraji's Book " The Pearly Necklaces in The History of The Rasulids State.


### Abstract

This research deals with the relationship between the knowledge flourishing in the time of the Rasulids state and the prevailing of superstitious mentality as it appeared among the religious scholars and the public in the same time. The research begins with presenting the flourishing knowledge image that emerged in various activities such as such as Building of schools, teaching and composition of books in various subjects. The research presents thereafter selective images of superstitions mentioned in the biographies of religious scholars and among the public as depicted by Alḫazraji in his book "History of the Rasuilds State".

The research ended with a thorough analysis which revealed the opposing attitudes to applied, philosophical sciences. it also revealed how a form of religious knowledge prevailed and had been repeating without critical reviews, which led to the emergence of an old and new traditions of a mythological nature related to the religious figures themselves and were popular among the public. The analysis showed how superstitions spread and believed by people were used to bring benefits to those alleged that they




للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

can protect people from the evils of hidden jinn using religious talismans.. The analysis concluded by highlighting the benefits of applied science and philosophy in liberating minds from the illusions of superstitions which still continuous to the very day.

## مدخل:

يعد المؤرخ علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي (732 – 812هـ)، أبرز مؤرخي الدولة الرسولية. وللخزرجي مجموعة من الكتب هي: "طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن"، و "العسجد المسبوك في ذكر من ولي اليمن من الملوك"، ثم كتاب "العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية"، قيد الدرس[1]، وهو من أهم الكتب المؤلفة في عصر الدولة الرسولية، لما حواه من أخبار سياسية وعلمية واجتماعية واقتصادية. والكتاب حولي الترتيب، حيث يبدأ الخزرجي بذكر السنة الهجرية ثم يروي ما حصل فيها من أحداث متنوعة متصلة بالدولة الرسولية، فإذا فرغ من ذلك بدأ بذكر من توفي في تلك السنة من فقهاء وأدباء وشيوخ علم، وقدَّم لهم سيرا مختصرة، تبين أدوارهم الاجتماعية ومواقعهم العلمية وما حصل لبعضهم من أحوال استحقت التسجيل.

ومن مجموع الأخبار التي أوردها الخزرجي متصلة بالفقهاء والعلماء والأدباء، ثم ما ذكره من حوادث غريبة وقعت، أو حرائق كبرى نشبت، أو مجاعات حدثت، يمكن الحصول على صورة اجتماعية للفترة التي أرخ لها الخزرجي والتي تقع بين بدايات الدولة الرسولية 622 هـ، وحتى نهاية عهد الملك الأشرف الرسولي المتوفي عام 803 هـ.

(1) الخزرجي، علي بن الحسن: **العقود اللؤلوية في تاريخ الدولة الرسولية**، ج1، تحقيق محمد بن علي الأكوع، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1983 م.

لم يكن الخزرجي شاهد عصر على كل ما روى في كتابه، فهو من سكان القرن الثامن الهجري وأوائل التاسع، فمولده كان سنة 732 هـ وتوفي عام 812هـ، وبناء عليه يكون الخزرجي قد عاش ثمانين عاما. وعطفا على هذه التواريخ يمكن القول إنه عاصر وأرخ لأحداث أكثر من نصف قرن في حياة الدولة الرسولية. أما ما رواه من أخبار للفترة التي سبقت معاصرته فقد اعتمد فيها على غيره من الكُتَّاب وفي مقدمتهم (بهاء الدين الجندي) المتوفّى (732هـ)، وكتابه: "السلوك في طبقات العلماء والملوك"، وهو يشير إلى ذلك في معظم ما نقل عنه من أخبار. ولذلك فإن ما سنستخلصه هنا من صورة اجتماعية للقرن السابع الهجري ومن بينها العلم والذهنيات العامة لا يمكن نسبتها خالصة للخزرجي إلا بقدر دوره في اختيار أو اختزال أو إعادة صياغة لمنقولاته عن الكتب التي أشار إليها.

والصورة الاجتماعية التي ننوي استخراجها من كتاب العقود هي تلك التي تأتلف فيها عناصر الحياة كلها باستثناء السياسي منها، ولا شك أن السياسي عنصر مؤثر في الصورة الاجتماعية كلها لكننا لن نتعرض له إلا بقدر اتصاله بباقي أجزاء الصورة التي تشكلها الأخبار المتعلقة بالعلم والاقتصاد وأخبار الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد وذهنيات عامة.

ففي مجال العلم أورد الخزرجي أخبارا عن الفقهاء والعلماء والمتصوفة والأدباء وما ألفوه من كتب أو أشعار، كما عرض لبناء المدارس، وذكر ما كان يدرس فيها من كتب، وأكثر أخبار الكتاب تقع في هذا الباب. وفي موضوع الأموال والجبايات (الاقتصاد) عرض الخزرجي لعلاقة الدولة الرسولية بالرعية وطرق تحصيل الخراج والزكاة، كما تحدث أحيانا عن المقادير المفروضة على المزارعين وأشكال الإصلاح التي وقعت في عهد هذا السلطان الرسولي أو ذاك، كما ذكر الكوارث والمجاعات والموقف الرسمي منها، ومنها يتعرف القارئ



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

على المصطلحات المعاصرة ذات الصلة بالأرض والنظام الإداري والأموال والإصلاحات الاقتصادية، كما أورد الخزرجي أخبارا عن مصادرات وقعت بين الحين والحين، وعن التجارة وموادها، والصِلات السياسية مع مصر خاصة بما فيها من هدايا متبادلة بين الرسوليين ومماليك مصر.

ولم يفرد كتاب "العقود" ذكرًا خاصا لحياة الفلاحين والرعية كي نستخرج منها صورة أوسع للحياة الاجتماعية، والقليل من الذكر فقط يمكن استخلاصه حين ترد أخبار اجتماعية عن الكوارث الكبرى والمجاعات، أو ما اتصل منها بشأن رسمي له علاقة بالمدفوعات المستحقة للدولة أو بإصدار عملة جديدة أو بإحصاء عدد النخل في هذه الجهة أو تلك لتحديد ما يدفع عليها، ومع ذلك فإن في سير من وردت أسماؤهم من المشاهير والأعيان وخاصة الفقهاء والمتصوفة وشيوخ العلم، ما يعين على رسم صورة اجتماعية فيها العادات والتقاليد وعلاقات القوم بعضهم ببعض، وعبرها تظهر أيضا ملامح التطور العلمي وطبيعة الذهنيات السائدة إزاء بعض القضايا العامة، التي سنوردها ضمن مصطلح الذهنيات العامة (والمقصود به ما ندعوه اليوم خرافات لمجافاتها العقل والمنطق)، لكن اصطلاح الذهنيات العامة يحتفظ للعصر بنكهته الثقافية كون تلك الذهنيات كانت جزءا من اعتقادات يقينية إزاء ما روي من ظواهر بعينها خارقة للعادة.

وفي كتاب العقود أيضا ذكر لنساء بني رسول وألقابهن المميزة مثل الدار نجمي والدار شمسي، والجهة، وهن يذكرن بأفعال في مجالي السياسة والعلم، وفي المجال الاجتماعي أيضا.

غير أن تتبع مفردات هذه اللوحة الاجتماعية كلها متعذر في حيز بحثي محدود، فضلا عن كونها مستوعبة من كتاب الخزرجي وغيره في كتاب "حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول"، لمؤلفه (عبد الله الحبشي). ولذلك رأينا الاقتصار على إبراز



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

الصورة العلمية أولًا، وثانيًا: إبراز الذهنيات العامة لما بينهما من اتصال، أساسه أن معظم الذهنيات الواردة ارتبطت بفقهاء وعلماء، أو دارت حولهم. وسنحاول في الختام تقديم تحليل لفهم العلاقة بين العلم والخرافة، على أساس أن العالم والفقيه المنوط به بناء العقل وتحريره من أخطائه وخزعبلاته هو ذاته مدار الذهنيات العامة لذلك العصر.

وقد عقد الحبشي فصلا للعلوم في عصر بني رسول في الكتاب المشار إليه، أجمل فيه أحوال العلم في عصر بني رسول كُلِّه، وما حاولناه هنا هو تجاوز المجمل إلى بعض التفاصيل اليومية التي شكلت الثقافة العلمية المعيشة في القرن السابع الهجري بخاصة، فضلًا عن ربط الصورة العلمية بالذهنيات العامة وهو مما لم أعثر له على سابقة في القرن السابع الهجري في اليمن.

## أولا- الصورة العلمية:

### ا. الصورة العلمية العامة

تحت هذا العنوان سنحاول رسم صورة للحياة العلمية في القرن السابع الهجري في اليمن، وليس لهذا من تبرير سوى احتواء الكتاب المذكور على كم من الأخبار الصالحة لرسم العلاقة بين العلم والذهنيات لهذا القرن وما تلاه، ولذلك فإن الصورة المستخرجة لهذا القرن، يمكن سحبها بكليتها على القرن الثامن والتاسع حتى مطالع القرن العاشر الهجري، حين تغيرت الأحوال السياسية وسقطت أهم دولتين رعتا العلم في اليمن على نحو استثنائي هما الدولة الرسولية التي نحن بصددها ثم الدولة الطاهرية التي أعقبتها (858 – 923 هـ).

يستطيع متصفح كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي أن يقف سريعا على مزاج عصر كان فيه العلم، والعلم الشرعي على وجه الخصوص، يحظى برعاية أولي الأمر وبقبول الناس وإقبال عليه كبير من الراغبين في التّعلُّم. وليس الحشد الكبير

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

من الفقهاء والعلماء الذين أرخت لهم مصادر هذه الفترة، إلَّا دليلا على ذلك، بالإضافة إلى العدد الكبير من المدارس التي استقصاها وأفردها في كتاب جامع القاضي العلامة المحقق (إسماعيل بن علي الأكوع)، سماه: "المدارس الإسلامية في اليمن".

لقد كان زمن نهضة علمية حقيقيًا، وإن لم تحظ العلوم العقلية بالاهتمام ذاته كالذي حصلته العلوم الشرعية. بُنِيَت المدارس ورُتِّب فيها المدرسون وجُعِل لها الوقف الضروري وبعض واردات الدولة لضمان استمرارية التدريس فيها. ويورد الخزرجي في عقوده عناوين كتب كانت مدار تدارس أو تأليف أو شرح أو اختصار أو مناقشات، بعضها مشهور مثل كتب الحديث الستة وكتب القراءات، وبعضها من تآليف علماء اليمن، وقد ورد ذكر هذه الكتب بالإشارة إلى المختصر المتداول في عنوان الكتاب دون ذكر اسم الكتاب كاملا ولا مؤلفه، اعتمادا على الشهرة، وعلى طول العشرة مع كتب بعينها، مثل الإشارة إلى "المهذب" و"البيان" و"المعين" و"اللُّمَع" و"الوسيط"، وإلى شروح أُلِّفت حولها، دون حرص على ذكر تفاصيل وافية لها، وهو ما يعني شهرة هذه الكتب في العالم الإسلامي كله، حيث لا حاجة إلى التفصيل في المشهور المتداول. ودليل شهرتها ذِكْرُها أيضا بتعريفها الكامل عند ياقوت الحموي في معجم البلدان في إطار التعريف ببعض مراكز العلم في اليمن[1].

وإجمالا للمتفرق وحتى نتمكن من متابعة الإشارات التي ترد في عقود الخزرجي للمشهور من الكتب المتداولة في القرن السابع الهجري خصوصا، يحسن أن تتم الإشارة إلى العلوم والكتب المتداولة التي ورد ذكرها متصلا بسير الفقهاء والعلماء.

(1) انظر مثلا مادة "سَيْر"، وهي من مراكز العلم في اليمن، أوردها ياقوت في معجمه وذكر من نسب إليها من الفقهاء وأشهر مصنفاتهم، وهي تدور أيضا حول كتاب "البيان" وكتاب "المُذْهب" وغيرها من الكتب. الأكوع، إسماعيل بن علي، (تحقيق): **البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي**، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م، ص 157-158.

أما العلوم فكانت: (الفقه، والفرائض، والنحو والصرف، والمعاني، والبيان، وأصول الفقه، وأصول الدين، والتفسير، وعلم القراءات، والحديث وعلومه، واللغة والعروض، والقوافي) بالإضافة إلى (الطب، والمنطق، والموسيقى، وعلم الفلك) ولكن بندرة ظاهرة، بل لم تكد تذكر[1]، وهناك من كان يتعاطى التنجيم المتصل بعلم الفلك.

أما الكتب التي كانت مدار تداول وترد في عقود الخزرجي بأسمائها المختصرة، فقد لُذْنا بجامع الشروح والحواشي لبيانها[2]، وهي جميعا من كتب الفقه الشافعي، منها ما هو مرجعي أصلي (أمهات) ومنها شروح للكتب الأصلية، وبعض الشروح تتحول إلى أصل وتحوز على شروح ومختصرات وهكذا. وأشهر الكتب المرجعية الأصلية التي تم تدارسها هي كتب "التنبيه في فروع الشافعية" و"المهذب في المذهب" و" اللُّمع في أصول الفقه" (لأبي إسحاق الشيرازي) (ت: 476 هـ)، ثم تدارس الطلاب شروح هذه الكتب وخاصة شروح (يحيى ابن أبي الخير العِمْراني)[3] (بكسر العين) لكتاب "المُهذَّب"، وهو من علماء القرن السادس الهجري البارزين، (ت: 558هـ) وهي: "مشكلات المهذب" و: "الزوائد على الزوائد"، و: "البيان

(1) قارن، الأكوع، إسماعيل بن علي: **المدارس الإسلامية في اليمن**، (منشورات جامعة صنعاء) دمشق، دار الفكر، 1980م، ص 9.

(2) انظر: الحبشي، عبد الله محمد: **جامع الشروح والحواشي**، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 2004م. الكتاب مرتب حسب الأحرف الهجائية ويمكن الرجوع إلى الصفحة بتتبع أوائل حروف الكتب المشار إليها.

(3) هو يحيى بن أبي الخير بن سالم بن اسعد بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عِمران (العِمراني) ولد في "مصنعة سَيْر"، الواقعة قديما في مخلاف صبهان من أعمال إب، وكانت مركزا من مراكز العلم، ويرجى عدم الخلط بين النسبة (العِمراني)، وهي نسبة ابن أبي الخير، والنسبة إلى مدينة عمران (العَمْراني) بفتح العين، الواقعة شمال صنعاء. انظر سيرته مفصلة في: ابن سمرة الجعدي: **طبقات فقهاء اليمن**، تحقيق فؤاد سيد، بيروت، دار القلم، (د. ت)، ص174-210.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

في مذهب الإمام الشافعي". وقد طبع أخيرا. ثم شروح "التنبيه" التي كان نصيب أهل اليمن منها ثمانية شروح وحواشٍ ومختصرات للأصل والشروح، منها مما أُلِّف في القرن السابع مثل: "الإكمال لما وقع في التنبيه من الإشكال"، (لمحمد بن عبد الرحمن التريمي الحضرمي) (ت: 650هـ)، و "شرح التنبيه" (لأبي القاسم أحمد بن محمد السبتي الحضرمي اليمني) (ت: 675هـ)، و "شرح التنبيه" (لمحمد بن أبي بكر الأصبحي) (ت: 691هـ). كما حاز كتاب "اللُّمع" على شروح كثيرة من علماء اليمن وفي مقدمتهم علامة القرن السادس الهجري (يحيى ابن أبي الخير العِمْراني)، فقد ألف شرحا سماه: "مقاصد اللمع"، وفي القرن السابع الهجري ألف (أبو بكر موسى التباعي الحميري اليماني) (ت:621هـ) "شرح اللمع" وألف قاضي عدن (أحمد بن مقبل العلهي اليمني) (ت: 630هـ): "شرح مشكل اللُّمَع".

ومن الكتب الأصلية التي تدارسها أهل العلم في اليمن كتابا: "الوسيط المحيط بأقطار البسيط" و:"الوجيز في الفروع"، لحجة الإسلام (أبي حامد الغزالي) (ت: 505 هـ). وقد اهتم أهل اليمن بكتاب "الوسيط"، وألفوا شروحا حوله، من ذلك "غرائب الوسيط" (ليحيى ابن أبي الخير العِمْراني) السالف الذكر، و:"شرح الوسيط" (لإسماعيل بن محمد الحضرمي) (ت: 677هـ)، و:" شرح الوسيط" (لجمال الدين أحمد بن علي العامري) (ت:721 هـ). ومن الكتب الأصلية المتداولة أيضا: "الحاوي في الفقه" (لنجم الدين عبد الغفار القزويني) (ت: 665هـ)، وقد حصلت له شروح ومختصرات كثيرة. ومن الأمهات أيضا كتاب: "منهاج الطالبين وعمدة المفتين"، المعروف اختصارا بالمنهاج، لمحيي الدين أبي زكريا النووي (ت: 677هـ)، و:" معين أهل التقوى على التدريس والفتوى" (لعلي بن أحمد الأصبحي) (ت:703هـ)، وهو مؤلف حاز شهرة وقبولا وتدارسه طلبة العلم، لجمعه المسائل الخلافية في الفقه، وقد كتبه مستعينا بأكثر من أربعين مصنفا



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

من الأمهات والشروح[1]. كما كان يعتمد في علم الفرائض على كتاب: "الكافي" (لإسحاق بن يوسف الصردفي) (ت: 500هـ) وشروحه، وقد حل محل كتاب: "كفاية المهتدي" (لمحمد بن يحيى بن سراقة العامري) (ت:410هـ)، وفي علم الحديث تدارس الطلبة الكتب الصحاح الستة، بالإضافة إلى كتب في النحو واللغة.

### ٢. نماذج من العلوم والعلماء.

للحصول على صورة وافية عن الثقافة العلمية للقرن السابع، تم- أمام تشابه كثير من السير العلمية والأوصاف- انتخاب قائمة من العلماء والفقهاء والمتصوفة (مستبعدين الأدباء والشعراء)[2] تتكفل سيرهم المتنوعة، برسم صورة عامة للحياة العلمية على نحو مرضٍ، لاسيما وقد لاحظنا أن النعوت المتنوعة التي رُصِّعَت بها أسماء العلماء والفقهاء والمحدثين والمتصوفة، تعكس صنوف المعارف التي سادت في القرن السابع الهجري، وأوجه التعامل معها، ومراتب الإطراء التي دُبَجَّت بها سير العلماء والفقهاء.

ولنبدأ بالقاضي (إبراهيم بن أبي بكر العرشاني)[3] مثلا (ت:626هـ)، وهو شاهد على حياة علمية سابقة عن الرسوليين، فقد توفي في بدايات الدولة الرسولية، وحاز نعوتا تدل على تميزه وغزارة علمه، فقد كان: "فقيها فاضلا أصوليا، وله

(1) الأسنوي، عبد الرحيم (جمال الدين): **طبقات الشافعية**،، ج2 بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م. ص 257.

(2) صورة الشعر واحدة في التراث الإسلامي، وموضوعاتها مكررة، ودراستها بلاغيا وفنيا يخرج عن موضوع هذا البحث، وكمثال على صورة الأدب في القرن السابع، يمكن الرجوع إلى كتاب، خواجي، مجدي بن محمد: **محمد بن حمير الهمداني، شاعر الدولة الرسولية في القرن السابع**، بيروت، مؤسسة الرسالة،2001.

(3) فيما يتعلق بسير العلماء والاقتباسات عنهم سنكتفي بإحالة واحدة إلى الجزء والصفحة بدل التوقف والإحالة عند كل اقتباس تحاشيا للتكرار، وقد لزم التنبيه.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

مصنفات في الأصول، على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري"[1]. ومثله الفقيه (سالم بن محمد العامري) (ت:629هـ)، والمتوفى أيضا في بدايات الدولة الرسولية وقد وُصِف بأنه: "كان فقيها مُحدِّثا غلب عليه الحديث "[2]. كما وصف الفقيه (أبو العباس أحمد العُلي)، (ت:630) بأنه كان: "حافظا محققا فقيها مدققا"، صنف كتابا يسمى الجامع، يدل على جودة علمه وكتابا في أصول الفقه سماه الإيضاح وله شرح المشكل في غريب اللمع"[3]. ووصف الفقيه (أحمد بن الفقيه بن أبي عمران) (ت:632 هـ) بأنه: "تعلم السنة والفقه والنحو واللغة والحديث والأصول"[4]، وكان أستاذا للسلطان الرسولي (نور الدين عمر بن علي بن رسول).

### ٣. صلة علماء اليمن بمراكز علم في العالم الإسلامي

وكان علماء اليمن لهذه الفترة على صلة بباقي مراكز العلم في العالم الإسلامي، ومنها مكة وبغداد ومصر وخراسان. يستفاد ذلك مما ورد في سيرة الفقيه العلامة (الإمام علي بن قاسم الشراحيلي) (ت: 640 هـ)، الذي صنف كتبا كثيرة، منها كتاب: "الدرر في الفرائض"، ومختصرا سماه: "الدرر"، بين فيه بعض مشكلات "التنبيه"، وكان الفقيه يحفظه عن ظهر قلب، ثم أرسل مختصره إلى بغداد بمعية (رضي الدين الصغاني)، فحَفّز جماعة من علماء بغداد وغيرهم للإجابة على المشاكل التي أبرزها في كتاب "التنبيه"[5]. وربما كان لِصِلات الرسوليين الحسنة بالعباسيين صِلةٌ بهذه العلاقة العلمية لأنها تنسجم مع تبعية الرسوليين الاسمية للخلافة العباسية. وهناك صلات علمية أخرى أقامها علماء اليمن مع علماء مكة،

(1) الخزرجي، ج 1، ص 49.
(2) الخزرجي، ج1، ص 57.
(3) الخزرجي، ج1، ص 58.
(4) الخزرجي، ج1، ص 60.
(5) الخزرجي، ج1، ص 71.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بحكم مكانتها الروحية من جهة، ولوقوعها تحت السيادة الرسولية لهذه الفترة، واهتمامهم الزائد بِكَسيِ الكعبة كما ينبغي. ومن الفقهاء الذين أقاموا صِلات علمية مع علماء مكة الفقيه (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم) (ت:661 هـ)، فقد ارتحل إلى مكة والمدينة وأخذ عن مشايخها المجاورين مثل (ابن أبي الصيف) و(عمر بن عبد المجيد القرشي)، وكانت له مكانة عند المنصور والأشرف الرسولِيَّين.[1] أما الصِلات العلمية مع خراسان ومصر، فقد اقترنت بسيرة المظفر الرسولي العلمية، (647-694)، لأنه إلى جانب كونه حاكما كان "متضلعا في العلوم"، ومنها علم التفسير، ومن شهادات حرصه العلمي واستقصائه المعرفي، ما ذُكِر أنه قرأ تفسير (فخر الدين الرازي) فوجد فيه نقصا، فكتب بهذا الشأن إلى قاضي قضاة الديار المصرية، (تاج الدين ابن الأعز) فأرسل له بأربع نسخ من التفسير فوجد فيها النقص ذاته، ثم أرسل رسولا إلى "هِراة بخراسان"، ليأتيه بنسخة المُصَنِّف، فأتته النسخة ووجد فيها النقص ذاته. وينقل الخزرجي أن المظفر كان عالمًا بالطب أيضا، كما جاء في رسالة أرسلها المظفر لصاحب مصر، يطلب منه طبيبا، ليعمل في "ظفار الحبوظي" الوبيئة (وهي ظفار العُمانية حاليا)، وقد جاء في الرسالة: "ولا يظن المقام العالي أنا نريد الطبيب لأنفسنا، فإنا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا، وقد اشتغلنا فيه من أيام الشبيبة اشتغالا كثيرا، وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب، وله كتاب "الجامع" ليس لأحد مثله"[2]. ويستفاد من هذه الصلة العلمية مع مصر لاسيما المتعلق منها بطلب طبيب ليعمل في ظفار الحبوظي، دليلا على أن العلوم البحتة لم تكن مرعية بالقدر نفسه الذي رُعيت فيه العلوم الشرعية. وقد مرت بنا إشارات يتيمة إلى وجود من يعلم في الطب والفلك والهندسة، لكن

(1) الخزرجي، ج1، ص 130.
(2) الخزرجي، ج1، ص 234.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

طلب طبيب من مصر ليعمل في ظفار الحبوظي يشهد على عدم تكون فئة من الأطباء يُداوون ويُدَرِّسون ويؤلفون كما هو الحال في العلوم الشرعية، كما لم يرد قط ذكر لبناء مشفىً لمداواة المرضى رغم انشغال المظفر الرسولي وابنه في الطب كما ورد.

### ٤. غلبة العلم الشرعي والتقليد

لقد ظل العلم الشرعي وطلب الفقه خاصة هو الغالب، ولذلك كثرت مراكزه وكثر المنشغلون به والمتخصصون في فروعه. ذُكر في سيرة الفقيه الفاضل (أبي عبد الله ابن عمران الخولاني) (ت:695هـ) بأنه توجه إلى "جَبأ"[1] للتعلم، وهناك قرأ القرآن والفقه والحديث على عشرين شيخا.[2] وقد اكْتُفي في العلوم الشرعية باستيعاب وفهم المتداول منذ قرون، وهو ما تؤيده بعض النعوت الواردة في عقود الخزرجي، ومنها ما وصف به الفقيه (أبا العباس أحمد بن الحسن ابن أبي الخل) (ت:690هـ)، وأنه كان: "فقيها محجاجا، غَوَّاصًا على دقائق الفقه، عارفا بأخبار المتقدمين، صاحب فنون متسعة".[3] كما لم تتضمن سير الفقهاء والعلماء التي بين أيدينا، ما يفيد الجدل والنقاش حول أمور اجتهادية جديدة، بل ربما عرض الفهم المختلف للسائد والمتداول والمكتوب، عرض صاحبه لسوء الظن به، وهو ما يعني غلبة التقليد في القضايا المتدارسة. نستفيد هذه الفكرة مما ورد بشأن الفقيه العالم (أبي محمد عبد الله بن زيد العريقي) وأنه كان: "فقيها دقيق النظر ثاقب الفطنة، اتضح له في بعض المسائل ما لم يتضح لغيره، فلم يقلد فيها إمامَه، فأنكر عليه عُلماء وقته.. وكان مشهورا بالعلم والصلاح ومصنفاته تدل على غزارة

(1) قرية خاربة اليوم، تقع على السفح الغربي لجبل صبر المطل على تعز، وكانت قديما قصبة المعافر ومركزا علميا مرموقا. الأكوع، **البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي**، ص 69.

(2) الخزرجي، ج1، ص 241.

(3) الخزرجي، ح1، ص 222.

علمه، وجودة نقله، وله عدة مصنفات في الفقه والأصول"[1]. بيد أن فهمه المخالف للسائد قوبل بالرفض والاتهام. كما اتُّهم الفقيه (محمد بن سالم بن علي العنسي) (ت: 677هـ)، في دِيْنِه، ولم يرد سبب الاتهام، غير أن الرواية تبدأ بالشهادة للفقيه بالفضل، وأنه هجر الفقهاء ونافرهم، لاتهامه في دينه بالباطل. وقد اضطر أن يبين أن اتهامه كان باطلا، فقصد (بهاء الدين العِمراني) (ت:695هـ)، متولي الوزارة والقضاء لهذه الفترة، وحلف أمامه، بأنه لم يغير معتقده وأراه كتابا: "صنفه في معتقد أهل السلف فقبل منه بعض قبول"[2]. وكان تصنيف أحد الكتب سببا لوحشة بين الفقيه العلامة (أبي الخطاب عمر اليعلي) (ت: 684هـ) و(بهاء الدين العِمراني)، متولي الوزارة وقضاء الأقضية، فقد صنف الفقيه اليعلي كتابا سمَّاه: "زوائد البيان على المهذب"، وذكر أن مؤلف "البيان"، (يحيى ابن أبي الخير العِمراني)، كان قريبا للوزير بهاء الدين العِمراني، مع أن بين تاريخي وفاة الرجلين قرنا وثلث القرن ونيف، إذ توفي ابن أبي الخير العمراني مؤلف "البيان" في (558هـ) وتوفي الوزير بهاء الدين العِمراني في (695هـ)، لكن شهرة الاثنين ضمنت تواصل النسب بينهما، لالتقائهما عند الجد عِمْران، فالأول عالم ووزير معاصر، والآخر عالم مات، فأحيته كتبه المتدارسة ومنها "البيان". ثم نُقِل للوزير العِمْراني أن غرض تأليف كتاب "زوائد البيان على المهذب" هو الحط من قيمة كتاب "البيان"، كي لا يلتفت إليه الناس مع وجود كتاب "المهذب". ومع أن الزيادات في العلم محمودة إلا أن "البيان" كما تفيد الرواية لم يكد يجد شهرة، وأن هذا المؤلف الجديد، كما أشيع، إنما قصد الحط منه وكأنه يبين مواقع الزيادة التي لا تجوز، وهذه كلها أمور تشهد على حراك علمي من وجه، لكنه حراك ضمن السائد والمألوف وأن التقليد كان سيد الموقف، وينظر بريبة إلى أي فهم أو تأويل جديد يصل إلى حد الاتهام في الدين.

(1) الخزرجي، ج1، ص 72

(2) الخزرجي، ج1، ص 180.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

هذا لا يقلل البتة من ألق الحركة العلمية، ومن أهمية ثقافة التعلم والاستيعاب وفتح الباب واسعا أمام الجميع للتعلم والرقي في سلم العلم، مقارنة بالأحوال السابقة على الدولة الرسولية، أو حتى مقارنة بأحوال الجهات التي سيطر عليها أئمة الزيدية، حيث كانت المساجد وما عرف بالهِجَر أمكنة للتعلم[1]، لكن العلم كان إلى الاحتكار أقرب، في بيوت محددة، ولم ينتشر انتشاره في بقية جهات اليمن المحكومة من قبل الرسوليين. ولعل السبب يكمن في الموقف من العلم عند كل من الرسوليين والأئمة الزيدية، فقد رأى الأئمة أنفسهم مصدرا للعلوم الشرعية وللاجتهاد فيها، وبقي احتكار العلم أمرا ملازما للسيادة ولم يخرج إلا للمقربين الذين تشكلت منهم بعدئذ طائفة القضاة، بينما احتاج الرسوليون العلم الشرعي من خارج أسرتهم، من العلماء أيا كانوا، لأنه شكل أحد مسوغات حكمهم في مواجهة أئمة علماء يفخرون بنسبهم الهاشمي ويرونه أُسَّ الشرعية لحكمهم، لذلك اجتهد الرسوليون في نشر العلم قناعة بأهميته ومن أجل التقرب إلى الناس بتوفير سبل العلم لهم، كما قَرّبوا منهم من برع فيه وأجاد لاستدراك نقص في المواجهة الفكرية مع الأئمة الزيدية وعلمائهم الكبار، وليشكل من ثم سندا قويا في معترك الشرعية الحاد لذلك الوقت.

### 0. أساتذة القصور:

ومن الفقهاء المتصلين بالبيت الرسولي الحاكم، الفقيه (أبو محمد سعيد بن أسعد الحرازي) (ت: 678هـ)، الذي تظهر سيرته ما يمكن للمرء أن يبلغه بفقهه وعلمه، فقد أخذ العلم في "ذي أشرق"،[2] وحفظ القرآن واشتهر بحسن الصوت

(1) الأكوع، **المدارس الإسلامية في اليمن**، ص 7.

(2) قرية كبيرة تقع في أعلى وادي نخلان في مديرية السيّاني بمحافظة إب، وهي على مقربة من جبلة ويشرف عليها حصن التعكر من شمالها الغربي، انظر: المقحفي، إبراهيم: **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج1، صنعاء، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م. ص 70.

والخط، فاستدعته (الدار النجمي)، أخت السلطان الرسولي نور الدين، وكانت تسكن "ذي جبلة" فصار عندهم معلما، وكان بين دَرَسَته (تلاميذه)، ولي العهد المظفر الرسولي، فلما صار ملكا استدعاه وجعله معلما لولده الأشرف: "فنال نصيبا وافرا من الدنيا ".[1] وقد وصف هذا الفقيه بأنه لم يكن مُداهنا في دينه، وأنه كثيرًا ما صدَّ الأشرف عن أمور غير لائقة، وهو ما أقر به الأشرف بعد موته. ولم تذكر تلك الأمور صراحة، لكن إشارته إلى أنه نال نصيبا وافرا من الدنيا، تعزز قيمة العلم الشرعي الاجتماعية، وتكشف سر التنافس في الحصول عليه، وإن لم يكن بابًا لاتساع الدنيا عند جميع الفقهاء كما هو في كل آن وحين، فليس كل من اتصل بالرسوليين اتسعت دنياه ومنهم الفقيه الفاضل والأديب اللبيب (جمال الدين محمد بن حسين الحضرمي) (ت:681هـ)، الذي اشتهر بحسن الخط أيضا، ولم تذكر له دنيا واسعة، حتى بعد أن جعله الملك المظفر مربيا لولده المؤيد، لكنه أخلص في تربيته فَعَلَّم وأجاد وصار المؤيد: "ببركة تعليمه من أعيان الملوك"[2]. وبعض الفقهاء وصل بعلمه مرتبة عظيمة عند الرسوليين، فجمع بين منصبي الوزارة والقضاء، ومنهم القاضي بهاء الدين محمد بن أسعد العِمراني (ت:695)، الذي مر ذكره، إذ حاز صحبة أكيدة مع المظفر فولّاه الوزارة مع قضاء الأقضية، ويوصف بأنه كان خطيبا مُصقعا لبيبا ذا دهاء وسياسة وله حسن نظر في تدبير المملكة، كما كان شاعرا فصيحا وله في ذلك مؤلف ضخم، ولم يفت الرواية أن تذكر أن خَطّه كان ضعيفا، للإشارة إلى أن حسن الخط كانت من المزايا البارزة عند فقهاء زمنه وعلمائه.[3]

(1) الخزرجي، ج1، ص 188.
(2) الخزرجي، ج1، ص 196.
(3) الخزرجي، ج1، ص 244-245.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

### ٦. الفقراء يتعلمون:

وفي العقود إشارات كافية حول تأثير الفقهاء في كل أنحاء اليمن، ففي سيرة الفقيه إبراهيم بن عبد الله بن زكريا يرد أنه كان: "فقيها عالما مدققا، تفقه به جمع كثير من التهائم والجبال.. وانتشر عنه الفقه في اليمن انتشارا متسعا".[1] وتُعطي بعض سير العلماء معلومات عن المراكز العلمية في اليمن وتنوع تخصصاتها، فقد جاء في سيرة الفقيه الإمام العالم أبي الحسن علي بن مسعود الساعي ثم الكُتبي، بأنه كان إماما كبيرا ذا فنون كثيرة، اشتغل في أول عمره بالقراءات السبع حتى أتقنها، وأنه تعلم هذه القراءات في "حراز"[2]، ثم قصد الفقيه محمد بن عبد الله بن نزيل في "جبل تيس"[3] فقرأ عليه "المهذب"، ثم ارتحل إلى "جبا" فتعلم "البيان" على يد الفقيه أبي بكر بن يحيى، ثم عاد إلى "المخلافة"[4] فأخذ يدرس بها، لكنه لم يتمكن من الاستقرار فيها لغلبة الأئمة الزيدية عليها بعد ذلك.[5]. أما الأبرز من الأخبار المتصلة بالفقيه المذكور، فهي تمكين الفقراء من التعلُّم، وأنّ حلقته كانت تجمع ثمانين "متفقها" أكثرهم ذو فقر وحاجة وإيثار"[6].

وغالبا ما يتلازم ذكر الفقهاء بالمدارس التي درسوا فيها، وبالدرَسَة الذين تتلمذوا على أيديهم، ومثال ذلك ما يرد عند ذكر وفاة الفقيه الصالح أبي الخطاب

(1) الخزرجي، ج1، ص 73.
(2) منطقة تقع إلى الغرب من صنعاء، وتبعد عنها نحو نيف وستين كيلومترا، انظر، الأكوع، **معجم البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي**، ص 90.
(3) جبل مشهور يقع في المحويت، في الغرب الشمالي من صنعاء، ويقال له اليوم جبل حَبِشْ، المقحفي، ج1، ص 247.
(4) بلدة ذكرت ضمن بلدان محافظة حجة، وتعرف اليوم باسم قرية "الملحة" وتقع في الغرب الشمالي من مدينة حجة. المقحفي، ج2، ص 1454.
(5) الخزرجي، ج1، ص 97.
(6) الخزرجي، ج1، ص 100.

عمر بن مسعود الحميري نسبًا الأبيني بلدًا (ت: 658 هـ) وأنه كان مدرسا بالمدرسة النظامية في "ذي هزيم"[1]، وأن جمعا كثيرا تفقه على يديه و" خرج من أصحابه أربعون مدرّسا".[2].

### ٧. الفقهاء والقضاء:

وبعض الفقهاء كان يعمل في القضاء ومنهم الفقيه محمد بن أسعد بن عبدالله القري المذحجي العنسي(ت:661هـ)، الذي ولي قضاء عدن برهة من الدهر واتصف بالورع وجودة الفقه وكان حريصا على التواصل مع الفقهاء، ومثله كان الفقيه الصالح القاضي أحمد بن ثُمامة (ت:661هـ)، الذي اشتهر بالعبادة والصلاح "وامتُحِن بقضاء الضَّحِى". وتسترعي الانتباه عبارة "وامتحن بقضاء كذا...." فهي ترد أحيانا متصلة بمنصب القضاء كما في هذه السيرة، لكنها تغيب في السيرة السابقة حيث يذكر فقط ولاية القضاء دون الامتحان بها، لكن ذكرها المتكرر مقترنة بمنصب القضاء يكشف مشهدا اجتماعيا متصلا بمنصب القضاء، فالقضاء في تاريخ المسلمين كان -وما يزال-محك الورع لاتصاله بحاجات الناس ولما فيه من إغراءات وإمكانية استغلال المنصب للإثراء الحرام من خلاله أو القدرة على الجمع بين هذا المنصب المغري والتعفف عن الأموال[3]. وربما كان لذكر الامتحان بالقضاء علاقة برغبة حكام الوقت إسناد منصب القضاء إلى من يأنسون فيه الورع والتعفف عن المال الحرام. لكن هؤلاء الذين يرفضون تعففا وبعدا عن مواطن الشبهات، يجبرون بعدئذ على قبول المنصب. يستفاد ذلك مما

(1) قرية تقع في الغرب الجنوبي لمدينة تعز، وهي على ربوة هناك وتعرف اليوم باسم قرية المدرسة، وفيها قبر أول سلاطين بني رسول في اليمن. **الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن**، ص77. المقحفي، ج2، ص 1822.

(2) الخزرجي، ج1، ص 123.

(3) الخزرجي، ج1، ص 133.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ورد في سيرة الفقيه سليمان بن محمد الملقب بالجنيد (ت:663هـ) وأنه امتحن بقضاء مدينتي اليمن زبيد وعدن ثم عوفي (أعفي) من الجميع وعاد بلده[1]. فذكر الامتحان والإعفاء ربما دل على ما أشرنا إليه. ولعل فيما ورد في سيرة الفقيه الصالح بن إبراهيم العثري، ما يعزز هذه الفكرة، فقد ذكر أنه "ولِّيَ قضاء تهامة أجمع" "القضاء الأكبر"، وأنه كان من أهل الدين والدنيا وممن يأخذها من وجهها ويضعها في مستحقها، كثير البر والمعروف وله مكارم أخلاق وكان يضرب به المثل في الكرم والشفقة على الأيتام، وكان فوق ذلك مدرسا ويحضر حلقته أكثر من مائة طالب[2]. هذا يعني أن الفقيه لم يمتحن بالقضاء بل قَبِل العمل فيه كما قَبِل أخذ المال من المتقاضين وسواهم، ولذلك جاء الوصف أنه من: "أهل الدين والدنيا"، لكن الرواية بسطت له العذر في أفعال البر الكثيرة مقابل ذلك، إذ يبدو أنه أثرى من منصبه الكبير "القضاء الأكبر" إلى الحد الذي تمكن معه من الصرف على الفقراء والأيتام والضعفاء وعلى الخواص من أصحابه أيضا ومنهم الفقهاء.[3].

### ٨. علماء المذهب الحنفي:

ومن بين علماء اليمن لهذه الفترة من كان على المذهب الحنفي رغم غلبة المذهب الشافعي، إلا أن المذهب الحنفي احتفظ بوجوده في زبيد تحديدا في هذه الفترة وكان في المرتبة الثانية بعد المذهب الشافعي[4]. ومن ممثلي المذهب الحنفي لهذه الفترة الفقيه الإمام البارع أبو العتيق أبو بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري الحنفي المعروف بابن حِنكاس (ت:663هـ)، فقد كان عالما في المذهبين.. ومن

(1) الخزرجي، ج1، ص 140.
(2) الخزرجي، ج1، ص 149.
(3) الخزرجي، ج1، ص 149.
(4) كان للمذهب الحنفي وجود ظاهر في زبيد في هذا القرن وله فقهاؤه وأتباعه، وكان يأتي في المرتبة الثانية بعد المذهب الشافعي. انظر،: ابن المجاور الشيباني الدمشقي: **تاريخ المستبصر**، ليدن، مطبعة بريل، 1951م. ج1، ص88.

صدور الفقهاء..، أوحد أهل عصره اجتهادا في طلب العلم ونشر المذهب حتى قيل لو لم يوجد لمات مذهب أبي الحنيفة في اليمن، وله مع السلطان الرسولي نور الدين عمر بن علي حكاية تشهد على حرصه على مذهب أبي حنيفة وعلى تسامح السلطان الرسولي أيضا، فقد لقي ابن حنكاس السلطان الرسولي عمر بعد أن ابتنى الأخير مدرسة في زبيد وجعل عليها فقيها لتدريس الفقه الشافعي، فقال له: "يا عمر ما فعل بك أبو حنيفة إذ لم تبن لأصحابه مدرسة كما بنيت لغيرهم، فأمر ببناء مدرسة ثانية وجعل فيها موضعا لأصحاب الإمام أبي حنيفة وموضعا لأصحاب الحديث النبوي"[1].

ومع هذا التعايش المذهبي الجميل فلم يخلُ الأمر من جُهَّال في أوساط العامة يرون في مخالفة المعتقد سببا للشقاق والتكفير، يرد ذلك في سيرة الفقيه الحنفي الفاضل أبو عبد الله محمد بن علي (ت:681هـ)، الموصوف بالزهد والورع، فقد أصابه دين عظيم هرب بسببه إلى الجبال فأقام في مصنعة "سَيْر"،[2] وهي من مراكز العلم المشهورة لذلك الوقت، فسأله بعضهم ذات يوم عن المعتقد: "فأجابه بما لم يرض عنه السائل فأفضى ذلك إلى شقاق وتكفير فخرج الفقيه هاربا وبلغ القضاة ذلك فلم يعجبهم وأمروا برده".

هذه الحادثة مثل شبيهاتها قديما وحديثا تكشف علاقة الجهل بالتعصب والتكفير، بينما العلماء والفقهاء يحتملون بعضهم بعضا طالما صدروا عن الكتاب والسنة، وتبين باقي القصة أن الفقيه الحنفي أكرم بعد ذلك من وزير الدولة الرسولية بهاء الدين العِمراني وقضي دينه واعتذر له من فعل ذلك المجادل[3].

(1) الخزرجي، ج1، ص 141.

(2) واد مشهور في مخلاف صهبان من أعمال إب، كان فيه قرية سير ومصنعة سير وهما اليوم خراب ومكانهما شمال شرق الجند. الأكوع، **البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي**. ص 157.

(3) الخزرجي، ج1، ص 206.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

### ٩. التنافس على طلب العلم والمناظرات:

ومن مكونات الصورة العلمية أيضا التنافس على طلب العلم ثم حصول المناظرات بين العلماء والفقهاء لقياس مستويات المعرفة، ولا ضير في التنافس والمناظرات المشجعة على العلم لولا أن بعضهم وجد في المناظرات مدخلا للغرور المذموم والاعتقاد بأنه الأعلم في البلاد، كما تظهر ذلك سيرة الفقيه المصبري، الذي تعلم وصار فقيها وظن أنه أعلم أهل زمانه، ثم قصد زبيد فناظر فقهاءها وغلبهم فوصف نفسه شعرا بأنه الأفقه، فأراد مقابلة الفقيه علي بن مسعود للمناظرة وكان ابن مسعود، كما تفيد الرواية: "كبير القدر معظما عند أهل العصر"، يسكن محلة "بيت حسين" في تهامة ويدرس في مدرستها، وكان له تلميذ هو (كما صار إليه بعد ذلك) الفقيه العالم أبو محمد عمرو بن علي السباعي الذي تنقل بين مراكز علمية كثيرة وحصّل معرفة في فنون كثيرة ومنها الفقه والقضاء وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل الذي يرد ذكره هنا لأول مرة ليشير إلى وجود أتباع للمذهب الحنبلي أيضا[1]، وحط أخيرا عند الفقيه ابن مسعود دارسا في مدرسته. وصل الفقيه المصبري، الذي لا تكرمه الرواية بغير لقبه الشخصي هذا، دلالة على التبرم من سيرته، وصل إلى محلة "بيت حسين" ولقي عمرو بن علي السباعي تلميذ الفقيه علي بن مسعود فظنه الفقيه المقصود، فأخذ يلقي عليه أسئلته وتلميذ ابن مسعود يجيب عنها ولم يتعثر في سؤال أو مسألة، ثم أخذ التلميذ يلقي على المصبري أسئلته ومسائله فأجاب عن بعضها وعجز عن البعض الآخر، فاعتذر عن جهله وغروره لتلميذ ابن مسعود ظنا منه أنه الفقيه ابن مسعود، ثم أخبره التلميذ بأنه ليس الفقيه ابن مسعود وإنما تلميذه، وأن الفقيه علي يجلس في محراب المسجد إن أراد رؤيته، فازداد المصبري تعجبا وقال "إن كان هذا دَرَسِيٌّ من دَرَسَتِه فكيف يكون المدرس"[2].

(1) ذكر ابن المجاور وجود اتباع للمذهب الحنبلي في نواحي الجبال، **تاريخ المستبصر**، ج1، ص88.
(2) الخزرجي، ج1، ص 150 – 151.

### ١٠. الحذر في تلقي العلم:

ورغم الشغف الكبير بالعلم إلا أن بعض الفقهاء أظهر حذرا في أخذه إلا مِمَّن تم التحقق أنه أهل لأخذ العلم منه. يرد هذا الحذر في سيرة الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد بن أسعد (ت: 667هـ) الذي وصف بالرصانة وبأنه صاحب كرامات وآثار وأنه "لا يأخذ العلم إلا عمن خَبِره ". ثم قَدِم عليه رجل غريب تصفه الرواية بأنه تظاهر بالعلم والمعرفة وعرض على الفقيه أبي العباس أن يُقرِئه وأصحابه فرفض أبو العباس العرض محتجا بأنه لا يأخذ العلم إلا ممن تحقق من دينه وأمانته، وأن هذا الرجل غريب وربما أوقعه في محظور من حيث لا يشعر. لكن آخرين قبلوا التتلمذ على يديه ولم يظهر منه سوى الورع والزهد. وتضيف الرواية أن الملك المظفر زاره إلى منزله لما تحقق صلاحه وأكل عنده خبزا رآه خيرا وبركة[1]. ولم ترد سوى هذه الحادثة متصلة بالحذر من أهل العلم، كما لم يرد أي تعليل لذلك الحذر، ومع ذلك ربما كان لهذا الحذر، وقد ورد ذكر الملك الرسولي المظفر في هذه الرواية، صلة بالتنافس المذهبي بين الرسوليين والأئمة الزيدية، أو له علاقة بالتنافس في المقامات والقرب والبعد من السلطان، وأن الحذر كان طريقا للتشكيك في علوم الآخرين أو إثارة الريبة حولهم. فهذه أحوال بشرية لا يخلو منها زمان ولا مجتمع.

### ١١. سيادة عقلية الاستيعاب والجمود على كتاب واحد:

ومن الكتب ذات الشهرة إلى جانب "التنبيه" الذي مر ذكره، كتاب: "البيان في الفقه الشافعي" ليحيى ابن أبي الخير العِمْراني، وهو من شروح "المهذب" كما أشرنا إلى ذلك. وكان الفقيه العلامة عبد الله بن يحيى الهمداني (ت: 676هـ) أبرز حفاظه فاستدعاه الملك الرسولي المظفر ليأخذه عنه، إذ كان قد أتقن حفظه لأنه

(1) الخزرجي، ج1، مطبعة الهلال، مصر، 1911م، ص 173



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

كان تخصصه في التدريس، وقد كرر سماعه وإسماعه خمسا وعشرين سنة وكان مادة التدريس في المدارس التي رُتِّب فيها مُدرسا[1]. وهي رواية تشهد على جمود في الفكر وسيادة عقلية الاستيعاب والتلقين. وهما كافيتان للاعتراف للرجل بالعلم والتفقه وفقا للنعوت التي مرت بنا.

### ١٢. علوم دنيوية غير شرعية:

ومن الفقهاء الذين تظهر سيرُهم وجود تخصصات علمية غير شرعية، على ندرتها، الفقيه البارع أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الفارسي بلدا التيمي نسبا (ت:677هـ)، فقد أخذ بعض العلوم الشرعية عن شيوخ عصره في هذه الفنون، وأخذ عن الشريف (ولم يذكر له اسما كاملا) الطب والمنطق والموسيقى وعلم الفلك، وأنه شُهِر بعلم الفلك والموسيقى وله فيهما مصنفات مثل كتاب "دائرة الطرب" وكتاب في "وضع الألحان"، وكتاب "التبصرة في علم البيطرة" و"آيات الآفاق في خواص الأوفاق" وكتاب "في معرفة السموم"[2]. ومن الذين ذكرت لهم صلة بالطب الفقيه الفاضل أبو بكر بن يوسف المكي الحنفي (ت:677هـ) وأنه كان عالما مشهورا نحويا لغويا متأدبا مترسلا عارفا بالطب. وأنه كان يُقَرِّي أهل المذهبين كما كان شيخه أبو سوادة.[3] وترد بعض المصنفات الجديدة مقرونة باسم الفقيه الإمام الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الأصبحي (ت:691هـ) ومنها "المصباح"، وهو مختصر في الفقه، و: "الفتوح في غرائب الشروح "، و:"الإيضاح في مذاكرة التنبيه، و:"الترجيح"، و:"فضائل الأعمال" و:"الإشراف في تصحيح الخلاف".

وتُضْفَى صفات حميدة متميزة على هذا الفقيه الذي دَرَّس في "مصنعة سير" قبل أن ينتقل إلى إب، فهو العالم العارف المحقق العابد الزاهد المتورع الكثير التلاوة،

(1) الخزرجي، ج1، ص 156.
(2) الخزرجي، ج1، ص 178.
(3) الخزرجي، ج1، ص 179.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وله تلامذة كثر نبغ بعضهم ومنهم الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الأصبحي، صاحب كتاب "معين أهل التقوى.."، فأقبل عليه الطلبة إقبالا كبيرا وصار أحد كتب التدارس الأساسية الذي يكثر ذكره والإشارة إليه[1].

### ١٣. بين جودة العلم وكثرة التأليف:

ومن المصنفات الجديدة التي ترد في عقود الخزرجي ما أخرجه الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الله العِمْراني (ت:695هـ)، وهو فقيه فاضل مع ميل للتصوف كما تشير إلى ذلك مؤلفاته ومنها: "جامع أسباب الخيرات، ومثير عزم أهل الكسل والفترات"، وقد وصف بأنه من أحسن كتب المتعبدين، كما ألف مختصرا سماه: "البضاعة في فضل صلاة الجماعة"، وكتاب: "البضاعة"، و"إيضاح الأصبحي"، و:"التبصرة في علم الكلام"، وهو ما يشهد بأن الاشتغال بعلم الكلام لم يكن حاضرا بقوة، ولذلك يقِل ذكر المصنفات ذات الصلة بهذا العلم[2].

ويستفاد من ملاحظة ترد على لسان الفقيه أبي العباس المساميري (ت:699هـ)، أن تأليف الكتب لم تكن قرينة على كثرة العلم وتجويده بل على الجد في ذلك، فقد كان الفقيه المذكور من أقران الفقيه أبي الخير بن منصور، المُحدّث بزبيد، وكان كثيرا ما يقول: "أبو الخير أكثر كتبا مني وأنا أكثر علما منه"[3]، وهو قول يسمع في أيامنا هذه بالمعنى نفسه.

### ١٤. في ألقاب العلماء:

في ختام هذا الاستعراض عن الصورة العلمية للقرن السابع في اليمن تجدر الإشارة إلى تعدد الألقاب التي مُنِحت لمن ذُكرت وفياتهم وسيرهم، وهي متباينة،

(1) الخزرجي، ج1، ص 224.
(2) الخزرجي، ج1، ص 248.
(3) الخزرجي، ج1، ص 271.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

والأغلب ذكر لقب الفقيه دلالةً على اشتغال المذكور بالفقه والعلوم الدينية، كما يرد لقب الشيخ أحيانا بدلا عن الفقيه، ويفهم من بعض السير أنه لقب يختص برجال الصوفية المتقدمين في مراتب العلم، كأن يذكر مثلا: وفي هذه السنة توفي الشيخ أبو موسى عمران الصوفي ويوصف بأنه: "كان من أعيان مشايخ الصوفية، صحب الشيخ علي الحداد بحق صحبته للشيخ عبد القادر الجيلاني وكان لزوما للسنة نفورا عن البدعة متعلقا بأذيال العلم وله كرامات كثيرة"[1].

لكننا مع ذلك لا نستطيع تبين نسق محدد في منح الألقاب للتعريف بالمذكورين، ففي التعريف بوفاة أبي الربيع الأشعري، يرد أنه الشيخ الإمام أبو الربيع سليمان بن علي الأشعري، الفقيه الحنفي، وتجتمع في التعريف به كما نرى ألقاب عدة، فهو الشيخ والإمام والفقيه الحنفي، لكن لا ذكر للتصوف في سيرته، كما أعطيت ألقاب مثل الفقيه والشيخ والعارف بالله لتعريف شخص واحد من غير رجال الصوفية، هو الشيخ والفقيه الإمام العارف بالله أبو الفداء إسماعيل الحميري اليزني (ت:677هـ)، والتي تظهر باقي سيرته أن تضلُّعه كان في ميداني الفقه والقضاء، وله في الفقه مصنفات مثل "شرح المهذب"، وكان أحد أساتذة السلطان المظفر في علم الحديث، فأقرأه البخاري، وولي القضاء الأكبر في تهامة، ثم صارت له بعض أحوال قربته من الصوفية، ولم تصيره صوفيا. ولعل هذه الأحوال القليلة هي مأتى نعته بالعارف بالله بحكم سعة فقهه وطيب سيرته[2].

وربما كان تقلب الأحوال سببا في غلبة لقب على آخر، فقد ذكر في بعض السير غلبة التصوف على بعض الفقهاء في مرحلة ما من مراحل حياتهم، ومن أولئك الفقيه عثمان بن علي بن سعيد (ت:689هـ) "تفقه ثم تصوف" واشتهرت له كرامات كثيرة

(1) الخزرجي، ج1، ص 81.
(2) الخزرجي، ج1، ص 176.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مأثورة"[1]. ومنهم أيضا الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الجنيد (ت:680هـ)، والذي وصف بالتقي والخيّر وأنه امتحن بقضاء "ذي أشرق"، فقال ذات يوم بينما كان جالسا في حلقة التدريس: "اليوم نحن فقهاء وغدا نكون صوفية"، ثم أصبح بعد ذلك شيخا من شيوخ الصوفية مُحَكما ويجوز له تحكيم غيره، ومع ذلك لا يرد في سيرته غير لقب الفقيه[2]. ومثله الفقيه الصالح أبو عفان عبد الله بن أحمد الخطابي (ت:683هـ)، الذي تفقه على أيدي شيوخ كبار: "ثم غلب عليه التصوف والعبادة ويقال إنه أوتي اسم الله الأعظم، وكانت له كرامات عظيمة"[3]. ومثله الفقيه موسى بن عمر بن المبارك الجُعفي (ت:689هـ)، وصف بأنه كان فقيها صوفيا عارفا سالكا، وأنه أخذ الفقه أولا عن شيوخه، ثم صحب الشيخ محمد بن الفصيح فرباه تربية صوفية.. فكان فقيها صوفيا وظهرت له كرامات كثيرة[4].

وإجمالا نقول إنه لا يمكن تبين فوارق حاسمة في منح الألقاب، ومع ذلك فيمكن القول إن منها ما منح للتمييز بين الفقه والتصوف كما في المثال السابق، ومنها ما منح للتمييز في المقامات وفق درجة العلم التي وصل إليها شخص ما، حيث يستحق الشخص لقب الشيخ والإمام لتقدمه في فنون العلم على معاصريه من العلماء والفقهاء. ومع ذلك يلاحظ استخدام لقب الشيخ فقط لمن اشتهر عنه التصوف منذ البداية، يعزز ذلك ما نجده من ألقاب لتعريف أحمد بن علوان، أحد أشهر رجال الصوفية في القرن السابع، ولا تزال شهرته حية حتى اليوم، فهو الشيخ الصالح العارف بالله أبو الحسن أحمد بن علوان الصوفي صاحب يفرس[5].

(1) الخزرجي، ج1، ص 218.
(2) الخزرجي، ج1، ص 191
(3) الخزرجي، ج1، ص 203.
(4) الخزرجي، ج1، ص 218.
(5) قرية من نواحي جبأ في بلاد المعافر- جنوب تعز.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ومثل ذلك يرد في تعريف أبي الحسن علي بن عمر المعروف بالأهدل (ت:689هـ)، فهو الشيخ الأهدل.. كبير القدر شهير الذكر ينسب إليه الجذب وأنه أخذ التصوف عن جده وقيل إنه رأى أبا بكر الصديق في المنام فصافحه وأخذ عنه يد التصوف وقيل صحب الخضر عليه السلام"[1].

## ثانيا- الذهنيات العامة:

نقصد بالذهنيات العامة مجموعة التصورات المعتمدة اجتماعيا حول الذات والبيئة المحيطة، وطرق التعامل مع الظواهر الاجتماعية باحتسابها انعكاسا لرؤى ومعتقدات شائعة، وهي من ثَم جزء أساس من ثقافة عامة تتجسد في الشروح المقدمة لبعض الأحداث والظواهر الاجتماعية غير المنضبطة بمنطق يقبله العقل المعاصر، والتي تدخل اليوم مدخل الخرافة، كما تتجسد في الموقف من عالم الغيب وعالم الأحلام والرؤى وعالم الجن والتبرك بالقبور والأشخاص. وقد اشتمل كتاب الخزرجي أخبارا ثَرَّةً تتعلق بالصورة الاجتماعية وبالذهنيات العامة، وهي أخبار ترد في سير مشاهير وأعيان العصر ومن اتصل بهم من بقية الناس (الرعية).

### ا. إشارات وبشارات حول ملك الرسوليين لليمن:

وما دمنا في معية الدولة الرسولية، فلا بأس من افتتاح الحديث عن الذهنيات العامة بما ورد في عقود الخزرجي من بشارات وإشارات كاشفة لصفحة الغيب وما فيها من أقدار تهيئ للرسوليين مُلك اليمن حين قدموا أول مرة في معية الملك المسعود الأيوبي عام 612هـ إلى زبيد، وقد ارتبطت تلك البشارات والإشارات بعمر بن علي بن رسول، أول سلاطين بني رسول في اليمن، ومنها أن شيخا من مشايخ الصالحين نظر إلى جموع العسكر فرآها تحف بعمر الرسولي دون الملك الأيوبي صاحب الأمر، فتنبأ له بالملك وببقائه في عقبه إلى آخر الدهر، وعزز هذا التنبؤ برواية أخرى تصف رجلا مجهولا كان يراقب موكب الملك الأيوبي القادم

(1) الخزرجي، ج1، ص 223.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بعسكره وطبوله، فسمع الرجل هاتفا يهتف ببيت من الشعر فيه إن الملك المسعود ليس له من الملك في اليمن إلا هذا السفر، وقد قصد الرجل مصدر الصوت فلم ير أحدًا، فتيقن أن الصوت للجِن وأن مُلك الملك المسعود لسواه[1]. والوضع ظاهر في هذه الرواية، فهي إسقاط خُرافي على وقائع حية حدثت فعلا بعد ذلك باستثناء بقاء الملك إلى آخر الدهر، فقد خرج الملك المسعود من اليمن خروجه الأخير باتجاه الشام ومات في مكة عام 626هـ، بعد أن استناب على اليمن عمر بن علي بن رسول الذي أخذ يرتب الأمر لنفسه ويعقد التحالفات للاستقلال باليمن عن الأيوبيين[2]، لاسيما وقد اعتقل الملك المسعود إخوة عمر وأرسلهم إلى مصر عام 624هـ بعد شكه بنوايا الرسوليين الاستقلال باليمن[3]. لكنه أبقى على الأخ الأكبر عمر فتمكن من الاستقلال باليمن لنفسه، وهي وقائع تاريخية لا تحتاج إلى أي سند خرافي، لكن الخرافة باستنادها إلى الجن تشير إلى الوظيفة الاجتماعية المراد منها، فهي تبشر بقدوم دولة جديدة وتهيئ النفوس لذلك بالإحالة إلى حكم الأقدار التي عقدت للرسوليين حكم اليمن ليتم قبول ذلك والإذعان له شعبيا. وهكذا تسهم هذه الرواية في دعم شرعية الرسوليين في الحكم، فقد كانت أزمة الشرعية مما أقض مضاجع الرسوليين في أول أمرهم على الأقل. وفي هذا السياق تقع أيضا بشارة العفريت، فقد نقل عن السلطان الرسولي عمر، أول سلاطين بني رسول، أنه أرق ذات ليلة فسمع دويا في الهواء فرفع رأسه وإذا عفريت هارب من الشواظ يحط عنده وهو يلهث، فقام عمر وسقاه ماء وهدأ روعه ثم أبلغه العفريت البشارة شعرا:

**أسْفِر وأبشر يا أبا الخطاب.. بالملك من عدن إلى عيذاب**[4]

(1) الخزرجي، ج1، ص 52.
(2) الخزرجي، ج1، ص 52-53.
(3) مؤلف مجهول من القرن السابع: **تاريخ الدولة الرسولية**، تحقيق عبد الله الحبشي، صنعاء، دار الجيل، 1984م. ص18.
(4) الخزرجي، ج1، ص 51.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وعندما تكون العفاريت هي الباحثة عن الأمان عند عمر بن علي بن رسول، والمبشرات بالإمارة بشعر عربي فصيح، فلنتصور وقع هذه الروايات على العامة الغارقة في بحر الخرافات، إنها تذعن فقط وتستسلم لما يجري من تحولات سياسية دون سؤال عن شؤون السياسة وتعقيداتها.

وبعد هذه الافتتاحية التي تربط بين نشأة دولة بني رسول وإشارات الغيب نود رصد الذهنيات العامة للقرن السابع الهجري باليمن، كما وردت في العقود تحت عناوين محددة، هي الرؤى والأحلام، الكرامات الخارقة والتبرك بالناس والقبور، الهواتف الصوتية وتغيير المصائر، المسح على الصدر والبصاق في الفم، الزَّوَاجر، العلاقة بالجن.

### ٢. الأحلام والرؤى:

لا نريد هنا الدخول في جدل حول مصادر الرؤى والأحلام وأن الأولى من الله والثانية من الشيطان، الغاية من استعراض ما ورد من رؤى وأحلام هو كشف مشاهد اجتماعية في زمن معين ليس إلا، فقد شكلت الأحلام والرؤى حيزا واسعا من محتوى الذهنيات العامة لهذا العصر، فتعامل معها الناس بوصفها إشارات من عالم الغيب واجبة الإتباع أو إفادات حاسمة في مسائل خلافية في الفكر الديني لذلك العصر، أو كرامة من الكرامات خاصة حين يكون موضوعها رؤيا يرى فيها الرائي النبي ﷺ، كما كانت الأحلام أيضا بريدا سريعا وفوريا يتم عبرها التثبت من الأخبار التي ترد من بلاد بعيدة، أو معرفة مصائر الموتى أفي جنة هم أم في نار، إلى غير ذلك من الأمور التي تبين سلطة الحلم والرؤيا في حياة الناس، ففيها المعرفة وفيها الأمر وفيها الإخبار بالغيب وغير ذلك مما ستوضحه الأمثلة الآتية:

### ٣. الأحلام وتغيير المذهب:

ولنبدأ بعرض رؤيا قدمت سببا لتغيير مذهب بني رسول من الحنفي إلى الشافعي، فقد كان آل رسول في الأصل أحنافًا، وهو المذهب الذي قدموا به إلى اليمن، ثم



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

نقل عن السلطان الرسولي عمر بن علي أنه رأى النبي في المنام فأمره بالتحول إلى المذهب الشافعي قائلا: "يا عمر صِرْ إلى المذهب الشافعي"[1]، فاستجاب للأمر وغير مذهبه، ولم تتحدث الرواية قط عن شيوع المذهب الشافعي في معظم اليمن، وأن السلطان الرسولي ربما قدّر بذكاء أن من غير اللائق أن يكون، وهو رأس القوم، بمذهب يخالف شعبه، وأن تحوله إلى مذهب الجمهور يقربه منهم ويجعله في غير خلاف معهم، فكان أمر النبي في المنام أفضل عذر يمكن تقديمه لتغيير المذهب. وبغض النظر عن حصول الرؤيا من عدمه، إلا أن إشاعة مثل هذه الرؤيا عذرا للتحول إلى المذهب الشافعي لا يعني فقط أنه عذر غير مردود بل يشير أيضا إلى درجة صلاح السلطان الرسولي، إذ لا تتأتى رؤية الرسول ﷺ في المنام إلا لمن كان على درجة من الصلاح والتقوى.

### ٤. الأحلام والتحقق من الأخبار:

ومن الأحلام ما كان يعمل عمل البرقيات للتحقق السريع من خبر ما. يرد ذلك متصلا بأخبار الفقيه علي بن أحمد الرُّميمة الموصوف بأنه صاحب: "مكاشفات وكرامات ظاهرة "وكان قد علم أن السلطان الرسولي بعث إلى صاحب مصر رسولين هما ابن عباس والأمير ابن الدَّاية، فجاءه رجل ذات يوم وأخبره بأن دار ابن عباس في تعز يملؤه البكاء، لورود أخبار من مصر تفيد بموته هناك. ثم إن الفقيه بعد سماع الخبر أغفى إغفاءة قصيرة قام بعدها ليبلغ الخبر اليقين، وأن الذي مات هو الأمير ابن الداية وليس ابن عباس، ثم أرسل الفقيه إلى دار ابن عباس الحزين من يخبرهم بجلية الأمر، ليرفعوا الحزن، وليبدأ البكاء في بيت ابن الداية، ثم تضيف الرواية أن الخبر كان بعدئذ كما أخبر الفقيه.[2]

(1) الخزرجي، ج1، ص 85.
(2) الخزرجي، ج1، ص 136.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

واعتقد الفقهاء بالرؤى التي كانت تخبر عن مصائر الموتى، فهذه رواية عن الفقيه عمر بن صباح وأنه رأى والده في المنام وكان قد توفي في طريق الحج فسأله عن أحواله وأحوال غيره من الفقهاء المتوفين فأخبر أنهم في نعيم الجنة، وأنه في كل مرة كان يكرر "ويل للمتقشفين ويل للمتقشفين" ولم يتمكن الرائي من سماع تفسير شافٍ لهذا التكرار الذي يبدو أنه يُعَرِّض بالمتقشفين من أهل اليسار ليشير إلى ملمح اجتماعي لتلك الفترة[1]. وهناك منامٌ آخر يخبر عن مصائر موتى من عامة الناس ثم ما يحدث لهذه المصائر من تغير عندما يموت شخص جليل القدر كالفقيه الحنفي أبي بكر بن حنكاس، ولا تتصل الرؤيا هذه المرة بفقيه أو بشيخ صالح بل بشخص من عامة الناس أيضا نُقل عنه أنه رأى قريبا له في المنام، كان قد توفي قبل سنين، والمهم أن هذه الرؤيا تنقل عن الرجل بعد موت الفقيه ابن حنكاس، وفيها أنه سأل قريبه عما فعل الله به بعد موته فقال: "حُبست منذ مت مع جماعة فلما توفي الفقيه أبو بكر بن حنكاس شَفَع فينا فأطْلِقنا وغُفِر لجميع من في المقابر ببركة قدومه رحمه الله تعالى"[2]. وهكذا تنتقل إلى الآخرة صور الدنيا حيث الحبس والشفاعة والإطلاق.

وبما أن الأحلام قد منحت سلطة معرفية على النحو الذي مر وعُدَّت واسطة بين الأحياء والأموات، فكيف الحال إذا تعلق الأمر برؤيا يرى فيه الشخص الله سبحانه وتعالى ذاته، ويرى في ذلك نذير من الله بالابتلاء، والرواية تتعلق بمحمد ابن الخطاب، أحد الفقهاء المشهورين، وأنه كان قد حصّل من العلم الكثير وهو ما يزال يافعا فركبه غرور فدعا عليه شيخه قائلا:" شغله الله"، لكن أحوال الرجل لم تنقلب إلا حين بلغ الخامسة والعشرين، إذ استدعى ابن الخطاب أخاه أبا الخير بن

(1) الخزرجي، ج1، ص 137.
(2) الخزرجي، ج1، ص 142.

الخطاب يوما وأخبره بأنه رأى ربه في المنام، وأن الله قال له "يا محمد أنا أحبك فقلت يا رب من أحببته ابتليته فقال لي استعد للبلاء وأنت يا أخي فكن على أهبة من أمري"، وخلاصة الابتلاء أن الرجل أصابته لوثة عقلية، جعلته يتقلب بين العقل والجنون، ولم يسترسل الخزرجي كثيرا في وصف أحواله لكنه ربط تبدل الأحوال بتلك الرؤيا التي رآها وهو ما يعنينا هنا لبيان السلطة المُعطاة للأحلام والإذعان لتنفيذ إشاراتها[1].

### ٥. الأحلام مبشرات بتغير الأحوال:

ومما يدل أيضا على الخضوع للأحلام ما رُوي عن الفقيه الصالح محمد بن معطن، وأنه كان يعاني صعوبة في فهم النحو، فرأى في المنام قائلا يخبره أن اذهب إلى الفقيه إسماعيل الحضرمي واقرأ عليه النحو. فلما أفاق استغرب الأمر لعلمه أن الفقيه الحضرمي لم يشتهر بالدراية الكافية في هذا الفن، لكنه مع ذلك استسلم لزائر الليل وذهب إلى الفقيه الحضرمي ولم يزد الأخير على أن رحب به وقال له: "قد أجزتك في جميع كتب النحو"، ثم عاد إلى بلده، وكان لا يطالع شيئا من كتب النحو إلا عرف مضمونه ببركة الفقيه الحضرمي كما قال.[2]

### ٦. الأحلام وحسم القضايا الخلافية:

ولا غرابة، والأمر على هذا النحو في العلاقة بالأحلام، أن تعد رؤية الرسول ﷺ في المنام من الكرامات الخاصة التي تعزز وضع صاحبها اجتماعيا، إذ لا تتهيأ هذه الكرامة إلا لمن يستحقها ولذلك أخبر الفقهاء عن رؤاهم واستحقت التدوين في هوامش كتبهم خاصة وأن منها ما قام بفعل الحسم في الخصومات الفكرية والمذهبية القائمة ومنها الموقف من خلق القرآن، وتارك الصلاة، وطلاق التنافي،

(1) الخزرجي، ج1، ص 148.
(2) الخزرجي، ج1، ص 177.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وكل هذا يرد في رؤيا وجدها المؤرخ الجندي مدونة في بعض ورقات كتاب البيان، دونها الفقيه الصالح أبو عفان عبد الله بن أحمد الخطابي عن فقيه آخر أخبره بالرؤيا، هو، كما جاء في تعريفه، السيد الأجل الفاضل الكامل يحيى بن أحمد الهمداني وأنه في منتصف جمادي الآخرة، في نصف الليل الآخر سنة ست وستمئة رأى في المنام أنه: "كان في مسجد رسول الله ﷺ فوجد القبة التي على قبره وقبر صاحبه رضي الله عنهما منكشفة من غير تخريب وقد بقي منها ما يغطي القاعدة ومن القائم إلى مقعد الإزار فدنا منها فوجد النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما قاعدين متوجهين إلى القبلة قال فاستقبلتهم من وراء الجدار الباقي وجعلت القبلة إلى ظهري ثم أعطيت نورا في قلبي وطلاقة في لساني وقلت يا رسول الله القرآن كلام الله غير مخلوق؟ قال نعم قلت بحرف وصوت يسمع ومعنى يفهم؟ قال نعم، فقلت فمن قال إن القرآن مخلوق كافر؟ قال نعم، قلت وإن صلى وصام وآتى الزكاة وحج البيت هل ترجى له الشفاعة؟ قال لا، قلت يا رسول الله طلاق التنافي[1] باطل أو صحيح فقال صلى الله عليه وسلم باطل باطل وأنا أشك في الثالثة. وغالب ظني أنه قالها، ثم قلت يا رسول الله تارك الصلاة كافر، قال نعم، قلت يا رسول الله فهؤلاء يرعون البقر والغنم ويحيعلون وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويؤتون الزكاة متى وجدوا ويحجون البيت إذا استطاعوا ويصومون شهر رمضان ويحبون الصلاة

(1) طلاق التنافي نوع من الطلاق دار حوله جدل بين الفقهاء، وهو ربط الرجل لطلاقه زوجته على طلاق قبله بالثلاث، كأن يقول الرجل لامرأته "متى وقع عليك طلاقي، أو إذا وقع عليك طلاقي فأنت طالق قبله ثلاثا، ثم قال لها أنت طالق"، هذا هو الذي سمي طلاق التنافي وقد اختلف فيه. انظر: العمراني، يحيى بن أبي الخير: **البيان في المذهب الشافعي**، ج10، جدة، دار المنهاج للطباعة والنشر، 2000م، ص2019. ويمتلئ الجزء العاشر من كتاب البيان بمناقشة أنواع من الطلاق، وكلها تعكس الأحوال الاجتماعية وعلاقة الرجل والمرأة، وتوقف الفقهاء عند أنواع من الطلاق المشروط، أو أقوال تعسفيه يتفوه بها الرجال أمام زوجاتهم ثم يطلبون رأيا فقهيا حول ما قالوه، وهو ما يعني شغل الفقهاء لإيجاد رأي شرعي إزاء هذه الحالات الاجتماعية التي تطرأ.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ولكن يقولون هذه الدواب تنجسنا وإذا اجتعلنا أيضا تنجسنا أهم كفار أم مسلمون؟ فسكت النبي ﷺ وانقطعت عن الكلام، فقال أبو بكر وعمر نكتب لك بهذا كتابا لا ينسى فسكت ولم أدر ما شغلني عن القول لهما يكتبان لي ذلك"[1].

### ٧. الأحلام وتعدد المذاهب:

وأكثر هذه الرؤى غرابة مما له صلة بالتعدد المذهبي، ما نسب إلى فقيه حنفي جليل القدر هو أبو بكر بن يوسف المكي، وأنه رأى يوما كأن القيامة قامت فحضر الأئمة الأربعة بين يدي الله، أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، فخاطبهم الله سبحانه وتعالى قائلا: "إني أرسلت إليكم رسولا واحدا بشريعة واحدة فجعلتموها أربعا، رددها عليهم ثلاث مرات فلم يجبه أحد. فقال أحمد بن حنبل يا رب أنت قلت وقولك الحق لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا. فقال له تكلم فقال يا رب من شهودك علينا؟ قال الملائكة، قال يا رب لنا فيهم القدح، وذلك أنك قلت وقولك الحق" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" فشهدوا علينا قبل وجودنا، فقال الباري جلودكم تشهد عليكم، فقال يا رب كانت جلودنا لا تنطق في الدنيا وهي تنطق اليوم مغصوبة، وشهادة المغصوب لا تصح، فقال الباري جل جلاله أنا اشهد عليكم، فقال يا رب حاكم وشاهد، فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم"[2].

هذه رؤيا عجيبة من حيث طبيعة الحجاج من قبل البشر في حضرة الباري عز وجل، وهي تعكس ما كان يدور في خَلَد الفقهاء من تساؤلات أصلا ولا سبيل إلى الإعلان عنها إلا بعرض رؤيا على هذا النحو، كما أن الغفران الوارد في نهاية الحجاج يمنح الاختلاف شرعية وإن فضل عليه الاتفاق لا الخلاف. ومن العجب

(1) الخزرجي، ج1، ص 204.
(2) الخزرجي، ج1، ص 180.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أن يكون الإمام أحمد بن حنبل هو المتصدر لهذا الحجاج مع الله سبحانه، بينما كان الإمام أبو حنيفة أليق بهذا الدور، ولعل في هذا غمز بأن الجدل أصل في الفكر كله وأن الادعاء بالنصية ليست سوى استراتيجية لدحض حجج الخصم.

ومن الرؤى المتعلقة بالمذاهب والتي تكشف جدلا حول الموقف منها وتقييمها، ما روي من رؤيا متصلة بالفقيه الصالح عبيد بن أحمد الترخمي (ت:694هـ) وأنه كان ذات ليلة يسير في طريق فورد على مفترق طرق فيه ثلاثة اتجاهات، فتحير أي الطرق يسلك ثم اختار الوسطى فلما صار فيها لقيه رجل فقال: "أتدري ما الطريق قلت لا، قال أما الكبيرة فطريق ابن حنبل والوسطى طريق الشافعي والثالثة طريق مالك"، وقد توقفت الرؤيا هنا دون الإبانة عن سبب إهمال طريق أبي حنيفة، رغم أنه كان حاضرا في اليمن بمدارسه وعلمائه. والأكيد أن الرؤيا دعمت المذهب الشافعي باعتباره وسطا بين الوسع والضيق، وهو المذهب الغالب في اليمن، وهذه الرؤيا تعززه وتدعم رؤاه، وهكذا تم التعامل معها وإلا لما استحقت التواتر والتدوين.

وبعض الرؤى كان حاسما للشك في الأمور المشكلة مثل الصلاة على منتحر، فقد أفقر الجود رجلا وأتلف جميع ماله، ثم أخذ في الاستدانة ليواصل كرمه مع الناس فركبه من ذلك دين كبير، عجز عن سداده، فسمع من بعض الدائنين كلاما فاحشا كان سببا لشنق نفسه، ثم ثار سؤال حول جواز الصلاة عليه بوصفه منتحرا. وقد حُل الإشكال بما نقل عن بعض أخيار مدينة عدن وأنهم رأوا في المنام النبي ﷺ وجماعة من أصحابه أقبلوا للصلاة عليه، وقد شك أحدهم في هذه الرؤيا واستبعد أن يأتي النبي للصلاة على مثل هذا المنتحر، لكنه بعد ذلك أغفى قليلا فسمع صوتا يقول له: "لا تَفُتْكَ هذه الجنازة"، فقام وشيع وصلى[1]. ومع ذلك فإن النقاش حول غفران الله سبحانه لهذا المنتحر ظل قائما حتى حسم برؤيا أخرى رأتها أخت

(1) الخزرجي، ج1، ص 209.

للمنتحر، وصفت بالصلاح، فرأت أباها المتوفى قبل أخيها في المنام، فسألته عن سبب زيارته لها فأجاب: "منذ وصلنا أخوك نحن في ملازمة الله تعالى أن يغفر له جنايته على نفسه فلم يفعل ذلك إلا بعد مشقة شديدة وإشراف على اليأس من ذلك"[1]. وبهذه الرؤيا التي أخبرت عن المصير الُأخْرَوي للمنتحر المذكور هدأت النفوس طابت الخواطر.

**٨. الأحلام وصحبة الرسول ﷺ:**

ولا سبيل لنكران وقوع الرؤى على هذا النحو أو ذاك، ومنها رؤية النبي محمد ﷺ في المنام، إلا أن رؤيته في حال اليقظة من الغرائب التي وردت في عقود الخزرجي، والرواية متصلة بفقيه مغمور عُرِّفَ فقط بالفقيه صالح، كان يقرأ كتاب "تفسير النقاش" في حلقة علم خاصة بالفقيه أبي عبد الله محمد الجِعْميم المتولي لشرح ما يقرأ الفقيه صالح، ورُوي على لسان صالح هذا أن الفقيه الشارح (الجعميم) كان ينعس في أثناء القراءة، ويغلب الظن أنه لا يسمع، فأراد صالح مرة أن يتوقف عن القراءة ليختبر حضور الفقيه معه في حالة النعاس تلك، وإذا به يرى النبي ﷺ قاعدا مع الفقيه الجعميم، ثم التفت إليه النبي يأمره: "اقرأ يا صالح"، ثم أخذ يقرأ ولم يسكت بعد ذلك. وللرواية بقية وهي أن الفقيه الجعميم فتح عينيه إثر ذلك وتبسم له، ولم يفهم معنى تلك البسمة[2]. وبما أن هذه ليست رؤيا في المنام، بل مشاهدة للرسول ﷺ في اليقظة، فإنها – بغض النظر عن الدخول في مناقشة صدقية المشاهدة للرسول ﷺ – تفيد أن الفقهاء كانوا ينعسون في أثناء القراءات، وهي أحوال بشرية مفهومة تحدث دائما، لكن كيف يُعْتَذَر للنعاس يحدث وقت الدرس، إلا إذا قيل إنه ليس نعاسا وأنه غيبة قصيرة للاستمتاع بصحبة النبي ﷺ، عند ذاك لا يكون هناك

(1) الخزرجي، ج1، ص 209.
(2) الخزرجي، ج1، مطبعة الهلال، مصر، 1911. ص 288.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

سبب لا للوم الفقيه على نعاسه ولا لاختبار حضور وعيه مع الدارسين، وهي كما نرى أحوال تكشف عن عقلية مستعدة لشرح كل شيء على نحو خرافي مؤسس باسم الدين.

### ٩. الأحلام ودنو الأجل:

واعتقد الناس بالرؤى التي فهموا منها أنها تخبرهم بدنو الأجل، ومن ذلك رؤيا لفقيه قال إنه رأى سقف بيته ينكشف حتى رأى السماء ثم نُودي منها باسمه واسم أبيه وطلب منه القدوم بترحاب، وكان الفقيه مريضا فعلم أن أجله قد دنا، ثم توفي بعد ذلك، وهي رؤيا تقع في سياق المعقول، فالرجل مريض وانتظار الموت حاصل، ولم تكن الرؤيا أكثر من تعبير عن الانشغال بالفكرة كما هو معتاد في حياة الناس جميعا. ومثل ذلك ما نسب للفقيه عبد الله بن محمد المكرم (ت:695هـ) وتمكنه من تحديد يوم وفاته بالضبط بناء على رؤيا حدّث بها زوارا له وقال إنه بقي له خمسة أيام وسيموت، ثم سأل كيف عرف ذلك فأخبر أنه: "رأى الحق في غفوة نهار الأمس فَهَمَّ أن يتعلق به فقال له بعد ست، وفهِّمَ أنها ستة أيام وقد مضى يوم وبقيت خمسا، فكان الأمر كما قال"[1].

وهناك رواية أخرى على هذه الشاكلة تكشف مزيدا من أفهام الناس حول رؤاهم وعلاقتها بالإخبار بالأجل، من ذلك ما رواه الخزرجي نقلا عن الجندي وأن أحد الفقهاء أَسَرَّ إليه بأنه رأى الرسولﷺ يقبِّل ما بين عينيه، وأنه بعد هذه الرؤيا لا يظن أنه سيعيش، وآية ذلك أن فقيها آخر هو ابن نُباته حصلت له الرؤيا نفسها ورأى النبي يقبِّل ما بين عينيه فلم يعش بعدها إلا اثني عشر يوما، فكان ما توقع الرجل ومات بعد عشرين يوما. ولم تكن الرؤى المخبرات بالموت مما يختص به الشخص نفسه، بل هناك رؤى تحصل عند شخص يراها إخبارا بموت شخص آخر، روي هذا عن فقيه

(1) الخزرجي، ج1، ص 257.

حضرمي رأى النبي ﷺ في المنام ليلة موت الفقيه جمال الدين أبي العباس أحمد بن علي العامري، أما تفاصيل الرؤيا فهي أن صاحب الرؤيا رأى في منامه فقهاء يعرفهم بأسمائهم ومعهم جماعة لا يعرفهم، فلما سأل عنهم أجيب بأن هذا "رسول الله ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر"، وأنهم جاؤوا في طلب الفقيه جمال الدين، فاستيقظ الرائي من نومه وإذا به يعلم بموت الفقيه جمال الدين[1]. وشبيه بهذا ما روي عن الفقيه أبي بكر الحميري (ت:646هـ)، وكيف فسر رؤيا لأحد أصحابه رأى فيها حماما يطوف فوق رأس الفقيه وبينها طائر مميز غاب عنهن بعدئذ، فقال الفقيه "أنا الطائر والحمام أصحابي، استعدوا للموت.. فتوفي بعد أيام قلائل[2].

والخلاصة أن الأحلام والرؤى شكلت حيزا معتبرا من الذهنيات العامة ومنحها الناس سلطة معرفية واسعة، وقامت بوظائف اجتماعية في حياتهم.

### ١٠. الكرامات الخارقة والتبرك بالناس والقبور:

الكرامة، كما يتم تداولها في كتب التراث، وصف لفعل أو واقعة غير منضبطة بمنطق عقلي، أو هي خرق لمألوف الناس وعوائدهم، تشيع بين العامة مُصَدَّقَةً ومدهشة، وهي أيضا تصورٌ مُسقط على إمكانيات الفعل الخارق المؤسَّس على التدين والتقوى، ولذلك ارتبطت بفقهاء أو علماء دين يرفعهم الناس في حياتهم أو بعد موتهم إلى مرتبة الأولياء. وقد يسهم الفقهاء في إشاعة أخبار عن كرامات خاصة بهم لتأدية وظيفة اجتماعية، هي غالبا إخضاع أنفس بسطاء المؤمنين لسلطة الفقيه للانتفاع بذلك الخضوع بأشكال شتى. ويمتلأ التراث الإسلامي بكرامات متنوعة[3]. فما هو نصيب القرن السابع في اليمن من هذه الكرامات كما تظهر في

(1) الخزرجي، ج1، ص 357.

(2) الخزرجي، ج1، ص 78-79.

(3) بدران، محمد أبو الفضل: **أدبيات الكرامة الصوفية، دراسة في الشكل والمضمون**، العين، مركز زايد للتراث والتاريخ. 2001، ص 89 وما بعدها.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

كتاب العقود قيد القراءة؟ سنحاول فيما يلي استعراض نماذج منها، لنرى أن تداولها لم يكن شأن العامة كما قد يظن بل تعاطاها الفقهاء وأهل الصلاح خاصة.

### ١١. معرفة ما في الضمائر:

ومن الأمور التي عدها الناس كرامات معرفة ما في الضمائر، وردت هذه الكرامة في سياق زيارة قام بها الفقيه ناجي المرادي، (ت:629هـ) لأحد أصحابه (الشيخ عمران المسن، صاحب ذُبْحان) فخرجت معه جماعة فأمَّروه عليهم ووضعوا زادهم ودراهمهم مع أحدهم فلقيهم فقير سألهم شيئا: "فقال الفقيه للذي يحمل زادهم أعطه درهما فأعطاه"، ولم يرض بعضهم بهذا لكنه كتم ما في نفسه، فصورت الرواية أن الفقيه اطلع على ضمائر القوم، وأن فقيرا جاءهم وقت صلاة العصر فصافحهم ودس في يد الفقيه عشرة دراهم: "فالتفت الفقيه إلى أصحابه وقال هذه حسنتكم قد عجلت لكم لما تغيرت نياتكم"، فاندهشوا لاطلاع الفقيه على نياتهم واستغفروا الله عن ذلك.[1]

### ١٢. نور الوجوه ورائحة القبور:

وشبيه بهذا رواية عن الفقيه أبي بكر الحميري السابق الذكر وأنه كان زاهدا لا يأكل إلا من حقله الخاص ولا يُلبِس نساءه إلا ما نسج من قطنه تحرجا عن استخدام قطن آخر ربما غصبه الملوك عن أهله، وقد ذهبوا في تبجيل زهده إلى حد القول إنه كان ينير المسجد إذا دخله: "حتى إن الذي يطالع في الكتاب يجد النور على كتابه فيرفع رأسه ليرى سبب ذلك فما يرى إلا الفقيه"[2]. وشبيه بهذا أيضا ما روي عن قبر الفقيه الصالح أبي الحسن الأصابي الذي أمضى حياته في التدريس وعندما مات حمل على أعناق الرجال ودفن بجوار المدرسة، ثم طَوّح الخيال الشعبي الموقِّر

(1) الخزرجي، ج1، ص 57.
(2) الخزرجي ج1، ص78.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

لسير العابدين والزاهدين فذكروا أن الزائر يجد عند قبره: "رائحة المسك خصوصا ليلة الجمعة".[1]

### ١٣. الانتقال الخاطف بين الأمكنة:

ومن الكرامات ما ارتبط بتصوير القدرة الخارقة لبعض البشر في الانتقال بين الأمكنة البعيدة بسرعات خرافية، وخاصة لتأدية فريضة من فرائض العبادة كالحج أو الصلاة، ورد ذلك في رواية متصلة بالفقيه سعيد بن منصور الذي تصفه الرواية أنه: "كان في نهاية من الزهد والورع والعبادة مع الاشتغال بالقراءة"، ونسبت للرجل كرامات كثيرة، منها أنه رُؤي في الحج وكان الذي رآه رجل من الصالحين أيضا، فلما عاد الرجل الصالح إلى اليمن زار الفقيه، وكان ذلك بُعيد عيد عرفة، وكان في جمع من الناس فذاكره عن الحج قائلا: "يا سيدي رأيت ما أحلى الحج هذه السنة؟"، فرمقه الفقيه بنظرة مؤداها أن اسكت فإن القوم لا يعلمون أني كنت في الحج، وأنهم لو علموا لتساءلوا كيف يحج وقد كان بينهم. ففهم المخاطِب الأمر وصمت. ولما انفض المجلس سأل الرجل الصالح الفقيه: "سألتك بالله يا سيدي إلا ما أخبرتني فيه كيف تفعلون هل هو طيران أم خطو أم ما ذلك؟. فقال الفقيه هو شيء لا يستطيع تكييفه وإنما هو قدرة من قدرة الله تعالى يختص برحمته من عباده وبالله التوفيق"[2]. هنا نرى الفقيه –حسب الرواية– لا ينكر هذا الانتقال الفجائي بل يؤكده ويراه خصيصة له اختصه الله بها، وهو بيت القصيد، فالذي تدور حوله روايات من هذا القبيل شخص مبارك، يلقى شهرة ويبدأ العامة الاعتقاد به وبكراماته وبأعاجيب أفعاله، كما تبدأ النذور والهدايا في الوفود إليه، وهكذا يغدو حملة العلم بوابات واسعة للخرافات العامة طالما كانت الخرافات بوابات رزق واسعة أيضا.

(1) الخزرجي، ج1، ص 120.
(2) الخزرجي، ج1، ص 127.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

إن فكرة الخطو عبر الأمكنة البعيدة أو الطيران الخاطف للأشخاص من الأفكار المُرَسَّخة في المجتمعات الإسلامية قاطبة ولعل في الناس إلى يومنا من لم يتحرر بعد من تراكمات القرون التي شكلت ذهنية مستعدة لتَقْبَلَ ألوانا من الأخبار الخارقة وتخضع لها في الوقت نفسه. وفي هذا من التسفيه للعقل الإسلامي ما يجرح عقلانية الإيمان والدين بما لا يحتمل.

فكرة الخطو والطيران عبر الأمكنة بالذات مما يستعصي على أي عقل قبوله، ولذلك كانت إحدى معجزات الرسول ﷺ حين أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، لكنها كانت معجزة لتأييد نبوة محمد ﷺ ولها ذكر صريح في كتاب الله عز وجل، ومع ذلك فلم تُصدَّق بسهولة، وافتتن ناس كثير عن دينهم بعدها، أما أن تتحول هذه المعجزة إلى سابقة يدّعي مثلها بعض البشر لنفسه لإخضاع أفئدة العامة وقلوبهم له فهو مكر وخرافة.

### ١٤. التبرك بالناس والأشياء:

ويعد التبرك بالناس والأشياء من نتائج ثقافة الكرامات التي رُسّخت بين الناس لتدل على انتشار الجهالة بين القوم، عوامُهم وخواصُهم. فقد تبرك الناس بمن رأوه صالحا ورعا عالما، ومنهم الفقيه الصالح يعقوب التربي (ت:681هـ) الذي وصف بأنه كان على طريق الورع الكامل: "يزار للتبرك وينتفع به". ومن بين الذين زاروه للتبرك به الملك الرسولي المظفر، وعندما يكون رأس القوم ساع إلى بعض الصالحين للتبرك بهم فلا تثريب على العامة إن قلدوا كبراءهم، وكان على دين ملوكهم، ومن ذلك ما وقع لقاض زار أسرة تاجر متوفّى، ففرح به الأولاد وأدخلوه البيت للتبرك به، ثم علموا أنه جاء ليكشف لهم عن وديعة كان أبوهم التاجر، دون علمهم، قد أودعها عنده أمانة واثقا من حفظها بسبب ورع القاضي، فلما كَبُر الأولاد ورشدوا زارهم القاضي لأداء الأمانة لكنهم أدخلوه أولا بقصد التبرك به[1]. وشبيه

(1) الخزرجي، ج1، ص 200.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

بهذا ما روي عن محمد بن عبد الله الحضرمي فقيه زبيد ومفتيها وأنه أيام تحصيله العِلم كان على حال متبلبل، وتشتبه عليه المسائل، فلما تتلمذ على يد الفقيه علي بن إبراهيم انقلب حاله وفهم كُنْه المسائل من أول يوم، فقد عرضها جميعا على خاطره وزال إشكالُها وتبين له خطؤها وصوابها، وأن كل ذلك إنما كان ببركة الفقيه علي بن إبراهيم، والشاهد هنا أن يحصل له الوضوح في المسائل من أول يوم، وهو سر البركة وإلا لقلنا إن الأستاذ بارع في عرض المسائل وشرحها وجلاء غموضها.[1]

ولا يقتصر الأمر على الأحياء بل جعلوا للموتى كرامات أيضا، والغريب أن تتصل الرواية بفقيه من الهاشميين هو يحيى بن محمد السراجي، وكان على المذهب الزيدي، المعتمد فكر المعتزلة الذي لا يقر كرامات لا للأحياء ولا للموتى. وكان ابن عُجيل (الآتي ذكره)، وهو من رؤوس الشافعية البارزين في وقته، كان من أساتذته المشهورين، فتعلم على يديه في تهامة قبل أن يدّعي الإمامة، ثم عوقب من قبل الأمير الرسولي في صنعاء بالتّكْحيل، أي بإفقاده بصره. ومع ذلك استمر يعلم في أحد مساجد صنعاء وتأتيه النذور حتى تُوفي وقُبر في مسجد الأجذم. وذكر الخزرجي: "أن قبره من أجلّ المزارات الصنعانية يتبرك بالدعاء عنده وتستنجح عنده الحوائج فتقضى". وزاد بعضهم فذكر أن رائحة المسك تفوح من قبره ليلتا الاثنين والجمعة.[2]

### 10. فقيه نافر من الكرامات:

ومن بين جميع الروايات المتصلة بالفقهاء وأهل العلم هناك رواية يتيمة لفقيه كبير القدر وعالم جليل هو الفقيه أبو العباس أحمد بن موسى الشهير بابن عُجيل. وهو من أبرز علماء اليمن لهذه الفترة (ت: 690هـ)، وحاز على أوصاف فخمة

(1) الخزرجي، ج1، ص 340.
(2) الخزرجي، ج1، ص 258.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تكريمية، فهو "قطب اليمن وعلامة الشام واليمن"، وهو "إمام من أئمة المسلمين"، وقد تقدم على معاصريه بدقة نظره في الفقه وبإيضاح غوامضه، وكان إماما في الفقه والأصول والنحو واللغة والحديث والفرائض وأنه "أحسن من ضبط الفنون وقرت بمذاكرته العيون". وله شروح وحواش عديدة، "وكانت الملوك تصله وتزوره وتعظم قدره وتقبل شفاعته ويريدون مسامحته بما يجب عليه من الخراج السلطاني فلا يقبل ذلك ويقول أحب أن أكون من جملة الرعية الدَّفَّاعة"[1].

وتفيد الرواية أن هذا الفقيه كان له موقف ناقد من الكرامات والتبرك بالأشخاص، ويفرق بين كرامات يراها لائقةً بالأولياء وأخرى يراها نقصًا في الدين، إذا اتصلت ببعض من كان لا يرى فيهم أَهْلِيةً لما يدّعوه من كرامات. وهذه الرواية تعد كُوَّةً صغيرة نطل منها على الموقف مما كان يشاع من كرامات، وأنها كانت مدخلا غير لائق لوجاهة اجتماعية يتم توظيفها للحصول على هبات ونذور من العوام، العوام الذين يتقربون بتلك النذور والهبات من صاحب الكرامات التماسا للحماية عنده من أي مكروه.

ولأن الفقيه ابن عجيل قد وصف بأنه "قطب اليمن وعلامة الشام واليمن"، وأنه "تاج العلماء وختام أهل الحقائق"، وأنه كان "ورعا زاهدا غواصا على دقائق الفقه موضحا لغوامضه"، فقد أكبره الناس وفق ما درجوا عليه من طرق إكبار وتبجيل تنتهي بهم إلى الاستسلام والخضوع ورجاء العون، ولذلك تعلق الناس بابن عجيل

(1) الخزرجي، ج1، ص 218. ويبدو أن الإعفاء الضريبي كان من وسائل الشكر أو وسائل التقرب إلى العلماء، فإن كان الفقيه ابن عجيل رفض هذا الإعفاء كي لا يبقى في عنقه فضل للسلطان مخافة المداهنة في الدين، أو رغبة في أن يكون كباقي الناس، نجد الخزرجي مؤلف العقود يقبل هذا الإعفاء الضريبي ويكيل للسلطان شكرا عريضا على أن سامحه في خراج الأرض والنخل "**مسامحة مستمرة مؤبدة مستقرة**"، بعد أن عاد من رحلة حج كلفه بها السلطان الملك الأشرف إسماعيل ليحج عن أمه. ثم لا يجد غضاضة في ذكر ذلك في كتابه عن نفسه. انظر، الخزرجي، ج2، مطبعة الهلال، مصر، 1911م. ص 175.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للتبرك والحماية، رغم أن الرجل لم يدَّع كرامةً ولم يقبل بما يلقاه من تبجيل ولا رضي بتعلق الناس به، بل رأى في كل ذلك جهلا أكيدا. أما الناس من حوله فقد لاموه على عدم إظهار كراماته، فأجابهم بأن بعض الكرامات نقص، وهو يريد أن يلقى الله بإناء ملآن. لقد كان مثالا للعالم الورع في وسط مشبع بذهنيات خرافية. ومن أمثلة ورعه رفضه أن يُعفى مما عليه من واجبات شرعية تجاه الدولة تقديرا لمكانه، وأحب أن يكون، كما نقل عنه: "من جُملة الرعية الدَفَّاعة". وأوضح مثال على علم هذا الرجل الصحيح البعيد عن الخرافات موقفه من تبجيل الناس له وهو في مكة، فقد كان متى ما دخل مكة تكالب الناس للسلام عليه وتقبيل يده واشتغلوا بذلك عن أي شيء آخر، فإذا ذهب إلى المدينة تكالب عليه الناس أيضا للسلام والتبرك به وهو يدفعهم عنه بالقول: "اتقوا الله هذا نبيكم وهؤلاء صحابته وإنما أنا رجل منكم فلا يزداد الناس إلا إقبالا عليه". لكن الخيال الشعبي لم يقبل منه هذه المواقف الإيمانية العقلانية، بل صوّر أن نوره كان يطغى على نور الكعبة وهو ما يدفع الناس للتعلق به أكثر[1].

كل هذه المشاهد تنهض أدلة على ما تم تشكيله من ذهنيات خرافية باسم الدين، حتى إذا برز عالم صحيح العقل نافر من الخرافة، عجز عن مقاومة الذهنيات الخرافية، فلينظر العاقل إلى ما صنع المسلمون بدينهم، والله المستعان على الجهل والخرافة في أمته.

وأغرب الكرامات، بل أكثرها خرافية ما رُوي عن الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي، وهو من أكابر العلماء، تفقه على يديه خلق كثير وبرز منهم فقهاء وعلماء، وولي قضاء الأقضية وأخباره منتشرة في غير مصدر. وهذه الكرامات التي نستعرضها هنا متصلة به مما لم يروه الخزرجي بل اليافعي في مرآة الجنان،

(1) الخزرجي، ج1، ص 219-220.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

لكنها من خرافات القرن السابع قيد العرض. روى اليافعي أن سِدرة نادت الفقيه إسماعيل الحضرمي والتمست منه أن يأكل هو وأصحابه من ثمرها، وأنه شفع في قوم سمعهم يعذبون في المقابر، وأن الكعبة شوهدت في الليل تطوف بسريره في حال يقظة المشاهد، وأنه أمر الشمس بالوقوف فوقفت حتى بلغ داره، وكان ذلك في آخر النهار[1]. أي أنه أوقف الشمس ليستضيء بنورها حتى بلغ داره فغربت. ويضيف اليافعي أن هذه الكرامة مما شاع في بلاد اليمن وكثر فيه الانتشار. ولعل أصلها مجرد شائعة أنتجها الخيال الشعبي، فشاعت بوصفها كرامة. لذلك نعجب من هذه الذهنيات الخرافية التي تم صياغتها في عقول المسلمين باسم الدين، وهو الذي يشيد بالألباب والعقول، ويدعو للتفكر والتأمل بمنطق علمي خالص.

### ١٦. الأصوات الغريبة وتغيير المصائر:

وكان للتهيؤات والأصوات الغريبة حضور آمر في الخيال الشعبي، ومنها ما رُوي عن سبب تفقه وصلاح الشيخ الصالح أبي الغيث ابن جميل (ت:651هـ) الذي حاز لقب "شمس الشموس"، وكان في الأصل قاطع طريق، ثم اعتلى ذات يوم شجرة يرقب المسافرين لينقض عليهم، ثم روي أنه سمع صوتا يقول: "يا صاحب العين عليك العين"، فرأى في هذا الصوت أمرا بالتوبة، فكان ذلك الصوت البداية التي حولت حياته وجعلته شيخا صالحا مقبول الإشارة مسموع القول[2].

ولم يكن في وسع كتّاب ذلك العصر ومنهم الخزرجي أن يُحللوا نفسيا ما كان ربما يدور في ضمير هذا اللص وأنه ربما أرهقته أفعاله القبيحة، وكان يبحث عن خلاص من ذلك ليعود إلى طريق الخير. ثم إن هذا الاستعداد لسماع أصوات

(1) اليافعي، عبد الله بن أسعد: **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان**، ج4، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1339هـ. ص 178

(2) الخزرجي، ج1، ص 102 – 103.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

واستلهام معان منها، بل ومنحها سلطة آمرة واجبة النفاذ، هو ما يهمنا في تصوير الذهنيات العامة لهذه الفترة.

### ١٧. المسحة على الصدر والبصاق في الفم:

واعتقد الناس بسحر المسحة على الصدر وبفعل البصقة يبصقها الفقيه في فم غيره فتحدث ما تحدث من بركات وخوارق. ورد ذلك في خبر الفقيه الصالح المشهور أبي الخطاب الهمداني (ت:663هـ)، حين كان ما يزال يأخذ العلم عن غيره، فذكر أنه حج ذات عام: "فمر في طريقه بالشيخ أبي الغيث ابن جميل فسلم عليه وسأله أن يمسح له على صدره ولما ودعه سأله أن يبصق في فيه فبصق له"[1]، ثم سافر مطمئنا إلى بصقة في صدره فيها الترياق الشافي والخير العميم.

وشبيه بهذا ما روى عن بصقة أخرى، لكنها ليست لفقيه فاضل أو شيخ صالح هذه المرة، بل لطائر أخضر وقف على كتف أحمد بن علوان الذي صار بعدئذ ذائع الصيت ولا يزال. وابن علوان هذا كان في أول أمره ولدا مُدللا أرعن كسائر أبناء الكتّاب كما يرد في الرواية، وكان أبوه كاتبا عند الملك الأيوبي المسعود ابن الملك الكامل فحرص على تعليمه القراءة والكتابة والنحو، ثم أراد الانتقال من قريته يُفْرُس إلى تعز، عاصمة الرسوليين بعد ذلك، طلبا لوظيفة هناك، وفي الطريق جاءه الطائر الأخضر فوقف على كتفه ومد منقاره إلى فمه وصب الطائر فيه شيئا ابتلعه أحمد بن علوان وعاد إلى قريته واعتزل الناس أربعين يوما، ثم خرج وجلس على صخرة يتعبد فتحوّلت الصخرة كفًا وسمع صوتا يقول له: صافح الكف، فيسأل كف مَن هذه فيجيب الكف بأنها كَفُّ أبي بكر الصديق، فيصافحه ويقول له أبو بكر: "قد نصبتك شيخا".

(1) الخزرجي، ج1، ص 137.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

بعد هذا الحدث تتغير أحوال ابن علوان ويصير شيخا صوفيا عارفا بالله مشهورا ومحبوبا من الناس واسع الجاه بينهم، وله كتب في الصوفية والوعظ ولقب: "بجوزي اليمن"، وله أيضا أشعار سياسية يحث فيها السلطان الرسولي الأول نور الدين عُمَر بن علي بن رسول على العدل وحسن السيرة. وقد أشار إلى ذلك الخزرجي وأثبت بعض أبيات بهذا المعنى ووصفه بأنه كان: "آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم"، ونسبت إليه كرامات كثيرة تكشف مزيدا من واقع ذهنيات القوم لتلك الفترة في اليمن، ومنها أنه كان يتكلم بلغات كثيرة، وقيل في تفسير ذلك إن روحه كانت: "مهبطا لأولياء الله ولهم لغات كثيرة يتكلمون بها على لسان الشيخ فينطق بها" كما يقولون[1].

ولا يزال ذكر ابن علوان مِلئ الأسماع في معظم أنحاء اليمن، وبعض العامة يحلف باسمه وتقدم له النذور، وقبره مشهور مزار إلى اليوم، ويقع في يفرس جنوب تعز. وقد اهتم به المعاصرون وحققوا له بعض الكتب وأخذت المسحة الخرافية تنقشع عن شخصه لصالح تصور واقعي عقلاني يظهر فيه ابن علوان عالمًا صوفيًّا جليل القدر له نظر وتأليف في توحيد الله وأسرار الملكوت، وله مواقف سياسية من حكام عصره وأدائهم السياسي.[2]

### ١٨. الخرافات الزاجرة:

وهناك روايات لها صلة بزجر الناس عن الحرام وأخذ ما لا حق لهم فيه، فقد روي عن الفقيه أبي عبد الله الحسين بن علي بن عمر (ت: 680هـ) أنه باع شيئا من الحبوب التي كان يأخذها أجرا لتدريسه في إحدى المدارس، ثم ربط الدراهم التي باع بها الحبوب في طرف ثوبه، فلما احتاج الرجل لشراء شيء فتح الربطة

(1) الخزرجي، ج1، ص 146.
(2) الخزرجي، ج1، ص 146.

فوجد بدل الدراهم عقارب، فنفضها عن ثوبه وحرّم على نفسه بعد ذلك أخذ طعام المدرسة[1]، وهي رواية خرافية كما نرى، إلا أنها تكشف مستويات التفكير لذلك الوقت وعلاقته بمعاني الحلال والحرام والتعجيل بالعقاب في حال حدّث الإنسان نفسه أن يأخذ شيئا من مال غيره، رغم أن الفقيه في هذه الرواية لم يرتكب إثما، بل تصرف بحقه وحوَّل الحبوب إلى دراهم، فوجد العقاب سريعا، وفق الرواية، وهو ما يكشف سمة مؤثرة من سمات الثقافة السائدة ترى في التطلع إلى الحصول على الدراهم تعبيرا عن الرغبة في الإقبال على الدنيا، وهو أمر ممقوت كما صورته الصوفية وكتب الزهد، ولا يزال لهذه السمة الثقافية حضورا على مستوى الفكر إلى الآن، وإن تحرر الواقع كثيرا من أسر الذهنيات الخرافية المرتبطة بذلك.

### ١٩. العلاقة بالجن:

ومن مكونات الذهنية الخرافية، الاعتقاد بحضور عجيب للجن في حياة الإنس، ونحن هنا لا نود الدخول في جدل حول وجود الجن من عدمه، فالجن مذكورون في القرآن وهذا يكفي، لكن الجدل متشعب وطويل حول طبيعة وجودهم وعلاقتهم بعالم الإنس. وينقسم المنشغلون بهذا الأمر إلى مؤيد[2] لوجود الجن وفق التصورات الشعبية السائدة، ولوجود علاقات متداخلة للجن مع الإنس وهو بهذا يؤسس لمصداقية ما يروى من أخبار حول تلك العلاقة، وهناك النافي لوجود الجن على النحو الشائع شعبيا، والمفرق بوضوح بين الإيمان بوجود الجن وفق مفهوم آخر لهذا الوجود، وبين المفهوم الخرافي الشائع بين الناس، ويؤسس للحكم على

(1) الخزرجي، ج1، مطبعة الهلال، مصر، 1911. ص 222.

(2) انظر مثلا: عبيدات، عبد الكريم نوفان: **الجن وعلاقتهم بالإنس، دراسة في ضوء الكتاب والسنة**، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2004.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

ما يروى من أخبار بالخرافة والبَلَه العقلي[1]. وبما أنه لا وجود لأي دليل علمي حقيقي لا قديم ولا معاصر يدعم الروايات المتعلقة بصلات الجن بالإنس، وأن ما يقدم من شروح إنما هي تأويلات قابلة للنقض، فإنه لابد من التعامل مع الروايات ذات الصلة باعتبارها معتقدات خرافية وجزءًا من ذهنية عامة تختزن الخرافة بوصفها واقعا تتصوره وتتعايش معه وفيه، وهو ما يهمنا في استعراض محتويات الذهنية العامة لهذه الفترة.

**أ- محكمة الجن:**

من ذلك ما أورده الخزرجي متصلا بالفقيه الإمام العلامة أبي الحسن علي بن أحمد الأصبحي (ت: 703هـ)، صاحب كتاب "المعين"، و"غرائب الشرحين وأسرار المهذب"، ومن انتهت إليه رياسة العلم في زمنه، وغدا حجة على أهل زمانه، وتتصل به كرامات ومكاشفات كثيرة لم تذكر في الكتاب. وقد روى الخزرجي ما وقع له مع قوم من الجن، كما قال، وأنه خرج مرة لتفقد أرض له فوجد الحارث هناك يحرث بالثيران، فسأله إن كان لديه ماء للشرب، فأشار الحارث إلى ناحية من الحقل فذهب الفقيه إلى هناك ووجد عند الماء ثعبانا ضخما فقتله، ثم لم يلبث أن وجد نفسه في: "أرض لا يعرفها بين أقوام لا يعرفهم لهم خلق غريب وفيهم من يقول للفقيه قتلت أخي وبعضهم يقول قتلت أبي وبعضهم يقول قتلت ابني"،

(1) إدلبي منير: **أبناء آدم من الجن والشياطين**، دمشق، دار الأهالي، 1993م. ص 12-13، والكتاب كله تفنيد للأخبار الخرافية ودحض لها عبر قراءة مميزة لآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وهو في الخلاصة، وبعد استعراض مفصل لمعاني الجن والشيطان في المعاجم اللغوية، وبعد قراءات للأحاديث والآيات وفق ذلك، يرى أن الجن هم كل ما استتر عن العين من بشر وثعابين وميكروبات وغير ذلك، وهي موجودات مادية تسري عليها أحكام العقل المنطقي ولا صلة لها بالمحتوى الخرافي الشائع الذي يعطي الجن صفات غير بشرية ويمنحهم قدرات خارقة لا أصل لها إلا في الخيال الشعبي الذي ربي على قبول تلك الخرافات والخزعبلات.

وهذا معناه أن الجن خطفته إلى ديارها بعد قتله الثعبان، ولم ينقذه من فزعه العظيم إلا شخص (لم يُعَرَّف) دَنَا منه وهمس في أذنه أن يقول: "أنا بالله وبالشرع"، فقال الفقيه وكرر، ثم تغير المشهد ووقف الجميع أمام محكمة للجن، يرأسها شيخ منهم على هيئة الرخمة البيضاء[1] وقد قعد على منصة مرتفعا عن الجميع لسماع الدعوى والإجابة. وبدأت المحاكمة فادعى جماعة من الجن أن الفقيه الأصبحي قتل أخاهم أو أباهم، ولم يتركه الشخص الغريب الذي دنا منه أولا، فدنا ثانية وهمس في أذنيه أن يقول: "أنا ما قتلت إلا ثعبانا". ثم أصدر قاضيهم حكما ببراءة الأصبحي مستندا إلى حديث سمعه عن النبي محمد بأذنيه وفيه: "من تشبه بالهوام فلا قود عليه ولا دية"[2].

وبعد هذا الحكم من قاض وصحابي من أهل الجن، يجد الفقيه نفسه ثانية حيث كان في الحقل، وحيث قتل الثعبان، ثم يبدي الحارث استغرابه من غيبته الفجائية ثم من حضوره ثانية فجأة، فلا يجيب الأصبحي.

تظهر هذه الرواية طبيعة الاعتقاد حول العلاقة بالجن وقدرتهم على تغييب الأشخاص فجأة وإحضارهم مرة أخرى فجأة، كما حدث للفقيه الأصبحي، لكن الرواية تفيد أيضا إمكانية الخلاص من الجن، خلاصا لا يتأتى إلا بالعلم الشرعي والتفقه والزهد، وهكذا تكون هذه الرواية شهادة لورع الأصبحي وتقواه، ولذلك قُيِّض له شخص في ساعة فزعه تلك ليخلصه مما هو فيه.

ويجدر أن نلفت الانتباه إلى أن الرواية لا تنقل عن الفقيه الأصبحي مباشرة، بل بالسماع المتواتر (وقيل)، لكن كتّاب العصر كما نرى لم يستنكفوا تدوينها

(1) من بين المعاني الكثيرة التي أوردها لسان العرب تحت مادة "رخم"، والمتوافق مع سياق الجملة أعلاه، أن الرَّخَمَةُ طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق.. والرخم نوع من الطير واحدته رخمة وهو موصوف بالغدر والقذارة.

(2) الخزرجي، ج1، ص293- 294.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

دلالة على يقينهم بحدوثها أو إمكانية حدوثها على الأقل، لأنها من مألوفات ذهنية عصرهم. ولنا أن نتصور طبيعة الذهنية العامة من خلال تداول حكايات مع الجن كهذه، لتأكيد وجود علاقة بين الإنس والجن على هذا النحو وللإخبار بطرق الخلاص ومنها القول: "أنا بالله وبالشرع" كما أخبر منقذ الأصبحي المجهول في بلاد الجن.

**ب- تتلمذ فقهاء الجن على فقهاء الإنس:**

ويبدو أن الخيال الشعبي قد جعل تقمص الجن للثعبان هو الشائع، فهذه رواية أخرى يوردها الخزرجي نقلا عن الجندي بشأن الفقيه الحسن ابن القاضي الحميري (ت: 667هـ)، وأنه كان شديد الاجتهاد في طلب العلم ويرتحل لأجله، ومن بين رحلاته واحدة قام بها إلى جهات الفقيه ابن الهرمل ليسمع منه رواية حول شروح كتاب "التنبيه" وصفت بأنها قريبة السند إلى رسول الله ﷺ. فلما وصل إليه أخذ كل يتعلم من الآخر، الحسن الحميري يتعلم من ابن الهرمل شروح التنبيه، وابن الهرمل يسمع من الحسن الحميري "كتاب البيان"، ثم روي أن الفقيه الحميري وهو في موقع التدريس كان يرفع رأسه بين الفينة والأخرى إلى السقف فيرى ثعبانا مخرجا رأسه في هيئة المصغي إلى أن ينتهي الدرس ثم يختفي، ثم أخبر مضيفه بما شاهد، فقال له الفقيه ابن الهرمل بهدوء وبساطة: "هذا رجل من فقهاء الجن قرأ عليَّ التنبيه والمهذب وهو الذي سألني أن أسألك إسماعنا البيان"[1]. ولم تفصل الرواية بأي لغة قدم فقيه الجن طلبه، ولا سأل أحد كيف لم ينتقل فقيه الجن هذا إلى مجلس الفقيه الحميري ويسمع منه هناك، طالما والفكرة المرتبطة بالجن مقدرتهم على التشكل والحركة بلمح البصر.

(1) الخزرجي، ج1، ص 154.

هذا يعني أننا أمام ذهنيات تتلقى فقط وتخاف أن تلقي الأسئلة كي لا يصيبها مس، وهو ما يكشف بعدا آخر من أبعاد تشكيل الذهنيات الخرافية المؤسس على التخويف من السؤال، لأن السؤال كان ولا يزال مفتاح العلم: "فالعلم خزائن ومفاتيحها السؤال" كما جاء في الحديث[1].

**ج- جيش من الجن يفك حصار السلطان الرسولي:**

ومن الجن ما كان أصله بشريا فصيرته التربية جنيا، يرد هذا في رواية متصلة بالسلطان الرسولي (المجاهد) الذي اتصف عصره بالنزاعات الداخلية بين الطامحين إلى الحكم، فحدث أن حوصر في حصن تعز وأخذت آلات المنجنيق تقذف بحجارتها الحصن ومن فيه، ونسبت الرواية لجارية كانت في الحصن أيام الحصار، فروت كيف أن الملك المجاهد كان يغير أمكنة إقامته ليلا ونهارا تفاديا لحجارة المنجنيق، وأنه ذات ليلة جلس في موضع بعد أن فرغ من وضوئه وكانت أمه بجانبه وإذا بجدار من جدر الحصن ينشق ويخرج عنه غلام تام الخلقة له شعر مظفور إلى آخر ظهره (دبوقة)، ثم انكب ذلك الغلام على السلطان المجاهد فحمله من موضعه إلى موضع آخر، وسط دهشة الجميع وفزعهم مما يرون، ثم سقطت إثر ذلك مباشرة قذيفة منجنيق أصابت الموقع الذي كان الملك المجاهد قاعدا فيه. أدرك المجاهد أنه أنقذ من موت محقق، فالتفت إلى الرجل يسأله عن صفته، فأجاب الغلام المنقذ: "أنا والله أخوك حقيقة وأبي والله أبوك داود المؤيد وأمي الجارية فلانة ولكني أخذت من بطن أمي فربيت مع الجن حتى صرت كما ترى، ولما رأيت أن هذا الحجر قاتلك لا محالة حملتك عن ذلك الموضع محبة لك وشفقة عليك". وقد أكدت والدة الملك المجاهد رواية الغلام الجني وذكرت لابنها الملك أن جارية لأبيه كانت حاملا وتشرف على الوضع ثم أصبحت ذات

(1) الغزالي، أبو حامد: **إحياء علوم الدين**، ج1، ط3. بيروت، دار القلم، 1990م. ص 15.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

يوم وقد مُسخ ولدها من بطنها وكأنها لم تكن حاملا ولم يظهر لحملها أثر بعد ذلك. ولم تقف قصة الغلام الجني عند هذا الحد، فقد أخبر أخاه الملك بأنه اتفق مع القائد العسكري للحصن على القتال ضد المحاصِرين في اليوم الفلاني، فلماء جاء ذلك اليوم وقع القتال بين الفريقين: "فأثروا فيهم أثرا ظاهرا على قلتهم وكثرة العدو، وما هو إلا بقتال قوم آخرين والله أعلم"(1).

وفي عبارة والله أعلم خاتمة للرواية من قبل الخزرجي، وهي نادرة، ما قد يفيد شك الخزرجي بقتال الجن مع الملك المجاهد أو ربما شكه في إمكان اكتساب البشر لصفات الجن، إذ كل مخلوق من طينة غير الأخرى حسب المعرفة المتواترة، والغلام، وإن تربى مع الجن، يبقى بشريا في قدراته، لكن إطلاق مثل هذه التساؤلات، كما ذكرنا، ربما أخافت مُطلقيها، ولذلك لم تكن واردة وإلا لما رويت كل تلك الأخبار الخرافية على أنها وقائع حية.

وهذه الرواية بالذات وقد اتصلت بنزاع سياسي تسمح بتفسيرها في إطار الحرب النفسية كما يقال اليوم، فإشاعة أخبار عن موقف الجن من النزاع السياسي بين المجاهد وخصومه، بل عن وجود حِلف بفضل أخ له بشري في دنيا الجان، ما يعزز حصول هذا الحلف، ومن ثم فإن إشاعة مثل هذا الخبر لاشك يبلغ أثره عند قوم بذهنيات مستعدة لتقبل هذه الأخبار بجدية عميقة، وأن القتال في اليوم الموعود لا شك جاء وقد سرت هذه الشائعة وفتَّت في عضد المحاصِرين وعزائمهم، وهي من الحيل السياسية التي استخدمت لإضعاف قوى الخصم وإخضاعه بجبروت قوى خارقة في خدمة الحاكم إلى وقت قريب، أي إلى ما قبل ستينيات القرن المنصرم، كان يطلق على الإمام أحمد ملك اليمن "أحمد يا جِنّاه" ورويت عنه أخبار أنه يستخدم الجن لمعرفة خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ لضمان ولاء أتباعه ظاهرا

(1) الخزرجي، ج1، ص 28.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وباطنا؛ ولإخافة خصومه كي لا تسول لهم أنفسهم التحدث بشرّ عنه، كما نشر حوله خرافة أن الرصاص لا يؤثر فيه، وعليه لا خير، والحال هذه، من الإقدام على أمر لا أمل في إمضائه بنجاح.

هذا معناه أن الحكام هم الأوفر حظا من واقعية عالية وهم الأدرى بما يشيعونه من أخبار لتشكيل الذهنية التابعة المستسلمة لهم. وعليه فقد استغل المجاهد الرسولي الثقافة الشعبية السائدة بنجاح لفك الحصار عن نفسه.

## ثالثًا- خلاصة وتحليل:

والخلاصة أن القرن السابع الهجري في اليمن شهد حركة علمية أفرزت مجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء والمتصوفة، وكانت الدولة الرسولية صاحبة فضل في هذه الحركة، بتشييدها المدارس وترتيب الوقف الضروري لاستمرارها وتقريب العلماء وتكريمهم، وقد استمر هذا الزخم العلمي حتى مطلع القرن العاشر الهجري. ورغم الاهتمام الواضح بالعلم الشرعي في هذا القرن إلا أن غالب مداره كان في استيعاب القضايا المطروقة والسائدة وفهمها وتدارس إشكالاتها وتأويل نصوصها وكتابة الشروح والحواشي حولها أو تقديم تآليف أيسر تناولا أو أشمل للقضايا الخلافية المثارة في الكتب المتداولة، ولم تذكر أية إضافات علمية حقيقية تجب ما قبلها وتؤسس لفكر شرعي جديد أو تؤصل لتطور فارق مختلف عما قبله. وقامت الشهرة على مقدرة الفقيه أو العالم استيعاب علوم الأوائل وجلاء غموضها أو الوقوف على دقيق معانيها، بل وعدم الخروج عن روايات (أفهام) من سبق من الشيوخ والرواة. وهناك شواهد على سيادة التقليد وهيمنته، فقد أورد اليافعي في "مرآة الجنان" نص إجازة (شهادة علمية)، عن الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي (ت:677هـ)، بخط يده، وهو من العلماء البارزين وله تآليف كثيرة في الفقه وغيره، وفيها يقر الفقيه إسماعيل أن الولد المحبوب إبراهيم بن محمد بن سعيد قرأ عليه:



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

"التنبيه في الفقه بقراءته، وقراءة غيره، وقد أجزت له روايته بروايتي عن والدي رحمه الله بروايته عن الإمام العالم العابد محمد بن كُبَانة بروايته عن الإمام العالم يحيى بن عطية بروايته عن الإمام محمد بن عبدويه، عن المصنف، وقد أجزت له روايته عني، وأن يروى عني جميع ما يجوز لي روايته من كتب الحديث والتفسير والفقه"[1].

في هذه الإجازة تشديد على ضرورة الالتزام بفهم واحد أو برواية واحدة هي الرواية التي تواترت إلى الفقيه إسماعيل ويجيزها الآن لأحد تلامذته، كما فيها تأكيد لدوران العلم الشرعي حول استيعاب وفهم ما أُلف في القرون السابقة كما تواترت إليهم دون تبديل أو اجتهاد. وقد أنكر معاصرو الفقيه إسماعيل الحضرمي سالف الذكر اجتهاده في مسألة فقهية لم يجد لها نصًا في كتب الفقه المتداولة، ونابذوه طويلا، على جلالة قدره، ولم يرفع عنه اللوم إلا بعد وفاته حين وقف أحد أقربائه على نص للمسألة في الكتب المتداولة.[2] وباستثناء ما حصل من اجتهادات عند أئمة المذهب الزيدي وفقهائه في اليمن بحكم الأصل المعتزلي للمذهب والتشديد على مبدأ الاجتهاد وبحكم الاتصال الوثيق بين الزعامة المذهبية والسياسية، فإن الحراك العلمي الحاصل في العالم الإسلامي، على مثال ما جرى في اليمن في القرن السابع، إنما يعكس ركودا في العقلية الإسلامية تعكس هي الأخرى ركودا اجتماعيا مأتاه أن النص الشرعي أخذ يتداخل مع المجتمع الإسلامي في أول نشأته حتى تشابك الاثنان في القرون التالية ودخل كل في إهاب الآخر، ولم يصل القرن الرابع إلا وقد تحددت معالم المجتمع الإسلامي وفق النص الشرعي بشكل نهائي، فأخذ

(1) اليافعي، ج4، ص 178.

(2) أورد الحبشي هذه الرواية دون إشارة إلى مصدرها ليتسنى الرجوع إليه. انظر، الحبشي، عبد الله محمد: **حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول**، ط2، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، 1980م. ص 108.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كل يعيد إنتاج الآخر في القرون التوالي في تحالف مكين. ولذلك لم يعن تضخم أعداد الكتب بشروحها وحواشيها ومختصراتها زيادة حقيقية في أصل المعرفة أو تطويرها، بل أكدت ركود النص والمجتمع، وكل كان عينا يقظة على الآخر، ولذلك تم الإنكار على كل محاولة تمردت على السياق المتوارث، بل ولا يزال هذا التحالف القائم بين النص والمجتمع بإطاره العام على الأقل قائما إلى اليوم، لولا أن النص الشرعي المتوارث يواجه تحديا حقيقيا في العصر الحديث بحكم التحولات المجتمعية العميقة التي قادت إلى تمردات مجتمعية لم تعد تسعها النصوص القديمة و تحتاج إلى مراجعة جذرية لإقامة أسس تحالف جديد بين النص والمجتمع.

أما فيما يخص الذهنيات العامة فلابد من التنويه أولا إلى أن الخرافات والخوف من عالم الخفاء قاسم مشترك بين أمم الأرض جميعا، وكانت ولا تزال ثمرة جهل الإنسان بما يحيط به وخوفه مما يتصوره موجودا على نحو آخر وبقدرات خارقة.

لكن المؤسف أن تؤسس خرافات المسلمين على دين عقلاني النزعة، يطالب بالحجاج العقلي وبالتبصر والتدبر والتفكر والتعقل في الأمور كلها، بل إن الإيمان بالله لم يكن إلا خلاصة عقلية لحجاج منطقي متماسك. فكيف تسنى للمسلمين أن يحولوا علاقتهم بالكتاب والسنة إلى أرضية بُني عليها كل هذا الكم من الخرافات في طول العالم الإسلامي وعرضه؟ ولا ريب أن قدرا كبيرا من إجابة هذا السؤال يكمن في سيادة فهم مشوّه للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة التي سردت معجزات الأنبياء وأتت على ذكر الجن والشياطين، لكن أحوالا أخرى ساعدت في إشاعة هذا الفهم المشوه ومنها جهل السواد الأعظم من المسلمين بشؤون دينهم، وانشغال العلماء المتأخرين بصغائر الأمور وفروعها، ويعد الموقف من الفلسفة وإهمال العلوم البحتة أو العقلية بين أهم أسباب تواتر العقلية الخرافية، لأنها علوم



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

تدرب العقل على سبك الحجج كما في الفلسفة، وتقوم على التجريب والمنطق كما في العلوم الطبيعية مع استمرار التصويب لمسارها، وهي بطبيعتها تلك تصوب العقل العام وتقوم منطقه وتطور أدوات بحثه، وهذا ما تم فهمه في هذا الزمان بعد كل هذا الهجر الطويل للعقل ودوره. ويرى الإمام الغزالي (ت:505هـ)، أن كثرة الانكباب على العلوم الشرعية والاهتمام بصغائرها عائد لما تحققه هذه العلوم من ربح ومكانة وسلطة للفقهاء، خاصة فقهاء ما بعد القرن الثالث والرابع الذين لم يضيفوا شيئا إلى البناء الفكري الضخم الذي شيده علماء القرون الأولى، بالإضافة إلى إهمال واضح للعلوم البحتة ومنها الطب، يقول الغزالي: "فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة.. ثم لا نرى أحدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون بالفقهاء"[1]. وقد قدم الغزالي تفسيرا لإهمال العلوم البحتة ومنها الطب، وهو: "أن الطب لا يتيسر به الوصول إلى تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء"[2]. وهو قول خبير معاصر، مدرك لبواطن الأمور، كما أنه قول لم يبلَ رغم توالي القرون، ولا يزال يصلح تعليلا لما تلا الغزالي من أزمنة، ليشهد على ركود اجتماعي وعقلي في آن واحد. فإن كان هذا حال الطب مع الحاجة إليه اجتماعيا فكيف بباقي العلوم الأخرى من فلك ورياضيات وجغرافيا ونبات وغير ذلك من العلوم التي لا تتيسر للمرء بسهولة ولا مما يحتاج إليه الناس كافة، وعليه فإن عزوف الناس عن العلوم العقلية الأخرى إنما رسَّخ عقلية تقليدية مشوشة بخرافات متنوعة، وكشف طبيعة المشهد العلمي الجاهل بأهمية العلوم العقلية التي طورها العلماء المسلمون وبلغوا بها مرتبة عالية من التحقيق والتجريب والإضافات العلمية الرائدة، إلا أن من الواضح أنها لم تكن من العلوم الشعبية،

(1) إحياء علوم الدين، ص 26.
(2) إحياء علوم الدين، ص.26

بحكم موضوعاتها العلمية المجردة، ولذلك اقتصرت على القلة من العلماء والأسر العلمية، ولم تسهم إنجازاتهم في صقل عقلية منطقية عامة، بالإضافة إلى مساهمة العقل الإسلامي الشرعي في تجذير ثقافة شعبية تُهَوِّن من قيمة العلوم البحتة، وتمنح علوم الشرع مقاما أرفع من مقام العلوم البحتة، فالغزالي مثلا، رغم شكواه السالفة، واصل الإسهام في الحط من شأن العلوم العقلية بوضعه علم الفقه وكافة العلوم الشرعية في مقام أعلى من مقام الطب، وبرر ذلك بمرافعة طويلة يمكن أن تعد تأصيلا شرعيا لأولوية العلوم الشرعية على حساب العلوم الأخرى التي – وإن عدها من العلوم المحمودة ومما يرتبط بها صلاح الدنيا – إلا أنها ليست في منزلة العلم الشرعي المحمود كله بحكم ضرورته لحياة المسلم الذي ينبغي أن يلتفت كلية إليه كي يعبر به الدنيا التافهة إلى دار الخلود[1]. ويروى عن الإمام محيي الدين النووي (ت:677هـ)، وهو إمام شافعي عالي الذكر، موقف مشابه من علم الطب؛ فقد كان في طور تعلمه الأول منفتح العقل ويقرأ كل يوم اثني عشر درسا في فنون مختلفة، وكان يستوعب كل ما يقرأه من شرح مُشكِل وإيضاح عبارة وضبط لغة، ورأى ذلك بركة إلهية وعونا، ثم خطر له الاشتغال بعلم الطب: "فاشتريت القانون، وعزمت على الاشتغال فيه، فأظلم عليّ قلبي، وبقيت أيامًا لا أقدر على الاشتغال بشيء، ففكرت في أمري من أين دخل عليّ الداخل؟ فألهمني الله أن الاشتغال بالطب سببه، فبعت في الحال الكتاب المذكور، وأخرجت من بيتي كل ما يتعلق بعلم الطب، فاستنار قلبي ورجع إليّ حالي، وعدت لما كنت عليه أولًا"[2]. عندما يروى هذا القول على لسان الإمام النووي وهو من هو في العلم والمقام فلنا أن نتصور الثقافة السائدة وأثر مثل هذه المواقف على العلوم البحتة. فالطب كان سبب

(1) إحياء علوم الدين، ص 22.

(2) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: **المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي**، المدينة المنورة، مكتبة التراث، 1989م. ص42.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

إظلام قلبه وعادت إليه الاستنارة بعد أن باع "القانون"، كتاب ابن سيناء في الطب، وهو الذي أخذت به جامعات أوروبا ودرسته قرونا في جامعاتها، ولا تزال تصدر حوله رسائل دراسات عليا إلى اليوم. ولا شك أننا سنتفهم لو قيل إن طبيعة عقل الإمام النووي لم تستسغ الطب، فهذه أحوال بشرية مألوفة، أمّا ربط إظلام القلب بالاشتغال بالطب، فيُعَدّ انعكاسا لقناعات سائدة، وتوجيها تربويا عاما، وتصويرا للطب بأنه مُذهب لبركة العقل، البركة التي استردها النووي بمجرد بيع كتاب القانون وإخراج كل ما له علاقة بالطب من داره. ولم يترك السخاوي (ت:902هـ)، واضع سيرة النووي، هذه الرواية بلا تعليق، بل أصَّلها بافتراض وقوع اعتراض على رأي الإمام النووي في الطب واستشهد بما نقل عن الإمام الشافعي محمد بن إدريس وأنه يقسم العلم إلى علمين "علم فقه للأديان وعلم طب للأبدان"، وردَّ بأن مقصود الشافعي هو الطب النبوي المجرد عن أصول الفلاسفة التي صرَّح صاحب القانون في أوله بابتناء الطب المورد في كتابه عليها، وأن الطبيب يتعلم ما يبنى عليه من العلم الطبيعي، ولذلك اعترى الشيخ رحمه الله بمجرد عزمه على الاشتغال في الكتاب المذكور ما أشار إليه"[1]. نحن إذن أمام محتوى لثقافة شرعية لها موقف من العلم الطبيعي لا تكتفي بتفضيل العلم الشرعي، بل بالارتياب في العلم الطبيعي والتحذير منه. والسخاوي الذي تفصله عن روايات كتاب الطب النبوي ثمانية قرون، لم ينظر إليه على أساس التجربة البشرية في حدودها الزمانية والمكانية، بل رآه الأصل وفيه الكفاية، وما عداه مُظلم للقلب بحكم اتصاله بأصول علم اليونان العقلية وبعلم الطبيعيات. لكن السخاوي، وقد تأول قول الشافعي في الطب المقصود، لم يهمل الإشارة إلى ما يخالف تأويله، فأورد رأيا عن الفقيه المحدث حرملة بن يحيى (ت: 243هـ) فيه أن الشافعي كان يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب ويقول:

(1) السخاوي، ص 42-43.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

"ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى"[1]. وفي هذه الرواية يبرز إدراك الشافعي لأهمية الطب العقلي التجريبي، لأن ما بيد اليهود والنصارى ليس الطب النبوي قطعا، بل طبا تجريبيا بحدوده المعرفية والزمنية، وهذه الرواية التي تشهد للشافعي بإدراكه لأهمية الطب من وجه، تكشف من وجه آخر قِدَم الإهمال الذي لاقاه الطب والعلوم البحتة الأخرى، وهو إهمال أخذ يتراكم بل ويؤصل شرعيا عبر القرون. وقد توارث أهل اليمن هذه المواقف في العصر الرسولي وكره بعضهم علم الطب وعَدَّه مزعزعا للإيمان ونسبوا المشتغل به إلى الزندقة والخروج عن الدين، وهو حال المشتغل بكتب المنطق أيضا، كما وصف قوم بأنهم حادوا عن الطريق لاشتغالهم" بكتب المنطق والميل إلى اعتقاد أصحاب الطبائع"، أو الخروج عن المذهب لمعاناتهم علم الطب ومذهب الحكماء، كما وصف قوم آخرون.[2]

ولولا همة الحكام الرسوليين في الاهتمام بالعلوم البحتة، لما عرف أهل اليمن هذه العلوم، إذ التفت كثير من ملوك الدولة الرسولية إلى العلوم الطبيعية فبرزوا فيها وألفوا كتبا مهمة ذات وزن علمي هي محط اهتمام متزايد من قبل الدارسين ومحققي المخطوطات في أيامنا هذه (المركز الثقافي الفرنسي بصنعاء مثالا). حتى مع ظهور شكوك مبررة على أن بعض المؤلفات أو أجزاء منها لم تكن من تآليفهم، بل من تآليف علماء آخرين أعانوهم عليها، أو طولبوا بإنجازها لهم، فإن ذلك مدعاة لتقديرهم وتبجيلهم كونهم رغبوا في الفخر بنسبة أعمال علمية إليهم، وهكذا تنقلب تلك الشكوك دليلا على تقديرهم للعلم وأهله ورغبتهم في أن ينافسوا فيه ويكونوا من أهله رغم مشاغل الحكم.

(1) السخاوي، ص 43.
(2) الحبشي، حياة الأدب، ط2. ص 84.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومن أبرز الملوك العلماء الملك المظفر يوسف بن عمر (ت: 694هـ)، فقد ألف في الفلك والحرف المختلفة ومنها صناعة المداد والألوان، كما كتب في علم السياسة أيضا، يليه الملك ولده الأشرف بن يوسف الذي ألف في الفلك والطب والبيطرة والزراعة وعلم النجوم، ثم يأتي الملك المجاهد (ت: 764هـ)، الذي ألف في البيطرة وتوسع في كتاباته عن الخيل، كما كتب في الجغرافيا والزراعة وفي علم الحرف وفي الحروب وفي العطور كما كتب عن الطبخ أيضا. وللملك الأفضل اهتمامات علمية وكتبا في التاريخ والتراجم وله مخطوط مشهور يشبه الموسوعة وقد نشر هذا في لندن عام 1998م. وهذه مجرد أمثلة لاهتمامات ملوك الدولة الرسولية ويمكن العودة إلى قوائم مؤلفاتهم لمعرفة المساحة العلمية التي أهمتهم وأبرزها العلوم الطبيعية.[1]

وهم باهتمامهم بهذه العلوم الطبيعة قد سدوا نقصا في الصورة العلمية لتاريخ اليمن الوسيط يشكرون عليه، لكن غياب هذه التخصصات عن المدارس العامة واستيعابها وخدمتها من قبل طلاب العلم، يبقى أمرا محيرا وموضع نقد نبرزه هنا بجلاء تام، ويبدو أن هذه الحيرة تزول حين نستذكر ما طورته عقلية العلم الشرعي من خصومة مع العلم الطبيعي جعلت حكام بني رسول وهم أهل الحل والعقد يتهيبون نشر هذا المعارف بين العامة، والدليل ما تعرض له السلطان المظفر الرسولي من النقد حين أراد تعلُّم المنطق على يد الفقيه شمس الدين البيلقاني القادم من بلاد فارس، فقد أثار وجوده بين أهل العلم نزاعا حادا سببه مجافاة أهل اليمن للمنطق وعدم الاشتغال به."[2]

(1) **الحبشي، حياة الأدب**، ط2، ص 30 وما بعدها.
(2) الحبشي، حياة الأدب، ص 84.

وما استعرضناه من مواقف رافضة للعلم الطبيعي، وهي تروى عن أعيان وعلماء شرع، إنما تحط من شأن العلم العقلي التجريبي، العلم الذي نعلم اليوم يقينا بأنه المدخل الأساس للقوة المادية والحضارة، وأن جذور تخلفنا وهواننا على أنفسنا وعلى الناس إنما تكمن في الموقف من العلوم العقلية التي أتاحت لغيرنا سبل التطور والهيمنة. إن الاختلال الذي حصل بين العلم الشرعي والعلم الطبيعي، لصالح العلم الشرعي أضعف تأثير مناهج العلوم البحتة على عقلية المسلمين الكلية، لأن العلوم البحتة – والأمر هنا عام ولا يقتصر على اليمن– لم تلق من الاهتمام والشروح والمختصرات والإشاعة المجتمعية ما لقيته العلوم الشرعية، فتركت جل ساحة العلم وقفا على العلوم الشرعية. وفي اليمن كان هذا الاختلال قائما أيضا في القرن السابع، رغم تبني سلاطين بني رسول لعلوم الطب والفلك والزراعة والبيطرة وظهور مؤلفات تحمل أسماءهم في هذه الميادين[1]، وحرصهم على استقدام علماء الطبيعيات إلى اليمن، كما فعل المؤيد الرسولي حين استقدم عام 720هـ، عالم الهيئة والهندسة الأمير بدر الدين حسن المختار: "العارف بعلوم الأوائل من الهيئة والهندسة وعلم المجسطي وكان مشاركا في كل فن وضاربا في كل علم بنصيب"[2].

ومع ذلك فالواضح أن هذا الاهتمام بالعلوم البحتة من قبل الرسوليين ظل ظاهرة جزئية لم تتسع اجتماعيا ولم تؤسس لثقافة علوم طبيعية نشطة تخرج علماء في فنون العلم الطبيعي، لأنها فنون لا ينفع معها التواتر والتقليد فما يتم

(1) الحبشي، حياة الأدب، ط2. ص 60– 61.
(2) الخزرجي، ج1، ص 354.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تجريبه ويثبت خطؤه يقتضي البحث والتجريب والاستقصاء، وهي آليات التطوير لكل علم، وهناك قدر ضئيل من مؤلفات العلوم البحتة في الفلك والزراعة وعلم الحساب بلغت عشرين مؤلَّفا في قرنين وثلث[1] هي كل حياة الدولة الرسولية، بما في ذلك كتب الطب والفلك المنسوبة لبعض سلاطين بني رسول، وفيها الشروح والمختصرات لكتب أصلية. وللتدليل على الاختلال الحاصل بين علوم الطبيعة وعلوم الشريعة، نشير إلى أن شروح ومختصرات وشروح شروح "القانون" لابن سيناء بلغت (49) عملا في ثمانية قرون[2]، بينما بلغت الشروح وشروح الشروح ومختصرات الشروح والحواشي والمختصرات والتخريجات التي دارت حول كتاب الفقه "التنبيه" المؤلف في القرن الخامس الهجري، بلغت (134) عملا خلال خمسة قرون[3].

ومع كل هذا الجهد في تدارس مصنفات العلوم الشرعية لم يتأسس عقل إسلامي عام يخترق الجماعات والأفراد ويجعل من واجباته الأساسة خدمة العقل العام ليتعلم إخضاع رؤاه وتأملاته وأفكاره لمنطق علمي متحرر من الخرافة والأوهام.

لقد توارث المتأخرون خلافات الأوائل ومواقفهم حتى في الخرافة وفيما لم يعد له سند تاريخي مثل: "قضية خلق القرآن" كما مر. وهناك تاريخ طويل للخرافة المؤسسة على ثقافة دينية مشبعة باللاعقل واللامنطق تم توارثها أيضا، لذلك لا غرابة أن تشيع تأويلات خرافية تؤسس لعالم الخفاء بجنه وشياطينه وعلاقته

(1) الحبشي، حياة الأدب، ط2، ص 84-87.
(2) الحبشي، جامع الشروح، ج2، ص 1343- 1347.
(3) الحبشي، جامع الشروح، ج1، ص 651 وما بعدها.

بالإنسان من مَسٍّ وتَلَبُسٍّ وتَشَكُّلٍ وسواه، عالم اقتضى وجود وسطاء من بني البشر يلتمس بهم النجاة وعندهم الأمان، فزعم البعض امتلاكه سبل لجم الجن والشياطين وتحييد عدوانيتهم وشرورهم المتصورة، فكانت الكرامات البشرية هي المعادل الموضوعي لما أشيع من قدرات الجن والشياطين الخارقة، وهي (الكرامات) التي عبرت بالنفس البشرية حاجز الخوف إلى بر الأمان المنشود. ولا تستقيم الكرامة إلا إذا أسست على الدين، فالله هو الحامي وهو الملاذ الأصل، والوقوف بين يدي الله بعلم شرعي للتوسل والعون أفضل من الوقوف بين يديه بجهل وقلة حيلة، ولأن الجهل هو الغالب ولأن العامة محاصرة بالخرافة والخوف فهي من ثم الأكثر حاجة للوسيط البشري تفزع إليه وتعوذ به للتوسل والأمان، ولابد أن يكون فقيها، عالما حاز العلم الشرعي أو قدرا منه كي يدفع عالم الخفاء بما هو أقوى منه، كتاب الله وسنة نبيه. وهكذا قام الارتباط بين العلم الشرعي والخرافة، وخلقت الوظيفة الاجتماعية للعالم المسلم بكراماته المدهشة، وهو الذي يراه عامة المسلمين قادرا على استعمال القرآن والسنة في فض الخصومات وتقسيم الإرث وعقد الزواج ولجم الجن أيضا وإشفاء المريض وتقييد الشياطين أو إخراجهم من حيث حلوا في أجساد البشر كما يزعمون.

ولابد والحال هذه أن يتم الحفاظ على هذه الوظيفة الاجتماعية المربحة[1]، وأن يتم التنافس على إخضاع أنفس المؤمنين البسطاء لسلطة الفقيه والعالم،

(1) لمعرفة المزيد عن وظائف الكرامة من جوانب مختلفة انظر: بدران، أبو الفضل، ص 99 وما بعدها



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وأقصر الطرق هو تأكيد حالة الخوف بتأكيد وجود عالم الخفاء الشرير وإشاعة الأعاجيب عن كرامة هذا وفعل ذاك من الفقهاء والعلماء، لذلك لا غرابة أن تتأصل تلك الخرافات على أساس الكتاب والسنة، كما تشير إلى ذلك مؤلفات كثيرة في هذا الباب، فإن عُذِر الأولون لبساطة تجاربهم وغياب شروط العلم الحديث في أفهامهم تلك، فلا عذر للمعاصرين الذين يخرجون كتبا عن خرافات الجن والشياطين، ويعتمدون فيها على أقوال قديمة ضاربين بعرض الحائط ما أحدثه العلم المعاصر من صحوة عقلية. وأحدث هذه الكتب صادر عام 2004م، حسب علمي، وعنوان الكتاب: "الجن وعلاقتهم بالأنس، دراسة في ضوء الكتاب والسنة". والكتاب يعتمد على أفهام عقول سلفت لم تكن ترى وتسمع وتجرب وتفكر على النحو الذي يعمل به العقل العلمي المعاصر، ويخلص معتمدا عليها، دون نقد علمي وأسئلة عصرية، إلى الإقرار بوجود كل أشكال العلاقة المتوارثة والمتوهمة مع الجن. ولعل كثرة الكتب المؤلفة حول الجن والشياطين حديثا والتعويل على تأويلات خرافية قديمة معادة بإهاب علمي معاصر ليشهد أننا لا نزال نعصرن القديم بعلاته ونسيء إلى ديننا الحنيف العقلاني والعلمي في حجاجه وتحديه. ومع ذلك لم يخل الفكر الإسلامي من عقل رصين في هذا السياق، إذ يعد المعتزلة من فرق الفكر الإسلامي الرافضة للخرافة بسبب احترامها لسلطة العقل في كل شأن. ولذلك كان حال الخرافات في مناطق المذهب الزيدي المؤسس على الفكر المعتزلي أقل حضورا منه في مناطق المذهب الشافعي، وهو ما يعكس أثر الفكر في تشكيل البيئة



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المحيطة على نحو عقلاني وإقصاء التصورات الخرافية عن الذهن، لأن الفكر هو وحده الخالق للخرافات أو الملغي لها. ومن بين الكتب الكثيرة حول عالم الجن والشياطين، وجدت كتابا واحدا بعنوان "أبناء آدم من الجن والشياطين"، والكتاب يقدم تفسيرات وقراءات جديدة لنصوص الكتاب والسنة باتجاه تحرير العقل المسلم من خزعبلاته لصالح دين إسلامي عقلاني نقي من الخرافات والطلاسم،[1] وقد لا يوافقه الكثيرون على آرائه وخلاصاته، لكنها على الأقل تشير إلى الاتجاه الصحيح في كيفية تحرير عقل المسلم من الأسر الذي وضع فيه.

## خاتمة:

استعرض هذا البحث صورتين، في تاريخ الدولة الرسولية من خلال كتاب الخزرجي العقود...، الصورة العلمية ثم صورة الذهنيات العامة التي تشكلت من مجموعة من الخرافات، وما وصف بالكرامات، وحاولنا في الخلاصة تحليل العلاقة بين الصورتين، وتوصلنا إلى أن التشابك بين هاتين الصورتين سببه سيادة شكل من أشكال العلم الشرعي المتواتر دون نقد، فضلًا عن معاداة العلوم العقلية والفلسفية، وهو ما أفضى إلى ركود في العقلية العلمية، وإلى التقليد رغم كثرة ما ظهر من مؤلفات ومختصرات للكتب المتداولة في موضوعات مختلفة، كما أبرز تحليل التشابك بين العلم الشرعي والخرافات ظهور وظائف نافعة للخرافات السائدة، تمثلت في استفادة بعض رجال الدين منها من خلال تحولهم إلى ملاذٍ

(1) سبقت الإشارة إليه في هامش سابق.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يعوذ بهم العامة لتجنب أذى القوى الشيطانية الخفية، ولأن بقايا تلك الذهنية الخرافية لا يزال قائما إلى اليوم، فإن التركيز على دراسة تلك الذهنيات، أصولها وأسباب انتشارها، يعين على تفهم دور العلم التطبيقي والتفكير الناقد في ترسيخ عقلانية صارمة في حياة المسلمين، تماشيا مع عقلانية الدين الإسلامي الأصل.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

# غزة والخليل في عيون الرحالة اليهود أواخر العصور الوسطى
## دراسة حالة الرابي ميشولام بن مناحم الفولتيري ٨٨٦هـ/١٤٨١م

د. مصطفى وجيه مصطفى[1]

**ملخص البحث:**

جاء الأوربيون إلى عاصمة دولة سلاطين المماليك جماعاتٍ وأفرادًا ملتمسين إذن السلطان المملوكيِّ المُترَفِّع للسائل الأوروبيِّ المتواضع بالارتحال داخل أراضي الدولة، وكذا السماح للرَّحَّالة المسيحيين الغربيين بالسير إلى الأراضي المقدَّسة التي شهدت الوقائع التاريخية لحياة المسيح عليه السلام، فضلًا عن ذلك؛ فقد كانت لتلك البقاع مكانتها الكبيرة في الوجدان اليهودي؛ لذلك شد اليهود إليها رحالهم متَّخذين من حركة اليهود التوراتية وتنقُّل قبائلهم من مكانٍ إلى آخر معينًا لهم. ومن هذا المنطلق كانت رحلة ميشولام ابن مناحم صاحب موضوع هذه الدراسة، إذ يذكر أن شد رحاله من موطنه فولتيرا إليها كي يزور أماكن المقدسات اليهودية مثل مكان معبد سليمان المزعوم. يهمنا هنا حديثه عن مدينتي غزة والخليل، حيث تركت رحلته عنهما ملاحظات مهمة عن بعض من جغرافية المدينتين والسكان والأحداث التاريخية والوجود اليهودي، حيث نزل الرحالة الأوربي/ اليهودي المدينتين وسجل مشاهدات قيمة لم

(1) أكاديمي – مصر.

تذكرها المصادر المعاصرة، وكلما طالت إقامته فيها كلما عرف المزيد ففتح بذلك سبلًا جديدة تكشف غموض بعض الأمور بدقة شديدة.

**Summary**

**Gaza، Hebron Jewish travelers in the eye late middle ages A case study of Rabbi Meshullam Ben Menahem Of Volterra of 886 Ah/1481 m**

Europeans came to the capital of the Mamluk sultans of groups and individuals seeking so great Mamluk Sultans European poor fluid trekking within the territory of the State ،as well as allowing Western Christian pilgrims walking to the Holy land that saw the historical facts of life Christ ،moreover ;those spots her standing in the Jewish consciousness ،so pulling Jewish Jewish movement claiming biblical landing and movement of their tribes from one place to another set for them.

From this point his Meshullam Ben Menahem pretended to trip was the subject of this study ،recalling that tug carolers from his homeland to Volterra to visit places of Jewish holy sites such as the location of the Temple of Solomon .We are here talking about Gaza and Hebron ،where their journey left important notes on some of the cities and population geography and historical events and Jewish presence ،.Where European/Jewish Travelers Inn cities views recorded value never mentioned the contemporary sources، and the longer the residence where he could learn new avenues opened revealing the ambiguity of some things very carefully.

**المقدمة:**



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

ليكن مدخلنا إلى هذا الموضوع ما ذكره المؤرِّخ الغربي هنري.ل. سافج بقوله: "لقد سبق تدفُّق الحُجَّاج للمقدسات المسيحية في الشرق الأدنى عصرَ الحروب الصليبية بكثير، علاوة على أنه ظل بعدها طويلًا، ولم يتوقف تدفقهم حتى اليوم. وقد تتابعت رحلات الحجاج أفرادًا وجماعاتٍ عبر القرون إلى الأراضي المقدسة... وإذا كانت الحروب الصليبية الغربية قد ماتت؛ فإنَّ حَجَّ الغربيين لا يزال حيًّا"[1]، ولعله هنا يؤكد أنَّ الرحلة إلى الأماكن المُقدَّسة كانت مصدر شغفٍ وإلهامٍ كبيرين للكثير من العائلات الأوربية والشخصيات المهمة.

ولا شك أن الفترة التي يُمثِّلها عصر سلاطين المماليك (648 – 923هـ/ 1250 – 1517م) تحتل مساحةً مهمةً في تاريخ الرحلة الأوروبية إلى المنطقة العربية؛ فقد شهدت هذه الفترة عدة تطورات تاريخية مهمة بدأت بوقف الخطر المغولي 659/ 1260م، وانتهت بسقوط دولة المماليك بعد هزيمة مرج دابق والريدانية 923هـ/ 1517م، مرورًا بالقضاء على الوجود الصليبيِّ في المنطقة العربية بعد تحرير عكا بقيادة الأشرف خليل بن قلاوون 690هـ/ 1291م؛ وكانت النتائج المباشرة لنجاحات دولة سلاطين المماليك في سنواتها الأولى أن صارت القاهرة العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية للعالم المسلم من ناحية، كما كانت مقصدًا للزوَّار والتُّجَّار والسفراء والحجاج، والمغامرين، وحتى الجواسيس أيضًا.. فقد جاءوا إليها جماعاتٍ وأفرادًا ملتمسين إذن السلطان المملوكيِّ المُترَفِّع للسائل الأوروبيِّ المتواضع بالارتحال داخل أراضي الدولة، وكذا السماح للرَّحَّالة المسيحيين الغربيين بالسير إلى الأراضي المقدَّسة التي شهدت الوقائع التاريخية لحياة المسيح عليه السلام، فضلًا عن ذلك؛ فقد كانت لتلك البقاع مكانتها الكبيرة

(1) H: SAVAGE. "pilgrimages and pilgrim shrines in Palestine and Syria after 1095 Pennsylvania,1977,vol 4,p.36

في الوجدان اليهودي؛ لذلك شد اليهود إليها رحالهم متَّخذين من حركة اليهود التوراتية وتنقُّل قبائلهم من مكانٍ إلى آخر معينًا لهم.

**التعريف بصاحب الرحلة:**

كان ضمن هؤلاء اليهود الذين شدُّوا رحالهم للوصول إلى "القدس" تلك المدينة العريقة التي يعتبرونها سرة العالم ويحجُّون إليها ثلاث مرات في العام، هو أحد الرابيين الإيطاليين ويُدعَى ميشولام بن مناحم بن مناحم الذي اتجه نحو الشرق في الربع الأخير من القرن التاسع من الهجرة/ الخامس عشر من الميلاد 15م/ 9هـ 1481م/ 886هـ.

واقع الأمر أن معرفتنا بميشولام بن مناحم تُعدُّ محدودةً، وهو في ذلك يشبه غيره من الرَّحَّالة الأوربيين الآخرين الذين توافدوا على المشرق في العصور الوسطى، وكل ما نعرفه عنه مقتبسٌ من رحلته؛ إذْ يقول عن نفسه إنه يهوديٌّ إيطاليٌّ، من أسرة ثرية عاشت في فلورنسا في القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، جاء ذكر ذلك عند تعرُّضه للحديث عن يهود القاهرة في رحلته، وذكر أن أحد كبار تجار الأحجار الكريمة اليهود بالقاهرة يُدعى الرابي موسى دي فيلا تعرَّف عليه وعرَّفه على ناجيد القاهرة، يقول: "... وأذكر أنه -أي موسى دي فيلا- منذ اثنين وعشرين عامًا كان في منزلنا في فلورنسا، وأكرمه والدنا صاحب الذاكرة المباركة، خصوصًا في دائرتنا المعروفة باسم بلفروزو Polvereso ولم ينس الكرم والشرف الذي تمتَّع به من جانب والدنا... وتحدَّث عنّي شخصيًّا، وشهد أننا كنا أثرياء، وأنه كان في حوزتنا أكثر من ألف دوكة وامتدَحَنَا طويلًا.."[1].

وفي ضوء ذلك يمكن لنا أن نرجِّح كَوْنَ ميشولام بن مناحم تاجرًا يهوديًّا إيطاليًّا

(1) Meshullam Ben manahem (1930),Itinerary of Rabbi meshullam ben. menahem of 1481 (ed) Adler,in J T, (London),p.172



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ثريًّا؛ وليس رجل دينٍ، وإن كانت الإشارات التي اجتمعت عنه تُفيد نزعته الدينية التي يغلب عليها حلم اليهود العام بتأسيس مملكة يسرائيل من جديد[1]، ومن خلال ما كتبه يتضح لنا أنه لم يرتحل إلى "القدس[2]" وحده؛ بل كان له صاحب يهوديٌّ أيضًا يُدعى روفائيل، وقد تحدَّث عنه في بضعة مواضع[3]؛ وذلك يعني لنا أن ميشولام بن مناحم لم يزُرْ تلك المواقع منفردًا، لكن أراد أن يصحبه أحد رجال الدين اليهود، وهو يشبه في ذلك غيره من الرَّحَّالة اليهود الذين سبقوه برحلات للأراضي المقدسة في فلسطين، منهم بتاحيا الراتسبوني الذي وجد من يرافقه في رحلته[4]، وكذلك صموئيل بن شمشون الذي صحبه في رحلته رجلٌ يُدعى جونثان هاكوهين[5].

## خط سير الرحلة:

حسب ما ورد في رحلة ميشولام بن مناحم؛ فقد خرج من موطنه (إيطاليا) ومرَّ في طريقه بكثير من البلاد التي تناولها بالوصف، وكانت (رودس) أول تلك المحطات في المجيء إلى الشرق، ثم (الإسكندرية)، ومنها إلى (رشيد)، ومن رشيد إلى (القاهرة)، ثم خرج منها عبر الطريق السينائي حتى وصل (غزَّة)، ومنها

(1) Meshullam,ibid,p.208

(2) جدير بالذكر أن ميشولام يهودي مثله مثل باقي اليهود، حين يتحدث عن القدس يقول "أورشليم" ولم يقل القدس، وليس بخاف على أحد الغرض اليهودي من استخدامهم لفظ "أورشليم".

(3) تحدَّث عنه في تتبعه لأخبار الإسكندرية Meshullam,op.cit,p.163 وكذا في تتبُّعه لأخبار القاهرة ibid،p. 167 وعند حديثه عن خروجه من سيناء إلى فلسطين وبعد وصوله إلى القدس ibid ،p.187، 195.

(4) petachia of Retisbon, The Itinerary of Rabbi petachia,1174-1187A.D., .in:J. t., ed. Adler, N., London, 1930,pp.61-90

(5) Samuel Ben Samson(1930), Itinerary of Rabbi Samuel Ben Samson,, 1210 A. D., in: J.T ed. Adler, N., London,,pp. 103-110

إلى (الخليل)، ومن الخليل إلى (القدس)، وبعد اتمامه الزيارة استعد للرحيل فخرج من القدس إل (الرَّملة)، ثم (يافا)، ولأن صاحب القارب كانت له سلع ببيروت قادمة من دمشق؛ فقد ذهب بالمسافرين -ومنهم ميشولام- إلى بيروت، وبعدما ذهبوا إلى بيروت لم يجد صاحب القارب البضائع قد وصلت؛ فاضطر إلى الذهاب إلى (دمشق) ومعه باقي المسافرين أيضًا، ثم عادوا إلى بيروت، ومنها أخذوا طريقهم في البحر المتوسط إلى (قبرص) ثم (رودس) عائدًا إلى موطنه، وكان في كل محطة يتناول كثيرًا من صورها الاجتماعية والاقتصادية، وركَّز على أعداد اليهود في كل بلدٍ مرَّ به في رحلته[1].

وسنقتصر في هذه الدراسة على بيان صورة مدينة غزة وبلدة خليل الرحمن في رحلته، وحتى تكتمل الصورة عمدنا إلى مقارنة ما جاء عنده من أخبار عن مدينة الخليل بما جاء عند غيره من الرَّحَّالة الأوربيين المعاصرين خلال الفترة نفسها، حتى نقف على هذه الفترة من العلاقات بين الغرب والشرق في العصور الوسطى، وبطبيعة الحال رجعنا إلى المصادر الإسلامية كلما استدعى الأمر لتفسير بعض الأحداث والوقوف على حقيقتها.

## الوصول إلى غزة:

خرج ميشولام من القاهرة في صحبة قافلة متوجهة لفلسطين وقطع الطريق السينائي حتى وصلوا إلى مشارف غزة، حينئذ دخلت القافلة التي بها ميشولام الخان أو الفندق بالعريش لأخذ قسطٍ من الراحة، والتزود بما يحتاجونه. وقد ذكر الرابي صاحب الرحلة أن المسافة من مصر إلى غزة نحو 298 ميلًا، وفي واقع الأمر

(1) Meshullam,op.cit,p.208 فقد شرح في نهاية الرحلة المسافات التي قطعها بالميل والمسافة بين كل بلد وأخرى.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

فقد كانت المسافة تمر بالأماكن التالية[1]:

| المحطة | المسافة بالأميال | المحطة | المسافة بالأميال |
|---|---|---|---|
| القاهرة | | | |
| سرياقوس | ١٢ | صبيحة نخلة | ٠٠٠ |
| بئر البيضا | ٢٤(؟) | المطيلب | ٠٠٠ |
| بلبيس | ٣٢ | السوادة | ٠٠٠ |
| السعيدية | ٠٠٠٠ | الواردة | ١٧٣ |
| العباسية | ٤٥ | بئر القاضي | ٠٠٠ |
| الخطارة | ٠٠٠٠ | العريش | ١٩١ |
| قبر الوايلي | ٥٥ | الخروبة | ٢٠٢ |
| الصالحية | ٦٨ | الزعقة | ٢١١ |
| بئر عفري | ٠٠٠ | رفح | ٢٢٠ |
| القصير | ٨٩ | خان يونس | ٢٣٨ |
| حبوة | ٩٩ | السلقة | ٢٤١ |
| الغزالي | ١٠٣ | غزة | ٢٥١ |
| قطيا | ١١٩ | | |

(1) see: PoPper.W,. Egypt and Syria under circassian sultans 1382-1468 A.D. systematic notes to ibn tagri Bardi, s chronicale of Egypt, 2 vols, .Berkeley university of California, press, 1955-1957, vol 1, p.47



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وبعد أن وصل ابن مناحم غزة واطمئن قلبه أنه دخل الأراضي المقدسة في سلام قدم وصاية لمن يريد أن يأتي من حجاج غرب أوربا لبيت المقدس.

### وصايا ميشولام للمسافرين بالطريق السينائي:

ونلاحظ أن النصائح التي قدمها ميشولام لقارئه هي نصائح تخص المسافر في المسافة من مصر إلى بيت المقدس، لكي يتجنب الأخطار على طول المسافة المذكورة (298 ميلًا على حد ذكره) فذكر: أن المنطقة من المطرية إلى غزة كلها صحراء، لذلك وجب على كل مسافر أن يضع على راحلته جوالين، الأول يضع فيه خبزا والآخر يضع فيه التبن والعلف للدابة، وقربة الماء، لأن الماء الصالح للشرب غير موجود تقريبًا. ووصيته الثانية: هي حمل الليمون لتجنب أضرار حشرات الصحراء المعروفة بقملة فرعون، وكانت وصيته الثالثة: هي السير بصحبة قافلة كبيرة تجنبًا لأخطار اللصوص الذين يتكرر ظهورهم في الصحراء. والوصية الرابعة هي أن تسير في بطء لسببين: -الأول: أن في الصحراء غبارًا كثيفًا ورمالًا تغوص الخيول فيها. والثاني: أن الغبار يرتفع ويدخل الفم ويسبب الجفاف في زور الإنسان ويسبب وفاته بسبب العطش، وإذا تصادف أن شرب من الماء المالح فإنه يسبب له متاعب أكثر من ذي قبل. وقدم وصيته الخامسة: لمن لا يعرف اللغة العربية فقال إنه يجب عليه أن يرتدي ملابس مثل ملابس الأتراك حتى لا يعرف أحد أنَّه يهودي أو من الفرنجة، كما يمكِّنه ذلك من عدم دفع كثيرٍ من الضرائب المقررة على الأوربيين، ولكن على المسافر أن يصنع فوق رأسه غطاءً أبيض مثلما يفعل الأتراك والمسلمين[1]، ثم قدم نصيحته السادسة: بالحديث عن خطر البدو الذين يختفون في الرمال التي تغطيهم حتى أعناقهم، مختبئين دون طعام ولا شراب، ويضعون حجرًا أمامهم يحجب رؤيتهم، وهم في هذا الكمين يستطيعون رؤية القادمين الذين

(1) Meshullam,op.cit,p.182



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

لا يرونهم، وعندما يرى هؤلاء قدوم قافلة أقل عددا أو أضعف جندا ينطلقون بعد صيحة على زملائهم ويركبون خيولهم بسرعة النمور، حاملين الحراب الخشبية ذات الرؤوس الحديدية في أيديهم، وهي رماح شديدة الصلابة. كما يحملون أيضا الميس[1] الذي يستخدمه القراصنة لأجل كسر الدروع، وترسًا مصنوعًا من الرقاع والقار، وهؤلاء يمتطون صهوات الجياد عراة إلا من قميص قصير، من دون بنطال أو نعال، أو مهماز، يفاجئون القافلة ويأخذون كل شيء حتى الملابس والخيول، بل أحيانا يقتلونهم، ولذلك من الأفضل للمسافر أن يكون في صحبة قافلة تركية لأنَّهم حملة أقواس ماهرون، ويخشى اللصوص جانبهم لأنَّهم عراة ولا يقدرون على إطلاق السهام. ثم نصيحته السابعة: قدمها لتفادي خطر متجرِّمة البحر، أي القراصنة، الذين يصلون باستخدام مراكب شراعية صغيرة مسلحين، وهم مقاتلون ماهرون يرتدون ملابس الأتراك. والنصيحة الثامنة: قدمها للمسافر عند احتكاكه بمنطقة الجمارك، وذكر عن موظفي الجمارك أنهم إذا فعلت شيئا غير عادي بالنسبة لهم سوف يفهمون على الفور أنك لست تركيًّا أو مسلما، هؤلاء الموظفون عيونهم ساهرة يقظة.

وذكر نصيحته التاسعة: قائلا "... وإذا سألتني عن أسلوبهم وماذا يجب أن تفعل، فإنه من الضروري عندما تصل إلى هذه الأماكن، أولا أن تخلع نعلك وتجلس القرفصاء ولا تحاول أن تقف، وإذا سقطت منك كسرة خبز التقطتها، ولكن لا تأكل هذه الكسرة إلا إذا وضعتها فوق رأسك، وعليك أن تدعو من حولك ليشاركوك الطعام، حتى لو كانوا لا يأكلون معك[2]، لا تخلع أي شيء من ملابسك، وأن تنام في الملابس نفسها، وإذا قدموا لك أي طعام عليك أن تمد يدك وأن تنحني عندما

(1) mace وهو قضيب شائك استخدم لكسر الدروع في العصور الوسطى.

(2) Meshullam,op.cit,p.183



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تأخذه، وأنت تتقدم نحوه لتزود نفسك بالطعام، احترس ألَّا تخلع أي شيء من ملابسك وتضعها إلى جانبك على الأرض. عليك ألا تدخل بيت أحد في نعليك ولا تتحدث مع أحد عدا أن تجلس القرفصاء، ولو أن معك رغيفًا واحدًا من الخبز وكوبًا واحدًا من النبيذ، ويأتي رجل فيأخذهم فيشرب ويأكل، عليك ألا تمنعه من ذلك؛ لأنَّهم حتى لو فعلوا ذلك مع الملوك فلا اعتراض وليس في هذا حرج، وأنه من عادتهم أن يجلسوا في حلقة حول الطعام، وكلهم يأكلون من إناء واحد، السادة والعبيد، كلهم سواء، هم أيديهم إلى الطبق وتخرج حاملة قبضة. جدير بالذكر أنَّهم لا يستخدمون مناديل المائدة ولا سكينا ولا ملحا، ولا يغسلون أيديهم إلا بعد تناول الطعام، إذ يغسلون الذراع حتى الكوع، وهناك البعض من ينظف يده باستخدام التراب الناعم الذي له رائحة الريحان. ومن عاداتهم أيضا ألَّا يقدموا العلف أو الماء للدواب منفردة، بل كل دواب القافلة في وقت واحد، ذلك لأنَّه في شريعتهم خطأ كبير أن ترى الخيول أو صغار واحدة منها تأكل أو تشرب دونها فهذا يؤذيها، وألَّا يستخدم القسوة مع الحيوان. وينبغي ألَّا يتعدى أي شخص حدود الشرع والعادة، وألَّا يعرف أنَّه يهودي أو فرنجي وأنه لذو حظ سيءٍ مَن يقع في هذا..."[1].

وفي نصيحته العاشرة: لفت نظر المسافر إلى أنَّه حتى إذا خلت الرحلة من كل هذه الأخطار، فربما يتعرض المسافر لمفاجآت أخرى من بينها أن تنفق الدابة التي يركبها المسافر، أو يصيبها الهزال عندما يصل إلى بيت المقدس، وذلك بسبب الماء المالح الذي تشربه الدواب، ويسبب الحرارة الشديدة، فضلًا عن أن التراب الذي يدخل أفواههم، والرمال التي يغرقون في بحرها حتى الركبة فتصيبهم الآلام والحاجة إلى الطعام في هذه الرحلة الطويلة، ومِن هُنا على المرء أن يكون حريصًا في أساليبه وأن يستجمع أشكال الحكمة حتى ينقذ نفسه من كل هذه الشرور[2].

(1) Meshullam,op.cit,p.183

(2) ibid,p.184



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ثم قدم النصيحة الأخيرة، وذكر أنَّه على المسافر أن يحمل معه قضيبًا طويلًا مدببًا من الحديد، حتَّى يربط فيه راحلته. ويجب أن يكون القضيب طويلًا لأن الرمال لا تمسكه إلا إذا غرس عميقًا في الأرض، فيكون من الصعب اقتلاعه.

على أية حال، بعد أن قدم ميشولام وصاياه آنفة الذكر – واصل رحلته صحبة القافلة التي ارتحلت عن الفندق أو الخان يوم الأربعاء الحادي والعشرين من يوليو، وواصلت سيرها إلى غزة، وعندما اقتربت من غزة شاهد ميشولام فندقًا يسمَّى الخان، وذكر أن هذا مكان تتوقف فيه القوات أو القوافل، وفي هذا المكان توجد أفنية واسعة وخلفها يستريح الرجال خلف ستائر[1]، وهذا أمر طبيعي فنتيجة لوقوع غزة على الطريق التجاري البري الذي ربط مصر وبلاد الشام، فإن القوافل كانت تتخذها محطة استراحة، وتدل المعلومات الواردة في دفتر غزة على وجود عددٍ من الخانات، تدل أسماؤها على أنواع السلع التي تتعاطها، وكما هو معروف فإن الخان يستخدم للاستراحة ولبيع السلع التجارية الواردة إلى المدينة[2]، لذا فحديث ميشولام عن الفندق أو الخان لا يعني أن غزة كان بها فندق واحد أو خان واحد، بل خانات متعددة، لتوائم كثرة الطلب، العائد لكثرة القوافل التي تواكب ازدهار حركة الحج والتجارة لبلاد الشام آنذاك. وحين وصل ميشولام وجد الأماكن والفنادق ممتلئة بالرجال هنا وهناك؛ لأن القوافل التي وصلت قبلهم توقفت بغزة أيضا، ولم تواصل سيرها لدمشق بسبب اضطرابات بين العربان، لذلك كان يوجد بغزة آنذاك ما يزيد عن سبعة آلاف رجل وعشرة آلاف من الإبل، كانت في طريقها إلى دمشق[3].

(1) Meshullam,op.cit,p.180

(2) على السيد، طريق القوافل القاهرة – دمشق عصر الحروب الصليبية، ندوة طرق التجارة في العالم العربي عبر العصور باتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، 2007م، ص 472.

(3) Meshullam,op.cit,p.180



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

## وصف غزة:

وقد صف ميشولام غزة بأنَّها مكان لطيف ومشهور، وفواكهها مشهورة وطيبة[1]. وهو يتشابه في وصفه مع ما وصفها به برتراندون دي لابروكير الذي زارها في الفترة من 836 – 837هـ/ 1432–1433م، الذي قال عن غزة: "... وهي مدينة لطيفة غير مسورة، تحوطها منطقة جميلة، وتقوم عند البحر على مدخل الصحراء..."[2] وكان ماندیفیل قد قال عنها "... وغزة مدينة جميلة وغنية ومليئة بالسكان..."[3] وهو ما ذكره عنها فابري الذي أدهشته المدينة وقال إنَّها ممتلئة بأشجار النخيل، حتى إنَّها تظهر كما لو كانت في غابة[4]. ووجد ميشولام بغزة كذلك الخبز وأجود النبيذ، وقال إن اليهود هم من يصنعون النبيذ فيها. وجدير بالذكر أن ابن إياس أشار إلى "النبيذ الغزاوي" عند ذكره خبر سفر السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون (764 – 778هـ/ 1362 – 1376م) إلى الحجاز سنة 778هـ/ 1376م، فقال: "... وأشيع أنَّه حمل معه نبيذ غزاوي..."[5] ما يدل على تمتع نبيذ غزة بشهرة واسعة، لأن النبيذ كان يصنع في كثير من بلاد السلطنة المملوكية، ولكن خص السلطان بحمل نبيذ غزة له دلالاته[6].

(1) loc. Cit

(2) Right, Thames, "the travels of Bertrandon de Brocqulere" (in) early travels in Palestine, London, 1969, p.286.

(3) Mandeville, The traveles of sir jgon Mandeville,new yourk,1895,p.33

(4) Fabri, Voyage en Egypte de Felix Fabri, (ed)masson.j, (paris)1975,vol III,p.794

(5) ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد، (ت. 930هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط3، دار الكتب والوثائق القومية؛ (القاهرة)، 2008م، ج1، ق2، ص174.

(6) تسببت الوفرة الإنتاجية من الكروم في انتشار صناعة النبيذ والخمور في دولة المماليك، وهي من الصناعات الواسعة التي لها أهمية في دراسة تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

= في العصر المملوكي (الأدفوي، الطالع السعيد، ص26؛ المقريزي، الخطط، ج1 ص382؛ ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص65؛ ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص578؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين ص239؛ ابن إياس، نزهة الأمم، ص246)؛ وكان يكفي السؤال عن سعر رطل العنب لمعرفة نشاط تعصير وتخمير العنب. (حياة الحجي، أحوال العامة، ص76) وقد أمدنا المؤرخون بطائفة من الأخبار عن انتشار عادة شرب الخمر، الأمر الذي يعد مقياسًا لما ساد المجتمع المصري خاصة في الفسطاط والقاهرة من روح اللهو والميل إلى المجون، ويبدو أن الأمر خرج عن الحد المعقول وأسرف الناس في احتساء الراح في الأعياد والحفلات وغيرها، وغالوا في المجون، فثارت نزعة إصلاحية من وقت لآخر لدى القائمين على أمور البلاد مثل الأمير آل ملك نائب السلطنة عام 744هـ، إذ منع الخمر وأمر بالمناداة لمن أحضر سكرانًا أو أحدًا معه جرة خمر خلع عليه؛ وأخذ كثيرًا من شاربي الخمر وباعته بناحية شبرا الخيمة ومنية السرج، وصب عليهم العذاب، ونادى من اشترى عنبًا بالقنطار قبض عليه. السلوك، ج2 ص646 وكسر الأمير يلبغا السالمي سنة 803هـ ما يزيد على ألف جرة خمر وتفيض روايات أخرى في مقادير الخمر التي أُتلفت ومحال بيعه التي أغلقت، والتي تشير جميعها إلى إقبال متزايدٍ عَلى صناعة الخمور وتناولها وقتئذ. (الخطط، ج3، ص211) إذ يشير المقريزي إلى أنَّه في عيد الشهيد، كان ينفق فيه من الأموال ما لا يحصر في مآكل ومشارب ويتجاهر الناس بشرب الخمر، ويجتمع أرباب الملاهي وأرباب الملاعبات من كل فن ويخرج الناس في تلك الليلة عن الحد في اللهو والفرحة. وكأنما كان الناس ينسحبون على منوال سادتهم؛ فقد خصص الناصر محمد خزانة البنود التي كانت من إنشاء الفاطميين لهذا الأمر وجلب إليها أسرى من الأرمن لعصر الخمر، حتى كانت تنتج هذه الخزانة في العام 32 ألف جرة خمر (الخطط، ج3ص211؛ السلوك ج2، ص646) هذه الأمثلة وأخرى غيرها كثيرة، تدلنا على أن صناعة الخمر كانت منتشرة في المدن الكبرى كالفسطاط والقاهرة والإسكندرية، ولعل وجود التجار الأجانب في الأخيرة ما يعلل انتشار الخمر بها حتى عجز الحاج آل ملك عن محاربة الخمر بها؛ لأن متحصل ضرائبها بالإسكندرية وحدها وصل 40000 دينار ( السلوك، ج2 ص646- 647). وأهم الأنواع المعروفة في عصر المماليك النبيذ من الكروم ويبدو أن استعماله كان مقصورًا بوجه خاص على أفراد الطبقة العليا من المجتمع، وكان الناس يشربون كذلك أنواعًا من الخمر مثل الفقاع والمزر والنيدة، وكان المزر والنيدة يصنعان من القمح أو الشعير، وكانوا يتخذون كذلك السكر من العسل (سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص255؛ إسماعيل عبدالمنعم محمد، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكية زمن

ومما ذكره ابن مناحم عن غزة أن محيطها زهاء أربعة أميال من دون أسوار[1]، وقد شاركه في ذلك فابري ووصفها بأنها لا يطوقها أسوار، ولكن بها كثيرٌ من الأبراج المرتفعة للدفاع عنها ضد الاعتداءات[2]، وعند ميشولام فهي تبعد عن البحر نحو ستة أميال وتقع في وادٍ فوق تل. وعدد سكانها يعادل عدد رمال البحر[3]. وفي ذلك اتفق معه فابري وشاهد فيها كثير من التجار علاوة على كثير من العاملين بدكاكين المأكولات، أضف لذلك أنَّها تضم فئات عديدة من البشر من جنسيات مختلفة، فكثير من العرب والمصريين والشوام والهنود والأثيوبيين تراهم فيها[4].

## اليهود في غزة:

ومما ذكره الرابي اليهودي ابن مناحم أنَّه يوجد بغزة ما بين خمسين إلى ستين أسرة يهودية[5]، وكلهم حرفيون. ولهم معبد صغير وأنيق، وهم أصحاب حدائق

= المماليك البحرية، رسالة ماجستير بآداب عين شمس،1988م، ص69) فالدلائل تشير إلى شغف مجتمع المماليك بشرب الخمر والإسراف في مناسباتهم الخاصة وولائمهم، بل اعتادوا أن يتهادوا بها في أفراحهم؛ ففي حوادث عام 779هـ جاء "... أن الأمير قرطاي تزوج بابنة الأمير أينبك... فلما كان يوم الأحد عشرينه (المحرم) حمل الأمير أينبك تقدمه برسم عرس الأمير قرطاي، وجهزها إليه... ومن جملتها عدة جرار خمر... فقدمت إليه فقبلها، وخلع على محضرها، وجلس للشرب مع أصحابه من الخمر الذي بعث به إليه أينبك...". بل أصبحت الخمور ضرورية من ضروريات المناسبات الخاصة بالأرستقراطية المماليكية، ولجأوا إلى إحضار أكبر كمية منها في أفراحهم إلى فرضها على كبار منتجيها من اليهود والنصارى المقريزي، السلوك، ج3، ص305، ج4، ص121، 201.

(1) Meshullam,op.cit,p.180

(2) Fabri,op.cit,vol III,p.794

(3) Meshullam,op.cit,p.180

(4) Fabri,op.cit,vol III,p.794

(5) لم يذكر عوبديا أي شيء عن عدد اليهود أو الوجود اليهودي بغزة.

Obadiah Jara Da Bertinoro, Itinerary of Obadiah 1487-1490AD, in J.T. (ed) Adler (London) 1930,p. 232.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

كروم وحقول ومساكن. رحبوا به أيما ترحيب. وقد أشار إلى أن اليهود، يعيشون فوق قمة التل. وفي الصدد نفسه، ذكر أن بالمدينة أربع أسر من السامريين يعيشون في جانب من التل[1].

وفي واقع الأمر فإن مسألة وجود اليهود في غزة يكتنفها الغموض[2]، كما هو الحال بالنسبة للمسيحيين، إذ لم يذكر بنيامين التطيلي وجود يهود في غزة وقت السيطرة الصليبية، وأول إشارة تدل على وجود يهود بغزة هي التي ذكرها برتراندون دي لابروكير في رحلته حين قال"... وعندما وصلتها-يقصد غزة-لم أجد فيها أحدًا استطعت التفاهم معه سوى يهودي سامري صقلي أتاني أنقذني من الحمّى الشديدة..."[3]. وبطبيعة الحال فإن وجود يهودي ينفي وجود قطاع سكاني يهودي كامل، وربما كان هذا اليهودي من بين الزوار الذين يرتادون إلى غزة. وإذا صح العدد عند ميشولام الذي شاركه فيه عوبديا أيضًا، فهو لا شك راجع إلى الهجرات اليهودية للأراضي المملوكية بعد سقوط الأندلس الإسلامية، وقيام محاكم التفتيش الكاثوليكية لتتبع المسلمين واليهود. وهناك إحصائية ترجع إلى القرن 16م بينت أن عدد السكان اليهود في غزة سنة 932هـ/ 1525-1526م كانوا

(1) Meshullam,op.cit,p.181.

(2) ) ينظر حول هذا الأمر:

Hutteroth, Dieter Wolf And Abdul Fatah, Kamal; Historical Geography Of Palestine Transjordan And Southern Syria In The Late 16 Century, Erlangen, 1977, Pp. 142-151.

وهذه الدراسة لكمال عبد الفتاح وديتر هوثروث وولف، تبحث في الجغرافيا التاريخية لفلسطين والأردن وسوريا في أواخر القرن 16م، ولكنها تأتي بتمهيد تاريخي يفهم منه ما كان قبل فترة الدراسة.

(3) Bertrandon de Brocqulere,op.cit,, p. 291.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

95 أسرة من الربانيين والقرائين وكذلك 25 أسرة من السامرة[1]؛ وهو ما يشير إلى تسامح السلطات الإسلامية إلى حدٍ بعيد.

ومما جاء عند ميشولام في هذا الجانب قوله إنه شاهد عند قمة الحي اليهودي بيت دليلة Dalelah حيث يعيش شمشون[2]. وإشارته لقصة شمشون ودليلة هي إشارة إلى الصراع القديم بين الفلسطينيين واليهود، وتتحدث هذه القصة الواردة في أسفار العهد القديم، والتي جرت حوادثها في مدينة غزة، عن غرام شمشون اليهودي بدليلة الفلسطينية. والحكاية على النحو الآتي: كانت أم شمشون قبل ولادته عاقرًا، لكن ملاك الرب بشرها بأنَّها ستلد غلامًا، وهذا الغلام سيخلص بني إسرائيل من الفلسطينيين الذين كانوا أسياد المدن في جنوب فلسطين ويقطنون في غزة وأسدود وعسقلان وعقرون وجت. وعندما حملت المرأة اليهودية ثم ولدت ذاك الغلام دعته باسم "شمشون". ونشأ شمشون جبارًا، فكان يحرق زروع الفلسطينيين في عسقلان، ويسلب أمتعتهم، ويقتل بعضهم ويبطش بالآخرين. وقد استقر شمشون في غزة، وهناك تعرف إلى فتاة غزية تدعى "دليلة" ووقع في غرامها، وتزوجها خلافًا لإرادة والديه. أما دليلة فكانت تعد العدة مع قومها الفلسطينيين للانتقام من شمشون "الجبار"، وعلمت بالتدريج أن سر قوة شمشون يكمن في شعر رأسه، فأخبرت قومها بذلك، واحتالت عليه بالنوم على ركبتيها. وعند ذلك هجم قوم دليلة عليه وقصوا شعره وفقأوا عينيه وأوثقوه بالسلاسل، واعتقدوا أنَّهم تخلصوا من بطشه وشره. وفي أثناء إقامته في السجن مكبلًا بالسلاسل راح شعر

(1) جاءت في الدفتر العثماني بالصيغة الآتية: يهود: خانة 95 ومجرد لا شيء. سمرة خانة 25، ومجرد لا شيء. وخانة أي أسرة أما مجرد تعني فرد، وسمرة تعني السامرة، انظر:
Bernard, Lewis, "Notes and Documents from the Turkish Archives" .studies in classical and Ottoman islam, London, 1976, p5

(2) Meshullam,op.cit,p.181



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

رأسه ينمو رويدًا رويدًا. ولم يطل الوقت كثيرًا حتى استرجع شمشون قوته. وبينما الفلسطينيون يحتفلون بالإله داغون (إله القمح) ويمرحون في المعبد وعددهم يربو على ثلاثة آلاف رجل وامرأة، عمد شمشون إلى جذب السلسلتين اللتين توثقان ساعديه، وكانتا مربوطتين إلى عمودين من أعمدة المعبد، وفي تلك اللحظة انهار المعبد على الرؤوس، وقتل كثيرين بينهم شمشون نفسه.[1] ويرى أحد الباحثين أن الدلالة في تلك الأسطورة تكمن في أن فكرة التفوق للعنصر العبراني، ربما تجسدت في هذه الصورة التي تداعتها ذاكرة الرحالة اليهود بمجرد وصولهم غزة[2].

## الوصول لحبرون وبيت لحم:

على أية حال، مكث ميشولام مع القافلة في غزة حتى يوم الاثنين 27 من يوليو 1481م/ 886هـ وفي اليوم نفسه التقوا في غزة مع نائب حبرون، الذي كان في صحبته أكثر من مئتين من الخيول ورجالها، فذهبوا في حمايته[3].

وصل ميشولام ابن مناحم حبرون[4] التي تقع في وسط فلسطين وتبعد نحو

(1) سفر القضاة: 13-16.

(2) علي أحمد السيد، اليهود في شرق المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي، دار عين (القاهرة)، 2009م، ص 55.

(3) Meshullam,op.cit,p.185

(4) حبرون اسم القرية التي بها قبر إبراهيم عليه السلام، وهي قرية ببيت المقدس وغلب على اسمها الخليل، ويقال حبرى، ويروى أن البناء الذي عليه من بناء سليمان ابن داود عليهما السلام (البغدادي: مراصد الاطلاع، 1: 376). وربما يكون اسم حبرون مأخوذًا من لفظ حبير عند العبرانيين التي تعني الصديق الحميم أو الخليل نسبة إلى الخليل إبراهيم عليه السلام، وقد استخدم هذا الاسم وشاع استخدامه على سائر الأسماء بعد القرن 4هـ بين معظم المؤرخين والرحالة، وهو بلد الخليل أو بلاد الخليل التي استقرت التسمية عليها (ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني (ت: 340هـ/ 951م): مختصر كتاب البلدان، ليدن، 1302هـ، ص101؛ ناصر خسرو علوي، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة)، 1993م، ص23- 36؛ العمري: مسالك الأبصار في

35 كم باتجاه الغرب، وتناولها بالوصف، وذكر أن حبرون لا تختلف عن غزة، سوى أنها في وادٍ ليس حولها أسوار، وأشار إلى أنها في وادٍ رحب وخصيب. وقال رحالة آخر عن ذلك الوادي الخصب أن كله عمارة حرث وقرىً ونسل، وكل جبال الأرض المقدسة عمارة بخلاف جبال الحجاز..."[1] وقال أيضًا "... وكل جبل الخليل بوادي حبرون الغالب فيه شجر الزيتون والعنب والزرع والقمح، وكله حجارة، ولكن أرض البركة تعم أهلها بالزرع والفواكه..."[2] وذكر أن بين الخليل وبيت المقدس من ضحوة إلى نصف... وكلها عمارة وقرىً..."[3] وقال "... وبلاد القدس والخليل وجبالها خضراء... وفيها الماء والعيون والعمائر والأشجار..."[4].

كما ذكر أن مدينة الخليل بها ثلاثمئة وستون قرية للحرث والزرع والإطعام، فاقتصاد بلاد الخليل يعتمد أساسًا على الزراعة، وكانت بلاد الخليل مضطرة للاعتماد على مواردها الذاتية للحصول على الغذاء مثل القرى الريفية المجاورة، وذلك من نتاج الأراضي الزراعية القريبة منها، التي أشار إليها ابن الصباح[5]

= ممالك الأبصار: دولة المماليك الأولى، دراسة وتحقيق دوريتا كرافولسكي، بيروت- المركز الإسلامي للبحوث، 1986م، ص211) وانظر المناقشة التي أوردها العبدري في رحلته عن سبب التسمية بحبرون (العبدري، محمد بن محمد بن علي بن أحمد، (ت. بعد سنة 700هـ)، رحلة العبدري، تحقيق، علي إبراهيم كردي، ط2، دار سعد الدين، (دمشق)، 2005م، ص463- 464 ).

(1) أبو عبدالله الصباح (النصف الثاني من ق الثامن الهجري)، رحلته المعروفة بـ: أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، نشر وتحقيق محمد بنشريفة، ط1، دار أبي رقراق، (الرباط)، 2008م، ص181.

(2) ابن الصباح، الرحلة، ص183.

(3) ابن الصباح، الرحلة، ص183.

(4) نفسه، ص183.

(5) لا يتسع المجال هنا لتتبع الحالة الاقتصادية لبلاد الخليل، وقد كفتنا بعض الدراسات مؤنة ذلك منها: علي أحمد السيد: الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية،



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وميشولام على حد سواء.

وفي حقيقة الأمر، فإن التراث الديني يشهد بكثرة الإنتاج الزراعي لبلاد الخليل، فكثيرا ما نقرأ في كتب الرحالة عن حقل دمشق الذي يفيض بخيرات عميمه من الثمار، وكلما أخذ منه امتلأ من جديد، ورغم تغلب الجانب الأسطوري على هذا الاعتقاد فإنَّه يؤكد خصوبة أرض بلاد الخليل. واللافت للنظر أن ذلك الأمر، أي الاعتقاد بالخصوبة في بلاد الخليل، ورد في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي على حدٍ سواء بمباركة الله عز وجل لهذه الأرض، وكانت هذه الفكرة محور كتابات الذين عنوا بالكتابة التاريخية وغير التاريخية لدى أصحاب الديانات[1].

وشاهد ميشولام كهف المكفيلة الذي دُفِن فيه إبراهيم وأبناؤه عليهم السلام ووصفه بأنه في حقل وسط حبرون[2]. والمكفيلة معناها المزدوجة، وذلك بسبب بناء المسجد فوقها، والتي سماها عوبديا مقبرة الآباء[3]، وكلمة الآباء تشير عند

= دار الفكر، (القاهرة)، 1998م ص331 – 340؛ كما أن دورنا هنا هو تناول ما ذكره ابن الصباح وتفسيره كلما كان لذلك داع، وذلك لأن المادة الواردة عند ميشولام عن ذلك مقتضبة.

(1) Johne of wursbwrg,,Description of the holy land 1160-1170 A.D (ed) by Wilson, in:p.p.t.s v 5,London,1890,p p. 32, 59; Fabri, F. Voyage en Egypte de Felix Fabri, (ed) masson.j, (paris) 1975, vol,II,p.226؛ المقدسي: محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت. 380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي (القاهرة)، 1991م، ص173؛ ابن حوقل: ابو القاسم محمد ابن حوقل النصيبي (ت: 367هـ)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، (بيروت)، 1979م، ص159؛ ابن الصباح، الرحلة، ص183.

(2) لمزيد من التفاصيل عن الأقوال الخاصة بدفن الأنبياء في كهف المكفيلة انظر: Lunez La Carerue, Macpelah, en Dictionnair de la Bible, tom vi, paris, 1905, pp. 524-527

(3) Obadiah Jara Da Bertinoro,Itinerary of Obadiah 1487-1490AD, in J.T. (ed) Adler (London) 1930,p. 233..

اليهود والمسيحيين إلى الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب بشكل أساسي على اعتبار أنَّهم يأتون هم وسلالتهم على رأس شعب الله (بني إسرائيل) الذي خيرهم عن باقي شعوب الأرض، ووعدهم بأرض إسرائيل ليقودوا البشرية من خلالها[1].

وذلك يشير إلى ارتباط اليهود منذ القدم بالحرم الإبراهيمي، وسبب تقديس حبرون عند اليهود، هو أنَّها العاصمة الأولى لليهود[2] في عهد شاؤول، كما أنَّها الأرض التي شهدت إقامة عدد من كبار رموز اليهودية المبكرة في نواحيها، فالنبي إبراهيم عاش فيها جزءًا من حياته بعدما قدم من العراق، وكذلك عاش فيها إسحاق ويعقوب من بعده.

وقد ورد في سفر التكوين في العهد القديم، أنَّه في أثناء وجود إبراهيم في حبرون، ماتت زوجته سارة، فطلب من أهل المدينة مكانًا ليدفنها فيه، وبالفعل اشترى منهم مغارة المكفيلة مقابل مبلغ من المال[3].

ومنذ ذلك الوقت، أضحت الخليل مدفنًا لأنبياء العهد القديم ولزوجاتهم، فقد دفن بها بعد ذلك كل من النبي إبراهيم والنبي إسحاق، كما أن يعقوب قُبيل موته في مصر، كان قد أوصى أبناءه بأن يحنطوا جسده وأن يحملوه معهم عند الخروج ليدفنوه بجوار آبائه، وهو الأمر الذي يقر سفر التكوين[4] بحدوثه فعلاً عند دخول

(1) على أحمد السيد، اليهود، ص56.

(2) وذلك يبين أن الخليل ليست أرضًا عادية عند اليهود، بل أرض الآباء المقدسة التي يجب الحفاظ عليها والموت في سبيلها، وهو ما يفسر محاولة إسرائيل فرض سيطرتهم على المدينة بكل وسيلة، ونزع الطابع الإسلامي الذي يميزها، وقد تجلى ذلك في أغسطس 1994م عندما نفذت إسرائيل–المزعومة–إجراءات لتقسيم الحرم الإبراهيمي إلى قسمين، بحيث يصبح الجزء الأكبر لليهود، والجزء الأصغر للمسلمين.

(3) العهد القديم: سفر التكوين، 23: 2. وانظر العهد الجديد: أعمال الرسل، 7: 15– 16.

(4) سفر التكوين، 23: 2، 19، 25: 9، 35: 27– 29، 50: 14.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

العبرانيين لفلسطين زمن يوشع[1]، أضف لذلك أن نبي الله داود حكم الخليل قديمًا نحو سبع سنوات[2]، علاوة على أن الخليل إحدى المدن المقدسة الأربع في فلسطين التي يجب ألا تنقطع فيها الصلاة مع القدس وطبرية وصفد[3]. والأهم

(1) Jacob Ben R Nathaniel Ha Cohen,,the Itinerary of Jacob Ben R Nathaniel Ha Cohen 12 century AD, in J.T. (ed)Adler (London)1930, pp.92-93

(2) صمويل الثاني: 2: 1 – 5.

(3) فالقدس عندهم هي عاصمة المملكة القديمة ومدينة الهيكل المقدس، كما أنها المدينة الأكثر تقديسًا في الديانة اليهودية، وقد ورد ذكرها في عشرات المواضع في العهد القديم، وقد ابتدأ تقديس المدينة في عهد الملك داود، عندما اتخذ منها عاصمة لحكمه بعد فتحها، واستمرت كذلك في زمن ابنه سليمان، كما تزايدت قدسيتها ومكانتها بعدما بُني بها الهيكل المقدس الذي يعرف باسم هيكل سليمان، والذي صار منذ ذلك الوقت رمزَ الدين اليهودي الأقدس. وبعد انقسام المملكة اليهودية أضحت القدس مركزًا لحكم دولة يهوذا حتى سقطت في يد البابليين في عام 587 ق.م، واقتيد أهلها أسرى إلى العراق، فيما عُرف بالسبي البابلي. وبعد رجوع اليهود من بابل، اتخذوا من القدس عاصمة لهم مرة أخرى، وحاولوا إقامة الهيكل المقدس فيها للمرة الثانية، إلا أن ثوراتهم المستمرة أدت لقيام الرومان بتخريب المدينة وإخراجهم منها في عام 70م، ليتشتت اليهود في عدد من المدن القريبة من القدس. والسبب في قداسة طبريا عند اليهود، هو أنه بعد فشل ثورة بركوبا ضد الرومان في الربع الأول من القرن الثاني الميلادي، أجلت القوات الرومانية اليهود عن مدينة القدس، فرحلت جماعات كبيرة منهم إلى مدينة طبريا، وسرعان ما انتقل المجلس الأعلى لليهود المعروف باسم "السنهدرين" إلى طبريا، فأضحت المدينة بمثابة عاصمة الأمة اليهودية الجديدة. إذ ظهر التلمود. والخليل: أرض الآباء المقدسة. أما صفد: فهي مركز الكابالا اليهودية وجدير بالذكر أن صفد نالت مكانة كبيرة بعد طرد اليهود من إسبانيا، إذ هرب عدد كبير منهم إلى المغرب ومصر وفلسطين. وكان الكثير من يهود إسبانيا يعتنقون مذهبًا روحيًا يُعرف بالكابالا، وهو مذهب يعتمد على مجموعة من التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية اليهودية، هؤلاء استقر الكثير منهم في مدينة صفد تحديدًا، إذ كونوا مجتمعًا يهوديًا مغلقًا ومنعزلًا عما يحيط بهم من مؤثرات إسلامية أو مسيحية، ما خلق مناخًا مناسبًا لظهور عدد من العلماء والمفكرين الذين عملوا على تطوير مذهبهم. ويعد إسحاق لوريا المعروف بالأري أو الأسد، أحد هؤلاء الحاخامات. الذي قال عنه الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته عن اليهودية والصهيونية، "إن لوريا الذي ولد في القدس، رحل إلى مصر فقضى



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

من ذلك هو أن الخليل تقع فيما يدعونه بأرض الميعاد التي زعموا أن الله وعدهم بها في أيام إبراهيم، وما بعد ذلك أيضا. وإن كان أحبار اليهود انقسموا في ذلك الأمر إلى فرقتين: الأولى تقول إن النبوات تمت وانقضى زمنها، والفرقة الثانية تقول إن الله سيعطي البلاد لليهود بعد أن ينتصروا[1]. فإن اليهود يغضون الطرف عن آراء أحبارهم في هذا الشأن ويذهبون لفلسطين كلما استطاعوا.

بيد أنه يجب التنبيه على أن ترحال اليهود إلى الخليل -وميشولام أحد هؤلاء اليهود الذين ارتحلوا للخليل -لم يكن يشكل يومًا ما قسمًا من رحلة حجهم، وإنما كان الذهاب إليها من قبيل التبرك بالأنبياء الراقدين فيها والأماكن ذات الذكرى الطيبة لديهم.

وكيفما كان الأمر، فقد روى ميشولام أمرًا مهمًّا آخر عند "كهف المكفيلة"، في الخليل وهو أن المسلمين بنوا "... مسجدًا فوقه حسب عادتهم، وصنعوا سورا فوق الكهف وفي السور شباك صغير إذ يصلي اليهود ويلقون هنا بالنقود والعطور. وهنا أديت الصلاة..."[2]. أمَّا رواية عوبديا جارية عن الأمر نفسه فكانت على النحو التالي: "... في الخليل حيث مقبرة الآباء، يوجد مبنىً عتيق معظمه من كتل حجرية ضخمة، وفوق هذا البناء القديم مبنىً ثانٍ حديث يخص العرب..."[3].

وفِي تفسيره ذلك ذكر د. علي أحمد السيد[4] في دراسته عن الحرم الإبراهيمي أن المادة الواردة عن الحرم الخليلي مقتضبة، ولعلها تتضح من خلال الكتابات

= بها بعض الوقت، ثم رجع إلى صفد في عام 1570م، واتخذ منها مركزًا لتعليم الكابالا، وبمرور الوقت بدأت المدينة تجذب إليها جميع المهتمين بذلك المذهب".

(1) عمر الصالح البرغوثي، خليل طوطح: تاريخ فلسطين، القدس، 1953م، ص 4؛ علي أحمد السيد، الخليل، ص 261.

(2) Meshullam,op.cit,p.185

(3) Obadiah,op.cit,p.233

(4) علي أحمد السيد، الخليل، ص 283- 285؛ اليهود، ص 57.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

المصدرية الأخرى؛ إذ يدعي الرحالة اليهودي الأندلسي بنيامين التطيلي نحو سنة 1173م/ 569ه أن المبنى كان بمثابة معبد لليهود قبل أن يحوله الصليبيون مع أوائل القرن 12 الميلادي إلى كنيسة، ويبدو ادعاؤه من تناقضه مع ما ذكره هو نفسه من أن المسلمين كانوا قد أضافوا مدخلات معمارية مهمة تتمثل في المشاهد الستة، رمزا لدفن الأنبياء الثلاثة مع زوجاتهم أعلى المغارة حفاظًا على قدسية المقابر الحقيقية السفلية[1]، الأمر الذي يؤكد تحول المبنى إلى مسجد في ذلك الوقت. أمَّا الرحالة اليهودي بتاحيا الراتسبوني الذي زار القدس والخليل في أواخر السيطرة الصليبية على الأراضي المقدسة فقال عن الحرم الخليلي: "... إنه قصر عظيم شيد فوق مقابر أسلافنا، وأن إبراهام هو من حرص على بنائه بنفسه..."[2].

وكان الحرم يتألف من الداخل من طابقين؛ الساحة التي تضم شواهد الأنبياء، وتعلوها قباب هرمية الشكل، وهي التي تضم المسجد الذي أشار إليه ميشولام وغيره، وتقع أسفلها المغارة التي تضم القبور الحقيقية[3]. ولعلنَا بذلك نكون بينا الشق الأول من رواية ميشولام فيما يخص المسجد والمغارة.

أما تفسير الشق الآخر من الرواية وهو قوله "... وفي السور-سور مقبرة الآباء- شباك صغير إذ يصلي اليهود ويلقون هنا بالنقود والعطور. وهنا أديت الصلاة..." فمن المفيد أن نضع بجواره نص عوبديا لأنَّه أكثر توضيحا. قال عوبديا: "... ويوجد بالخارج في أحد حوائط المغارة فتحة صغيرة يقال إنِّها استحدثت بعد دفن إبراهيم، وعندها يسمح لليهود بالصلاة بشرط عدم تَخطي أحدهم حوائط تلك المغارة،

(1) التطيلي، بنيامين، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد، ط1، المجمع الثقافي (أبو ظبي)، 2002م، ص 105، 106.

(2) petachia of Retisbon,op.cit,pp.89-90

(3) تفاصيل كثيرة عن مكونات الحرم الداخلية والخارجية عند: علي أحمد السيد، الخليل، ص283- 285.

وشرعت في أداء صلاتي من خلال تلك الفتحة الصغيرة..."[1]، إذن صلاة اليهود كانت عند الفتحة الصغيرة المستحدثة، وليس عند المقابر الرئيسية للأنبياء كما يوحي ميشولام في روايته، وجدير بالذكر أن الفتحة المذكورة استحدثها الصليبيون وقت سيطرتهم على الأراضي الفلسطينية، وفي زيارته للخليل ذكر الفقيه المغربي ابن الحاج في -عصر الناصر محمد بن قلاوون- أن الصليبيين هم من حفروا فتحة في السور وعندما استرد المسلمون البلد أبقوا عليها ولم يغلقوها[2]. ويشير أحد المتخصصين إلى أن البحوث الأثرية كشفت عن وجود فتحة مستديرة في أرضية الساحة، محيطها من أحجار مرمرية كان الزوار يلقون من خلالها قطعا من الأوراق والقماش مكتوب عليها دعوات خاصة وابتهالات متشفعين بالأنبياء الراقدين بالمغارة[3].

**وهكذا تبين المكان الذي خصه ميشولام بأداء صلاته عنده، وحُدد مكانه، كما تبين المكان الحقيقي للقبور والمشاهد سماط الخليل:**

ووضح ما تناوله الرحالة اليهود بخصوص الحرم الإبراهيمي.

ثم عرج بالحديث عن سماط الخليل[4]، وقال إن المسلمين يعظمون قبر الخليل، ويقدمون عنده في كل يوم ثلاثة عشر ألفَ رغيفٍ من الخبز للفقراء تعظيمًا للمكان

(1) Obadiah,op.cit,p.233

(2) ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ت. 737هـ)، المدخل إلى الشرع الشريف، دار الحديث (القاهرة)، 1981م، ج4، ص2.

(3) علي أحمد السيد، اليهود، ص 58.

(4) يعود أصل ذلك السماط أو الضيافة إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ إذ كان إبراهيم إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يأكل معه، لذلك كان يكنى أبا الضيفان، وينقل مجير الدين الحنبلي أن إبراهيم زاده الله في المال والخدم فاتخذ بيتا لضيافته، وجعل له بابين يدخل الغريب من أحدهما ويخرج من الآخر. مجير الدين: الأنس الجليل، 1: 46-51.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ولإبراهيم[1]، يقدمون الخبز في لحم العجول الطري، مثل هذا الذي قدمه إبراهيم إلى الملائكة، وتشريفا لإسحاق[2]، يقدمون لحم الغزال وغيره من الأطعمة الشهية حسب الرغبة، وفي تعظيم ليعقوب يقدم مع الخبز طعام حساء خضروات مثل هذا الذي قدمه إلى عيسى، وهذا يكون يوميًّا دون انقطاع.

ولعلَّ مِن المُناسب أن نتحدث عن ذلك الأمر بمزيدٍ من التفاصيل لأنَّه كان معلمًا من معالم بلد الخليل في كل العصور. تَحدَّث رحالاتنا عن معلم مشهور من معالم الخليل ألَّا وهو سماط خليل الرحمن، وربما تكون رحلة الحاج عبد الله الصباح[3] هي الرحلة الوحيدة التي انفردت بوصف مفصل لسماط

(1) أخطأت الدكتورة منال عمارة في كتابها: اليهود ونيابة القدس، هيئة الكتاب (القاهرة)، 2016م ص 251. حين قالت إن: "... معظم الحقول والبساتين في مدينة الخليل وقف على اليهود، ويتم تقديم الخبز وجميع المأكولات يوميًا للحجاج من ريع تلك الحقول والبساتين...".

(2) p.186

(3) هو: عبدالله الصباح، صاحب رحلة "أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار"، نشر وتحقيق محمد بن شريفة، (الرباط)، 2008م، خرج من بلاد الدجن إلى غرناطة عاصمة بني الأحمر في ذلك الوقت، وآخر حصن للمسلمين في أيبيريا آنذاك، ثم انتقل إلى سبتة وزار مراكش وفاس، وقصد تلمسان ووهران ثم الجزائر وتونس فطرابلس والإسكندرية ووصل إلى القاهرة التي نالت اهتماما كبيرًا في رحلته فوصف بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية في مصر في العقد الأخير من القرن الثامن الهجري، ومنها قصد مكة وأدى الفريضة، وبعدها زار المدينة المنورة ثم توجه إلى الشام قاصدًا بيت المقدس، في خمسة عشر يومًا بلياليها، وقد مر بتبوك والعلا ومدائن صالح وعقبة الصوان ومعان والبلقاء وأريحا والطور ثم بيت المقدس، وربما ذهب أولًا إلى مدينة الخليل ثم بيت المقدس؛ لأن وصفه للخليل وما بها من مزارات وخيرات جاء قبل وصفة لبيت المقدس هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ذكر رحالتنا ما نصه"... سحت في جبال البيت المقدس أربعة أعوام ونعود إليه في كل رمضان نصوم فيه...". وهذا يعني أنه ربما ذهب للخليل عندما جاء للشام من المدينة وظل ينتقل في أجوارها حتى جاء رمضان فذهب للقدس كي يصوم رمضان فيها؛ لذلك جاء

الخليل[1]، ويعد السلطان الظاهر بيبرس، المؤسس الحقيقي لدولة سلاطين المماليك، هو واضع اللبنة المملوكية في الاهتمام بأمر سماط الخليل ففي عام 662هـ/ 1263م؛ أمر بيبرس بترتيب سماط خليل الرحمن وأمر الرواتب للمقيمين والواردين "... وكان قد بطل ذلك من عدة أعوام كثيرة..."[2] وحافظ على ذلك من جاء بعده من سلاطين المماليك وزادوا عليه الأوقاف والرواتب[3] ولعلَّ من المفيد أيضًا أن نترك لأحد الرحالة المسلمين/ المدجنين[4] يشرح لنا ما صوّره بعينيه في هذا

= وصفه لمدينة خليل الرحمن قبل بيت المقدس. وهو في رحلته وضع رسمًا لما يشتمل عليه الحرم الإبراهيمي من قبور وتناول سماط الخليل بالتفصيل، ثم انتقل بعد ذلك إلى بيت المقدس مارًا ببيت لحم، وقد تحدث عن بيت المقدس ومنعته، وأهم خصائصه ومميزاته وخيراته والأسواق والأوقاف ودورها، وتخلل وصفه للمزارات وصف للآخر المخالف في العقيدة، وبعد أن قضى بضع سنين في القدس وأجوارها؛ انتقل إلى دمشق التي منها استكمل رحلته إلى بلاد أخرى، انظر تفاصيل كثيرة عن ذلك عند: مصطفى وجيه مصطفى الخليل وبيت المقدس في القرن 8هـ/ 14م في ضوء رحلة "أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار" للمدَجّن عبد الله بن الصباح، بحث بمجلة تراثيات، (القاهرة) 2017م.

(1) كان المقدسي قد زار الخليل في النصف الثاني من ق 4هـ/ 10م وقال عن مشاهدته في الخليل: "ضيافة دائمة وطباخ وخباز وخدام مرتبون يقدمون الطعام لكل من حضر من الفقراء والأغنياء" أحسن التقاسيم، ص173. وهناك إشارات أخرى لغيره من الرحالة لا تزيد في محتواها عما ذكره المقدسي، أمَّا ابن الصباح فربما هو الوحيد الذي تناول السماط بالتفصيل من إعداد وترتيب واتفاق وكيفية التناول والتموين... وغير ذلك.

(2) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت. 845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط3، دار الكتب والوثائق، (القاهرة)، 2009م، ج1، ص 445، 505.

(3) انظر بعض مظاهر اهتمام سلاطين المماليك بأمر سماط الخليل عند: العليمي: مجير الدين، عبدالرحمن بن محمد (ت 928هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط1، النجف (العراق)، 1966م، 2: 79، 89، 90، 93، 161، 165، 166، 208-209.

(4) والمدَجَّنون مصطلح يعني "الذلة والصغار وقد أطلق على المسلمين الذين بقوا في الأندلس تحت حكم النصارى، وذلك من لدن إخوانهم الذين هاجروا إلى ديار الإسلام،



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الأمر ثم نُفسر ما يحتاج إلى تفسير، قال الحاج المدَجَّن عبد الله الصباح"... وسماط خليل الرحمن مشهور، وعلى هذا السماط اثنا عشر ألف رَغيف تصرف كل يوم على الأغنياء والفقراء والداخل والخارج من أهل البلد وغيرهم ويفرقونها وقت الضحى الأعلى على أهل الرواتب والمراتب والفقهاء والعلماء والقراء وخدام الحرام الشريف، وأهلُ بلدة الخليل يأخذون الراتب من سماط الخليل الكبير والصغير والمرأة والبنت والذكر والأنثى، فكل أهل مدينة الخليل مرتبون في خبز الخليل يأخذونه وقت الضحى الأعلى، والواردون يأخذون في وقت العصر فبعد صلاة العصر يفرق السماط بالعدس والزبيب والسلق في الخضرة، ويأخذ الوارد رغيفين اثنين ساخنين وزلافة (طبق) عدس مطبوخ بالقديد والسلق ويصب عليها الزيت، وبعد صلاة الصبح أيضًا زلافة بدشيش[1] القمح مطبوخ بالإدام، وأيضًا بعد صلاة الظهر من ذلك الدشيش المذكور وسماط الخليل، فيصب ثلاث مرات كل يوم كما ذكرنا، وأهل الراتب والمجاورون يأخذونه وقت الضحى الأعلى كل واحد على قدر راتبه وعليه رجل واحد يعرف الكل، وإن كانوا ألفًا يميزهم، مميزا بيننا بالاسم والعين ولا يشكل عليه منهم أحد ولا يقدر يعاود مرتين إلا ويعرفه، رجل محافظ على الأشياء كلها مأمون عليها يُعطي ولا يغلط بارك الله فيه من رجل..."[2].

= ومن المعروف أن عددًا من الفقهاء أفتوا بوجوب الهجرة من البلدان التي تغلّب عليها النصارى، وقد جمع هذه الفتاوى أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسى (ت: 914هـ) وسماها: أسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر؛ مصطفى وجيه مصطفى: مكة في عيني مدجن أندلسي، بحث بمجلة الأندلس، العدد 3، المجلد الأول، 2016م، ص 117 – 125.

(1) الدشيش: طعام مؤلف من القمح المسلوق يجرش ويدش ويطبخ ويوزع على الفقراء، وكان مكان الدشيشة أو الدشيش بجوار المسجد الجاولي من جهة القبلة وفيها مطبخ إعداد الدشيشة للفقراء والمجاورين. مجير الدين: الأنس الجليل، ج1، ص 62 – 63.

(2) ابن الصباح، الرحلة، ص 182.



للنسخة الورقية زر أو كلم +20100817022 WWW.DARALWEFAQ.NET

ومما ذكره المدجن يتضح أمور عديدة، منها: أن كمية الخبز التي كانت توزع يوميًّا إبان وجوده وصلت 12000 رغيف علاوة على الأطعمة المصاحبة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ذكره أن التوزيع والإطعام شمل كل أهل الخليل والواردين عليها، يتضح أن أهل الذمة كان لهم نصيب من ذلك السماط أيضا؛ كما يتبين التنظيم الذي كان متبعًا في توزيع الوجبات الغذائية، فأهل الخليل يتناولون وجباتهم في وقت معلوم والواردين في وقت معلوم آخر ثلاث مرات يوميًّا من ناحية أخرى.

والجدير بالذكر، أن العمري أورد معلومات عن الكميات التي كانت تستهلك في هذا السماط في أثناء زيارته للخليل في ذي الحجة سنة 745هـ/ 1344م تتشابه مع ما ورد عند ابن الصباح إذ قال: "... أخبرني بعض المباشرين أن بعض ليالي العشر من هذه السنة فرقوا زيادة على ثلاثة عشر ألف رغيف، وأن أغلب أيام العام ما بين السبعة آلاف والعشرة آلاف ويفرق مع الخبز طعام الزيت والسماق، وفي بكرة النهار يطبخ أيضا على قدر من الدشيش وفي بعض أيام الأسبوع يطبخ ما هو أفخر من ذلك..." أمَّا مؤرخ القدس المشهور مجير الدين الحنبلي (ت: 927هـ/ 1521م) فذكر أن السماط في أيامه كان يعمل فيه من الخبز 14000 رغيف وربما تصل 15000 رغيف يوميًا[1] وهو ضعف العدد الذي ذكره العمري. ومن هذه

(1) العمري: دولة المماليك، ص110؛ مجير الدين: الأنس الجليل، 1: 63 هذا، وأشار العمري إلى موظفي ضيافة الخليل بأنَّهم يعملون على خدمة السماط ليل نهار، إذ يغربلون القمح ويطحنونه ويعجنونه ويخبزونه، فضلًا عن إحضار مستلزمات إيقاد الأفران "ولم يزل على هذا مدى الشهور والأعوام والليالي والأيام لا ينقطع له مدد" العمري: دولة المماليك 110؛ ابن شاهين، غرس الدين خليل (ت: 872هـ)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، نشر بولس راويش، باريس، 1893م، ص24. وقدر ميشولام الدخل السنوي للضيافة بخمسة آلاف دينار ذهبي يأتيها من تبرعات المسلمين meshullam, op.cit, p.186؛ كما أقر المستوطن اليهودي أيضا عوبديا جارية بأن المسلمين القائمين على السماط لا يفرقون في تقديم الوجبات بين مسلم وغير مسلم Obodiah, op.cit, p. 233.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

النصوص التي أوردتها المصادر -آنفة الذكر-، والتي تمثل العصر المملوكي كله في أوله، وفترته الوسيطة، وآخره، يتضح عظم ما كانت توليه الدولة المملوكية من رعاية لهذا السماط والعمل على تحسين تمويله المادي والعيني من ناحية، كما تبين أن الاهتمام المملوكي بهذا التحسين في التمويل المادي والعيني لضيافة الخليل ظل حتى أواخر أيام الدولة من ناحية ثانية، وذلك يتماشى مع الاهتمام بالواجهة الدينية التي كانت إحدى وجهي الفلسفة السياسية للدولة من ناحية ثالثة، ومِن ناحية رابعة، تتضح الزيادة المستمرة في أعداد الواردين والمجاورين في القدس آنذاك، وهو الأمر الذي يتوافق مع مكانة القدس والخليل في الوجدان.

بعد أن انتهى ميشولام من الحديث عن ضيافة أو سماط الخليل، تطرق إلى الحديث عن الوجود اليهودي في الخليل زمن رحلته وذكر أن بحبرون نحو عشرين أسرة يهودية، هؤلاء العشرون الأسرة ذكر عوبديا أنَّهم كانوا يعيشون في الخليل كلهم بعضهم مع بعض في دار واحدة، ولم يكن يقيم بينهم أي مسلم[1]. أمَّا مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلي فذكر أن حارة اليهود في الخليل كانت من حارات المدينة المشهورة، وكانت تقع بجوار الحرم الإبراهيمي[2]. وكما هو معروف -وذكرناه- أن هناك مقابر إبراهيم وإسحق ويعقوب، وحرص اليهود على الوجود جميعًا في هذه الدار التي تجاور ذلك المكان، ليس فقط الهدف منه أن يكونوا بجوار أماكنهم المقدسة، إذ لا شك أن الوجود هناك راجع إلى الرغبة في أن يكونوا في استقبال بني جلدتهم وتقديم الخدمات لهم في أثناء زيارتهم لتلك الأماكن.

ومِن هؤلاء اليهود عَرف ميشولام أن المسجد مقابل قبور إبراهيم وسارة، إذ يوجد شمعدان مطعم بالأحجار الكريمة، ومقابل مقابر إسحاق ويعقوب، ورفقة[3]

(1) Obadiah,op.cit,p.234

(2) العليمي، الأنس الجليل، ج2، ص425.

(3) رفقة هي زوجة إسحاق وقد ذكرها ميشولام باسم ربيكا Rebecca؛ رغم أن التوراة استخدمت اسم "رفقة".

(ربيكا Rebecca) وليئه[1] Leah يوجد شمعدان من الفضة مطعّم بالجواهر الكريمة، وفوق قبورهم أغطية مطرزة بالحرير. وقد عرفوا هذا من نسوتهم، لأن معظمهن دخلن إلى المسجد، إذ لم يتعرف عليهن أحد لأنهن يضعن غطاءً أسود فوق وجوههن، ويعتقد حراس الكهف أنهن مسلمات، ومن كلام هؤلاء النسوة سمع أن الكهف يحصل على دخله من الأراضي القريبة من الكهف، ومن حدائق الكروم والزيتون والمساكن التي لا تَحصى، حيث قدمها المسلمون لموتاهم حتى تكفر عنهم ذنوبهم، ويخصص دخلها للناس وهو ما يقدر بأكثر من خمسمئة ألف دوكة من الذهب سنويًا[2]. كانت تلك النقطة آخر ما ذكره ابن مناحم عن غزة والخليل؛ حيث خرج بعد ذلك هو ورفاقه من الخليل يوم الثلاثاء 28 من يوليو، وذهبوا في صحبة اثنين من المماليك لحمايتهم، وذلك بسبب عدم وجود قافلة مجهزة آنذاك للذهاب للقدس. ومِن هنا اضطروا أن يكونوا في صحبة هذين الرجلين، وفي اليوم نفسه وصلوا إلى المدينة المقدسة، في سلام[3].

## الخاتمة

وبعد أن انتهت أخبار مدينتي غزة والخليل في يوميات الرابي ميشولام ابن مناحم التي تضمنت أبعادًا اجتماعية واقتصادية ودينية وسياسية أيضًا.. يمكننا أن نشير إلى أهم النتائج.

(1) على حد علمي فلا أعرف وجود لقبر لية أو ليئة زوج يعقوب في الخليل، فحسب سفر التكوين يوجد قبر أختها راحيل أم يوسف في بيت لحم... أما لية أو ليئة فجاءت مصر مع يعقوب واستقرت بها وهي التي يذكرها القرآن فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وعدت خالته لية أمًّا له لأن أمه راحيل ماتت بفلسطين وهي تلد بنيامين.

(2) Meshullam,op.cit,p.186

(3) Meshullam,op.cit,p.189



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

أولًا: يمكن استنتاج بعض الصفات الخاصة بذلك الرحالة مثل قوة الملاحظة، وسعة الاطلاع، وجودة العرض الجغرافي لكافة مظاهر الحياة التي وجدها بدولة سلاطين المماليك. ونلاحظ أن الرحلتين اللتين قضاهما في الشرق وكونه تاجرًا مشهورًا يجوب البلاد أكسبه ذلك خبرة كبيرة بطبيعة الأرض وسكانها، وعقائدهم، وصلاتهم السياسية، والاجتماعية سواء بالنسبة لليهود أو المسلمين، وانعكس ذلك بالضرورة على رحلته؛ إذ اتسمت بالثراء والتفاصيل المسهبة، ولذلك احتلت مكانتها الجديرة بها بين المؤلفات الجغرافية الأوربية التي وصلت إلينا من ذلك العصر.

أما بالنسبة للمادة الواردة عنده عن فلسطين؛ فيمكن عقد مقارنة بين الرحالة اليهودي ميشولام ابن مناحم وغيره من الرحالة اليهود الذين يمموا شطر الأماكن المقدسة في فلسطين، وفي هذا الشأن نجد الرحالة الآخرين مثل إسحاق ابن تشيلو وعوبديا جارية قد وصل كل منهما إلى مناصب دينية كبرى لدى اليهود، فابن تشيلو كان من كبار علماء الكابلاه اليهود، وعوبديا تولى منصب رئاسة يهود القدس؛ ولكن ميشولام على الرغم من أنه لم يصل إلى أي من هذه المناصب إلا أنه كان واسع المعرفة بالديانة اليهودية والمزارات وتاريخ اليهود وتمتلأ نفسه بما تمتلأ به نفوس اليهود بحلم العودة- المكذوب- وإقامة مملكة يسرائيل، وخضوع العالم كله لسيطرة اليهود.

كما أنه لم يقل عن أقرانه في الحديث عن مقدسات المسلمين على أنها تخص اليهود. وهو الأمر الذي وضع علماء الآثار الصهاينة في الداخل الفلسطيني المحتل في ورطة بعد خيبتهم في التوصل إلى أية أثر أو قطعة صغيرة من الفخار يمكن من خلالها الاستدلال على وجود يهودي في هذه المناطق.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كذلك يلاحظ، أن رحلة إسحاق ابن تشيلو ورحلة عوبديا جارية امتازت المادة الواردة عن فلسطين فيهما بوفرة المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية خاصة لدى الرحالة الثاني، ناهيك عن الطابع الديني بطبيعة الحال، أما رحلة ذلك التاجر "الحاخامي" كانت الإشارات فيها قليلة لأية زاوية من الزوايا آنفة الذكر، باستثناء النواحي الدينية. وهو في هذا الصدد يتشابه مع أحد الرحالة المسلمين وهو السائح الهروي ت1215م الذ ألف كتابًا بعنوان " الإشارات إلى معرفة الزيارات" أورد فيه كافة المناطق التي ساح فيها وزارها، وكانت موضعا لزيارة المعاصرين.

تضمنت يوميات ابن مناحم مادة مهمة عن القبور والأضرحة اليهودية في غزة والخليل، ومن دراستها ومقارنة ما جاء من مادة عنده بما جاء عند غيره من رحالة اليهود يتبين أن اليهود في تلك الفترة كانت لديهم قناعة بزيارة قبور بعينها في فلسطين. ففي يومياته مادة عن الكرامات التي نسبها المعاصرون لكبار الشخصيات الدينية اليهودية التي توفيت وصارت أضرحتها موضعا للزيارة من جانب اليهود. ويجب أن يدرس ذلك الأمر في ضوء حركة التصوف اليهودية فيما يخص العقيدة الشعبية، في الارتباط بالأولياء والصديقين وهي وسيلة لربط اليهود بطقوسهم وتقاليدهم في فترات الشتات اليهودي من أجل إقامة مجتمع يهودي متماسك ومن أجل الاتصال اليهودي في شتى البقاع.

جاءت أوصافه للأماكن المقدسة في الخليل من خلال وصف بالغ الثراء لمدينة خليل الرحمن، ويتضح لنا من خلاله مدى إدراكه لكل موقع في تلك المدينة، وتعلقه الشديد بها، في ظل ما تراكم عنده من موروث يهودي لهذه الأماكن. ومع ذلك فمن الواضح أن ما قدمه في هذا المجال هو إلقاء مزيد من التفاصيل لما سبق أن تردد في التراث الخاص بالرحلة اليهودية إلى فلسطين منذ بنيامين التطيلي وحتى نهاية القرن 15م، وهكذا جاءت رحلة ذلك اليهودي الفولتيري لتثري ما قدمه غيره من الرحالة الأوربيين الذين زاروا فلسطين في العصر المملوكي.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

## المصادر والمراجع

### أولًا – المصادر والمراجع الأجنبية

Bernard، Lewis، "Notes and Documents from the Turkish Archives" studies in classical and Ottoman islam، London، 1976،.

Fabri، Voyage en Egypte de Felix Fabri، (ed)masson.j، (paris)1975، III vols

H: SAVAGE. "pilgrimages and pilgrim shrines in Palestine and Syria after 1095، Pennsylvania،1977

Jacob Ben R Nathaniel Ha Cohen،،the Itinerary of Jacob Ben R Nathaniel Ha Cohen 12 century AD، in J.T. (ed)Adler (London)1930.

Johne of wursbwrg،،Description of the holy land 1160-1170 A.D (ed) by Wilson، in:p.p.t.s v 5،London،1890،

Lunez La Carerue، Macpelah، en Dictionnair de la Bible، tom vi، paris، 1905،.

Mandeville، The traveles of sir jgon Mandeville،new yourk،1895،

Meshullam Ben manahem (1930)،Itinerary of Rabbi meshullam ben menahem of 1481 (ed) Adler،in J T، (London).

Obadiah Jara Da Bertinoro، Itinerary of Obadiah 1487-1490AD، in J.T. (ed) Adler (London) 1930.

petachia of Retisbon، The Itinerary of Rabbi petachia،1174-1187A.D.، in:J. t.، ed. Adler، N.، London، 1930.

PoPper.W،. Egypt and Syria under circassian sultans 1382-1468 A.D. systematic notes to ibn tagri Bardi، s chronicale of Egypt، 2 vols، Berkeley university of California، press، 1955-1957، vol 1.

Thames Right "the travels of Bertrandon de Brocqulere" (in) early travels in Palestine، London، 1969.

Samuel Ben Samson، Itinerary of Rabbi Samuel Ben Samson،، 1210 A. D.، in: J.T ed. Adler، N.، London، 1930.

## ثانيًا- المصادر العربية:


- الكتاب المقدس، طبعة دار الكتاب المقدس (القاهرة)، ٢٠٠٢م.
- الأدفوي: أبو الفضل جعفر بن ثعلب (ت: ٧٤٨هـ)، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة )، ١٩٦٦م.
- ابن إياس: أبو البركات محمد بن أحمد (ت: ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية؛ (القاهرة)، ٢٠٠٨م.
- ـــــــــــــــ: نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي (القاهرة)، ١٩٩٥م.
- البغدادي: مراصد الاطلاع بأسماء الأمكنة والبقاع، د. ت.
- التطيلي، بنيامين: رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد، ط١، المجمع الثقافي (أبو ظبي)، ٢٠٠٢م.
- ابن الحاج: أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ت: ٧٣٧هـ)، المدخل إلى الشرع الشريف، دار الحديث (القاهرة)، ١٩٨١م.
- ابن حوقل: أبو القاسم محمد ابن حوقل النصيبي (ت: ٣٦٧هـ)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، (بيروت)، ١٩٧٩م.
- ابن شاهين: غرس الدين خليل، (ت: ٨٧٢هـ)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، نشر بولس راويش، باريس، ١٨٩٣م.
- ابن ظهيرة (غير معروف بالتحديد)؛ الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، ومحمد كامل المهندس، ط٢، دار الكتب والوثائق، ٢٠٠٩م.
- عبدالله الصباح: (النصف الثاني من ق الثامن الهجري)، رحلته المعروفة بـ: أنساب




للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الأخبار وتذكرة الأخيار، نشر وتحقيق محمد بنشريفة، ط١، دار ابي رقراق (الرباط)، ٢٠٠٨م.

♦ العبدري: محمد بن محمد بن علي بن أحمد، (ت. بعد سنة ٧٠٠هـ)، رحلة العبدري، تحقيق، علي إبراهيم كردي، ط٢، دار سعد الدين، (دمشق)، ٢٠٠٥م.

♦ العليمي: مجير الدين عبدالرحمن بن محمد (ت: ٩٢٨هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط١، النجف (العراق)، ١٩٦٦م.

♦ العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأبصار: دولة المماليك الأولى، دراسة وتحقيق دوريتا كرافولسكي، بيروت-المركز الإسلامي للبحوث، ١٩٨٦م.

♦ ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٣٠٢هـ.

♦ ليون الأفريقي: الحسن بن محمد الوزان، وصف أفرقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٧٩م.

♦ المقدسي: محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت. ٣٨٠هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي (القاهرة)، ١٩٩١م.

♦ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت. ٨٤٥هـ) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط٣، دار الكتب والوثائق، (القاهرة)، ٢٠٠٩م.

♦ ــــــــــــــــ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، (القاهرة)، ١٩٩٦م.

♦ ابن مماتي (ت: ٦٠٦هـ): قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، قصور الثقافة(القاهرة)، ٢٠١٢م.

♦ ناصر خسرو علوي: سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة)، ١٩٩٣م.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

## المراجع العربية:


- إسماعيل عبدالمنعم محمد، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكية زمن المماليك البحرية، رسالة ماجستير بآداب عين شمس، ١٩٨٨م،
- حياة ناصر الحجي: أحوال العامة في حكم المماليك، ط٢، مؤسسة الكويت (الكويت)، ١٩٩٤م.
- سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، (القاهرة)، ١٩٩٢م.
- على السيد علي، طريق القوافل القاهرة – دمشق عصر الحروب الصليبية، ندوة طرق التجارة في العالم العربي عبر العصور باتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- علي أحمد السيد: اليهود في شرق المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي، دار عين (القاهرة)، ٢٠٠٩م.
- علي أحمد السيد: الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية، دار الفكر (القاهرة)، ١٩٩٨م.
- عمر الصالح البرغوثي، خليل طوطح: تاريخ فلسطين، القدس، ١٩٥٣م.
- مصطفى وجيه مصطفى: الخليل وبيت المقدس في القرن ٨هـ/ ١٤م في ضوء رحلة "أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار" للمدَجّن عبد الله بن الصباح، بحث بمجلة تراثيات، (القاهرة) ٢٠١٧م.
- مصطفى وجيه مصطفى: مكة في عيني مدجن أندلسي، بحث بمجلة الأندلس، العدد ٣ المجلد الأول ٢٠١٦م.
- منال عمارة: اليهود ونيابة القدس، هيئة الكتاب (القاهرة)، ٢٠١٦م.


للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

# قطر في كتابات الرحالة الغربيين

## Qatar in the Writings of Western Travelers

د. علي عفيفي علي غازي[1]

Dr. Aly Afify Aly Ghazi

### الملخص

يُبيّن استقراء علاقة الرحالة الغربيين بقطر، أنها تحمل ثلاثة أوجه: رحالة زائر لها وكاتب عنها، وآخر زائر لها من دون أن يكتب عنها، وثالث كاتب عنها ولم يزرها. وفي هذا البحث سوف نستعرض بعضًا منهم، مع تبيان أهميتهم كمصدر لجغرافية قطر وتاريخها وتراثها وثقافتها ومجتمعها.

ليس من هدف هذا البحث تقديم صورة قطر في كل كتابات الرحالة المسلمين أو الغربيين، وإنما يستعرض فقط بعض من الرحالة الذين ربطتهم علاقة بقطر سواء بالزيارة أو الكتابة عنها، باعتبارهم مصدرًا مهمًا من مصادر كتابة تاريخ قطر، وذلك بالتعريف بهم وبرحلتهم وعلاقتهم بقطر.

يُحلل الباحث ما ورد عن قطر في كتابات ثلاث عشرة رحالة من الرحالة الغربيين، هم: بيدرو تكسيرا، جاسبارو بالبي، كارستن

(1) أكاديمي مصري، Egyptian Academician

نيبور، ديفيد سيتون، وليم بالجريف، صموئيل زويمر، جون لوريمر، هيرمان بورخارت، بول هاريسون، وليم ريتشارد وليمسن، بيرترام توماس، ألن فاليرز، وكورنيلا دالنبيرج. وهم ليسوا كل الرحالة الذين زاروا أو كتبوا عن قطر، ولكن الباحث يحاول تسليط الضوء على أبرزهم، بالتعريف بالرحالة وأهميته التاريخية، ثم استعراض رحلته وخط سيرها بصورة مقتضبة، وأخيرًا تحليل باختصار ما ورد عن قطر في رحلته، إذ إن بعضهم تضمن اشارات قصيرة مقتضبة، والبعض الآخر أسهب وتوسع كثيرًا، ومن ثم يحتاج كل رحالة منهم إلى بحث مستقل.

**الكلمات المفتاحية**: قطر، الرحالة الغربيون، الخليج العربي.

## Summary

Examining some of the western travelers ‘accounts about Qatar, it could be classified the travelers 'writings about Qatar into three types .There are some travelers who visited Qatar and recorded their journey ,others just visited without writing about Qatar and those who did not visit Qatar but wrote about it .This article aims to give an overview of some of those travelers ,illustrating their importance as sources to study the history of Qatar ,its geography, cultural heritage and society.

This paper does not strive to present the image of Qatar in the entire writings of Muslim or Western travelers ,but it aims to study some of such travelers ,especially those who have been connecting with Qatar by visiting or writing ,considering them as essential source of Qatar history.

The researcher investigates what has been mentioned about Qatar in the writings of thirteen western travelers :Pedro Teixeira,



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

Gasparo Balbi ,Carsten Niebuhr ,David Seton ,William Palgrave, Samuel Zwemer ,John Lorimer ,Hermann Burckhardt ,Poul Harrison, Willamson Richard William ,Birtram Thomas ,Alan Villiers ,and Cornelia Dalenberg .These are the most highlighted travelers who visited and wrote about Qatar .This study ,in consequence ,would shed light on the accounts of the above-mentioned travelers to discover with the mainstream historical information they recorded about Qatar .Eventually such paper would give a brief survey of those travelers ,outline their journeys to Qatar and analyze ,in brief, their approach in writing about Qatar.

**Keywords** :Qatar ,Western Travelers ,Arabian Gulf.

## المقدمة

تجتذب منطقة الخليج العربي الكثير من الرحالة الغربيين من مختلف المشارب والاتجاهات، من سياح وتجار وجغرافيين وأدباء وشعراء ورسامين وجواسيس ومبعوثين سياسيين، تفاوتت أهدافهم، وتنوعت شخصياتهم، واختلفت مصادر تمويلهم، وقدَّموا كلٌ حسب الهدف الذي أتى من أجله، الكثير من المعلومات؛ حصلوا عليها من تجوالهم، عن شؤون وأوضاع مجتمعاتها، إما في كتب أصدروها، أو بتقارير خاصة رفعوها إلى ممولي رحلاتهم عمّا شاهدوه وسمعوه، صارت رافدًا مهمًا للكتابة التاريخية، فقد سجلوا الكثير من التفاصيل المهمة، كما كانوا شهود عيان على الحياة اليومية لسكان المنطقة، وتركيباتهم السياسية والاجتماعية والقبلية. وتتفاوت القيمة العلمية لما كتبوه، وما قدموه من رحالة إلى آخر، رغم ذلك يبقى ما قدموه مادة أولية لا غنى عنها لأي باحث في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي في غياب الوثائق والسجلات المحلية الخاصة بالمواضيع التي تناولوها، ومن ثم تُصبح المعلومات الواردة بها على جانب كبير

من الفائدة والأهمية، ولكن بعد تحقيقها، وإخضاعها لمنهج النقد التاريخي الظاهري والباطني.

وتدل الآثار التي كشفت عنها بعثات التنقيب الأثرية في شبه جزيرة قطر على أنها كانت عامرة في القرن الرابع قبل الميلاد، وأن طرق التجارة كانت تمر بها في الأزمنة القديمة، إذ قدم اليوناني نيرخس، قائد أسطول الإسكندر الأكبر، وصفًا لما يعتقده أرخبيل قطر في أثناء تجواله في سواحل الخليج عام 326 ق.م، وتظهر قطر في كتابات الرحالة والمستكشفين، حيث ذكرها جغرافيو اليونان في كتبهم، فقد وصفها بطليموس الجغرافي (87-150م)، وعرفها المؤرخ الروماني بلينيوس (23-97م) باسم "كتارا Catarraei"[1]. ويرد اسم قطر لدى الرحالة والجغرافيين العرب، الذين وصفوها بأنها موضع بين البحرين وعُمان[2]. ويَعُدّها ابن خرداذبة في كتابه "المسالك والممالك" كمنزلة بين الإحساء والبحرين[3]. وتُؤكد هذه الكتابات معرفة قطر بهذا الاسم منذ أزمنة سحيقة، كما تُؤكد أنها كانت مأهولة بالسكان الذين يُمارسون صيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ، وهي الحرف التي رافقت القطريين حتى عهد قريب. مما يجعلها محط اهتمام الرحالة على اختلاف جنسياتهم، وتعدد تواريخ قدومهم.

تحاول هذه الورقة، وفق هذه الرؤية، استعراض ما كتبه الرحالة الغربيون عن قطر، من خلال منهج البحث التاريخي التحليلي، لترسم صورة قطر في كتابات هؤلاء

(1) Slot, B. J.: "Images of Qatar c.1300-1772, A cartographic fata morgana", Rewaq History & Heritage Magazine, Issue 0 (June, 2015), p. 13

(2) الحميري، محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في أخبار الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص 465.

(3) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله: **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، 1889م، ص 60، 193.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الرحالة كما رأوها، وتستعرض بعض من زاروها وتبين أهمية كتاباتهم باعتبارها مصدرًا تاريخيًا لجوانبها المتعددة: جغرافيًا، تراثيًا، اجتماعيًا، ثقافيًا، وغيرها.

### ١. بيدرو تكسيرا Pedro Teixeira (ت: ١٦٤١م):

يُعرف القليل عن بيدرو تكسيرا، فهو نفسه لم يكتب شيئًا عن ولادته وحياته المبكرة، ويقف صامتًا عن ذكر أي شيء عنها عدا قوله بأنه في شبابه قد كرّس نفسه لدراسة التاريخ. ولهذا لا نعرف تاريخ ميلاده ووفاته ومكانهما، وإن كان يُرجح البعض أن وفاته كانت في عام 1641م. إلا أنه ينتمي إلى إحدى الأسر اليهودية البرتغالية، التي أقر ديانتها سرًا، إذ لم يجرؤ على التصريح بديانته، ومع أنه ولد لأبوين يهوديين أقاما على الأغلب في لشبونة، لكنّه لم يتعلم أصول العقيدة اليهودية، ومن الممكن أن نستنتج مما رواه أنه كان يتظاهر لبعض الوقت بأنه مسيحي؛ لأن ذلك كان يُلائم ظروف السفر إلى الأقطار الشرقية[1].

يأتي أول ذكر لقطر في كتابات الرحالة الغربيين المعاصرين في كتاب الرحالة المؤرخ البرتغالي بيدرو تكسيرا، وعنوانه "رحلات بيدرو تكسيرا"، الذي ترجمه للإنجليزية وليام سنكلير، ونشرته مؤسسة هاكلايت بلندن عام 1902م. وكان تكسيرا قد قام برحلات خلال الفترة (1580-1605م) جاب خلالها الخليج

(1) تخسيرا، بيدرو : **تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدرو تيخسيرا**، ترجمة عيسى أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، 1996م، ص 103-107؛ غازي، علي عفيفي علي: "قطر والرحالة: بيدرو تكسيرا"، **مجلة الجسرة الثقافية**، العدد 38، (خريف 2015م)، ص 24-27؛ تكسيرا وجونز وجون آشر: **معرفة الشرق في العصر العثماني، الرحلة الأوروبية إلى العراق**،ترجمة جعفر خياط وعبد الوهاب الأمين، المركز الأكاديمي للأبحاث، مونتريال، 2015م، ص 11-30؛ الحمداني، طارق نافع: "الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر"، **مجلة الوثيقة**، العدد 15، (يوليو 1989م)، ص 158-177.

العربي، مُقدمًا وصفًا جغرافيًا وطبيعيًا وسكانيًا له. وقدم وصفًا لسواحل قطر وموانئها، ونعتها ببلاد "صيد اللؤلؤ"، وكان يعتبرها من موانئ الجزيرة العربية. وتبرز أهمية رحلة تكسيرا في وصفه المناطق العمرانية التي مر بها، وتركه أوصافًا عن بعض المدن القطرية، وأسطول الغوص على اللؤلؤ بها، وعن حالتها العمرانية، وأسواقها والمنتجات الرئيسة فيها، وعن تجارتها مع مناطق الخليج الأخرى، وهي معلومات قلما تتوافر بمثل هذه الدقة في المصادر المحلية المعاصرة. ورغم أن المعلومات التي تركها تكسيرا عن الموانئ العربية على ساحل الخليج قليلة، إلا أنه أشار إلى أن أغلبية السكان على الساحل الشرقي للخليج من العرب، وأظهر كيف أن معظم جزر الخليج مأهولة بالعرب الممتعضين من وجود البرتغاليين، ويتحينون الفرصة للثورة ضدهم، بسبب المظالم التي يُنزلونها بهم[1].

### ٢. جسبارو بالبي Gasparo Balbi (١٥٥٠-١٦٢٥م):

يبدأ الجوهري الإيطالي والرحالة البندقي جسبارو بالبي؛ رحلته من حلب في 13 ديسمبر 1579م إلى البصرة، التي يصلها في 21 مارس 1580م، وبعد أن يرحل إلى الهند وسيلان وغيرهما يعود عبر الخليج العربي عام 1587م إلى البصرة مرة أخرى، ومنها إلى حلب عائدًا إلى وطنه. ويُعدّ بالبي من الرحالة الإيطاليين الرواد،

(1) سيرايت، سارا: "رحلة البرتغالي تاكسيرا إلى العراق في القرن السابع عشر"، ترجمة فؤاد قزانجي، في كتاب: **رحالة أوروبيون في العراق**، دار الوراق للنشر المحدود، لندن، 2007م، ص 33-40؛ تينخسيرا، بيدرو: "تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدرو تينخسيرا (2)"، ترجمة عيسى أمين، **مجلة الوثيقة**، العدد 33، السنة 17، (يناير 1998م)، ص 137-142؛ تكسيرا: "مشاهدات تكسيرا في العراق سنة 1604"، ترجمة جعفر الخياط، **مجلة الاقلام**، العدد الرابع ، السنة الأولى، (أبريل 1964م)، ص 135-149؛ سيرايت، سارا: "رحلة البرتغالي تاكسيرا إلى العراق في القرن السابع عشر"، ترجمة فؤاد قزانجي، **مجلة المورد**، المجلد 18، العدد الرابع، (شتاء 1989م)، ص 246-248؛ Teixeira, Pedro: The Travels of Perdo Teixeira, Translation by William F. Sinclair, The Hakluyt Society, London, 1902, pp. 176, 177



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

الذين دونوا رحلاتهم وأسفارهم في الشرق، ورحلته تُعدّ واحدة من أهم الرحلات، وفقًا لما أورده بطرس حداد في تعريبه لها، اذ يقول: "تُعدّ هذه الرحلة من أهم الرحلات لما فيها من معلومات تاريخية وجغرافية... أولًا، ولقدمها ثانيًا"[1].

يصف بالبي في كتابه بالتفصيل أسلوب العرب في الملاحة، والغوص على اللؤلؤ، ويُقدم معلومات ذات أهمية عن منطقة مغاصات اللؤلؤ بين قطر ورأس الخيمة. وفي كتابه قائمة بأسماء أماكن الغوص، وتتضمن الأماكن من قطر إلى مسقط. وتُعتبر هذه القائمة، والتي سُميت "دليل البحارة"، وثيقة مهمة في تاريخ قطر، إذ تُوجد بها أسماء أماكن معروفة حتى اليوم، مثل بعض الجزر في قطر، والقائمة عبارة عن أسماء عربية نُقلت إلى الحروف اللاتينية مع كثير من الأخطاء عند النقل، باستخدام الأصوات ومخارج الحروف البندقية والبرتغالية، وقد أوردت القائمة القطيف والأحساء. ثم يُعدد بالبي جزر بحر قطر Barechator فيذكر منها حالول Alul وشرعوه Saran ودينيه Dsive، ويذكر بعدئذ جزر داس Dass، وجزيرة قرنين Emegorcenon، وأرزنةi Arzev، وزركوه ودلما Delmephillamas، وهذه الأخيرة يقرأها الدكتور الهولندي " سلوت" دلما فيها ماء، ولعل بالبي عندما سأل عن اسم الجزيرة أجابه مرافقوه بأن دلما فيها الماء، فاعتقد أن الجملة كلها تعني اسمًا. ويستطرد بالبي فيذكر صير بني ياس Sirbeniast، من بحر قطر، ثم جزيرة دانة Aldane التي ينتهي عندها بحر قطر؛ ليبدأ بعدها بحر Festebruatich، والتي ترجمها سلوت إلى الإنجليزية بأنها "قاع بحر المرجان والحجر الرملي". ويرى بالبي أن لآلئ هذا البحر الأخير لا ترقى في استدارتها وتوهج بريقها إلى لؤلؤ بحر قطر. ولعل إطلاق اسم بحر قطر على هذه المنطقة المترامية الأطراف من الخليج، إشارة

(1) بالبي، كاسبارو: **رحلة الإيطالي كاسباروا بالبي إلى حلب– دير الزور– عنه– الفلوجة– بغداد سنة 1579م**، ترجمة بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008، ص 5–14؛ غازي، علي عفيفي علي: "رحالة زارو الإمارات جاسبارو بالبي"، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد 49، (أكتوبر 2016م)، ص 28–31.

لما كان يتمتع به إقليم قطر التاريخية من سمعة تجارية في مجال صيد اللؤلؤ، وغيره من السماد الذي يُجمع من جزر قطر. وأخيرًا تتضمن خرائط هذا الرحالة البندقي أسماء أماكن لا تظهر في الخرائط الحديثة[1].

### ٣. كارستن نيبور Carsten Niebuhr (١٧٣٣ - ١٨٥٠م):

يُقرر في عام 1760م فريدريك الخامس، ملك الدنمارك (1746-1766م)، بناء على اقتراح من يوهان ديفيد ميخائيلس أستاذ اللاهوت المسيحي، وفقه اللغة العبرية بجامعة جوتنجن، إرسال بعثة علمية مشتركة إلى بلدان الشرق الأدنى، وجنوب الجزيرة العربية، وخاصة العربية السعيدة Arabia Felix؛ لتقصي الأخبار والمعلومات العلمية عنها، وسد النقص في المعارف عن جغرافيتها وأحوالها. ويركب في صباح يوم 4 يناير 1761م الباخرة الدنمركية "جرينلند Greenland" خمسة علماء متخصصون بمختلف فروع المعرفة، مع خادمهم الدنمركي، مُتجهين نحو عالم ملئ بالمجاهيل والمخاطر، هم: البروفيسور فون هافن (دنمركي) أستاذ فقه اللغات القديمة والدراسات الشرقية، والدكتور كارل كرامر (دنمركي) المتخصص في العلوم الطبيعية، والمهندس كارستن نيبور (ألماني) المناط به مسؤولية الدراسات الجغرافية والفلكية والرياضيات، والهر جورج بورينفند (ألماني) الرسام الذي أنيطت به مهمة الرسوم الفنية، والبروفيسور بيتر فورسكال (سويدي) طبيبًا للبعثة ومتخصصًا في علم النبات[2].

(1) سلوت، ب. ج.: **عرب الخليج 1602-1784م**، ترجمة عايدة خوري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1993م، ص 49-52؛ Balbi, Gasparo: Viaggio Dell'indie Orientali, Appereffo Cainillo Borgoinimeri, Venetia, 1590, pp. 49, 50

(2) هانسن، توركيل: **من كوبنهاجن إلى صنعاء**، ترجمة محمد أحمد الرعدي، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، 2001م، ص 415-438؛ نيبور، كارستن: **رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر**، ترجمة محمود حسين الأمين، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، 1965م، ص 5-22.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يصل كارستن نيبور (1733 – 1850م) إلى الهند، وقد مات كل أفراد البعثة، ليقع على عاتقه مهام البعثة وواجباتها. وبعد أن يمكث بالهند أربعة عشر شهرًا، يُقرر أن يعود إلى بلاده، فيمر بمسقط، ثم يُبحر في الخليج العربي إلى البصرة، في أوائل شهر يونيو. وتنقطع أخبار نيبور منذ وصوله البصرة، حيث يرتدي الملابس العربية، ويُسمى نفسه عبد الله، ويعيش ستة أشهر مثل البدو العرب. إلى أن يصل حلب في 6 يونيو 1766م، ويذهب مع قافلة تجارية إلى إنطاكية، ومنها إلى ميناء الإسكندرونة على البحر المتوسط، حيث يبدأ رحلة العودة إلى أوروبا في أوائل يونيو 1767م. ويصل أخيرًا كوبنهاجن في 20 نوفمبر 1767م. بعد أن غاب عنها ما يقرب من سبع سنين[1].

يتضح من سرد نيبور لرحلته أنه لم يزر قطر، إلا أنه يُقدم وصفًا دقيقًا للعرب، الذين يسكنون السواحل والجزر. ويحدثنا نيبور عن قطر، فيذكر أنها مرفأ قبالة جزيرة البحرين، ويكتسب كتابه أهميته من أنه أول مصدر أوروبي يُشير إلى قبيلة المسلم باعتبارها من قبائل قطر، ويُرجح أنهم يقعون تحت نفوذ بني خالد. ويذكر أن أهل قطر يدفعون نحو ثلاثة آلاف روبية سنويًا لشيخ بوشهر؛ ليُتيح لهم حرية الغوص في مياه البحرين. كما بينت خريطته أماكن في قطر مثل حويلة Huale وفريحة faraha واليوسفية Yusufie. ولو أنه تمكن من زيارة شبه الجزيرة القطرية لزودنا بخريطة طبيعية لها، فقد كان مساحًا بارعًا يُجيد استخدام أدوات الرسم والقياس، ولترك لنا وصفًا لظروفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[2].

(1) نيبور، كارستن: "بغداد في رحلة نيبور"، ترجمة مصطفى جواد، في كتاب: **بغداد بأقلام رحالة**، دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، 2007م، ص 11–66؛ نيبور، كارستن: **مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة 1765م**، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة، بغداد، 1955م، ص 4، 5.

(2) نيبور، كارستن: **رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها**، جزآن، ترجمة عبير المنذر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2007م، ج 2، ص 86–90؛ أبو حاكمة،



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

### ٤. ديفيد سيتون David Seton(ت: ١٨٠٩م):

يقوم ديفيد سيتون، وكيل شركة الهند الشرقية البريطانية The East India company في مسقط، (1800-1809م) بجولات في الخليج العربي تبدأ في الأول من نوفمبر 1801م، إذ يركب مع السيد سلطان بن أحمد البوسعيدي، سلطان مسقط (1792-1804)، سفينة السلطان "جنجافة" في رحلته من مسقط إلى جزيرة البحرين. ويطوّف بسواحل الخليج، ويُدون مشاهداته، ويزور ساحل قطر. يذكر سيتون أن شيوخ العتوب كانوا في المحرق، لكنهم بعد مناوشات مع سلطان مسقط استسلموا وهاجروا إلى الزبارة على ساحل قطر، ويذكر أنهم مهاجرون من الكويت، جذبتهم التجارة إلى قطر، ثم يدفعهم الوهابيون لترك قطر والهجرة إلى البحرين، ثم ينتقلوا منها إلى الحويلة[1].

يرسو سيتون في 30 نوفمبر 1801م تحت حصن الحويلة، ويذكر أنه الموقع الرئيس لمنطقة بر قطر، ويرجع إطلاق هذا الاسم عليه إلى انتشار الرمال الضحلة فيه، ويُحدد موقعه على بعد حوالي 30 ميلًا شرق الزبارة، ويصفه بأنه "حصن ضخم له ميناء جيد وفيه مياه عذبة، ويسكنه حوالي 700 رجل من المقاتلين، وكانوا يشتغلون في نهب العتوب عندما كانوا في البحرين، وهي ملجأ جميع قراصنة الخليج". وينتقل سيتون في 2 ديسمبر إلى البدع، ويقول إنها "خليج كبير مفتوح

---

= أحمد مصطفى: "الرحالة الدنمركي نيبور يؤكد أن الخليج عربي"، **مجلة العربي**، العدد 13، (ديسمبر 1959م)، ص 128-133؛ نيبور، كارستن: **وصف أقاليم شبه الجزيرة العربية**، ترجمة مازن صلاح، دار الانتشار العربي، بيروت، 2013م، ص 300، 301؛ Niebuhr C..: Description de l'arabie, chez brunet libraire rue des ectivains, Paris 1779, pp. 294, 295

(1) غازي، علي عفيفي علي: "رحالة زارو الإمارات ديفيد سيتون"، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد 50، (نوفمبر 2016م)، ص 32-34.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

مليئ بالجروف المرجانية...، والمكان الوحيد للنزول المباشر إلى الشاطئ يقع عند مدخل الوادي". وكان حاكمها من قبيلة السودان، في حرب مع سلطان بن أحمد البوسعيدي، سلطان مسقط، ويُفكر السلطان في إرسال رجل إلى الشاطئ للتفاوض مع القبيلة، ولكن سيتون ينجح في إقناعه بعدم جدوى التفاوض. وفي اليوم التالي يُطلق السودان عليهم طلقات من مدفع كبير تسقط بالقرب من السفينة التي يستقلها. ويذكر أن الإمام والسفن الانجليزية، ومعهم الشيخ رحمة المعيني شيخ نخيلوه حاولوا إنزال الجنود الى ساحل الوكرة، لكن السيد تايلور، قائد السفينة البريطانية، وجد أن عُمق المياه ضحل، فأقنع السلطان بعدم إمكانية القيام بأي شيء، فانسحب الإمام عائدًا إلى مسقط. ويُطلق سيتون على المنطقة من القطيف إلى رأس عشيرج مسمى "قطر"، ويذكر أنها قاحلة، ولولا توافر مغاصات اللؤلؤ، التي تمتد بطول الساحل ما سكنها أحد، ويصل سيتون في 5 ديسمبر جزيرة حالول، ويقول إنها جزيرة كبيرة، مأهولة، ويُقال إن فيها مناجم كبريت، وأخيرًا تنتهي الرحلة بالعودة الى ميناء مسقط[1]. William

### ٥. وليم بالجريف William Palgrave (١٨٢٦-١٨٨٨م):

يقوم الرحالة البريطاني وليم جيفورد بالجريف، برحلته برعاية الجمعية اليسوعية، ومخصصات نقدية من نابليون الثالث، إمبراطور فرنسا (1848-1851م)، الذي قدم له مبلغ ستة آلاف فرنك. ويقول إن هدفه هو "الاستكشاف والملاحظة". ويُضيف إن "هدفي الرئيسي...، هو إعطاء فكرة صحيحة، إلى حد بعيد، عن العرق العربي، وعن حالته الفكرية والسياسية، والاجتماعية والدينية؛ على النحو الذي رأيته". ثم يعترف أن اهتمامه كان "مُنصبًّا على الأحوال الأخلاقية،

(1) سيتون، ديفيد: **يوميات ديفيد سيتون في الخليج** 1800-1809م، تحقيق سلطان بن محمد القاسمي، منشورات القاسمي، الشارقة، 2011م، ص 37-45.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

والظروف الفكرية والسياسية لسكان هذه البلاد، ذات الأهمية الكبيرة"، وكان له غرض آخر، وهو نشر دين المسيح، وكان يعتقد أن العرب مُستعدون لتقبل ذلك الدين. لكن الروايات تختلف بعد ذلك وتُراوح بين أنه استطاع أن يُبشر سرًا في بعض الأحيان، وبين أنه تأثر بالإسلام، وربما اعتنق الدين الحنيف. ورغم انتقاده الرحالة البريطانيين، الذين تلبسوا الشخصية العربية في ترحالهم واعتنقوا الإسلام، لكن ثمّة اعتقاد بأنه سافر كمسلم. ولقد كان بالجريف كاتبًا ومبشرًا ودبلوماسيًا وربما جاسوسًا[1].

يبدأ بالجريف رحلته من شمال غرب الجزيرة العربية، تحديدًا من مدينة "معان" عام 1862م، واستأجر سوريًا أرثوذكسيًا أسماه "بركات"، وأطلق على نفسه اسم "سليم أبو محمود العيس"، ويرتديان الزي العربي، ويتبعان التقاليد العربية، ويتنكران في زي طبيب عربي ومساعده، وينطلقان إلى مدينة الجوف، ثم حائل وبريدة، ثم الرياض، التي قضى بالجريف بها قرابة خمسين يومًا، ثم ينتقل بعدها إلى الأحساء، ليصل الخليج العربي بصفته أول أوروبي يعبر شبه الجزيرة من غربها إلى شرقها، وينتقل إلى البحرين ثم قطر ويزور البدع والدوحة، ويُغادر إلى بر فارس، حيث يصف صخور حالول، وينزل في جارك، ثم يُبحر إلى لنجة، ومنها إلى ساحل عُمان المتصالح (الإمارات العربية المتحدة حاليًا)، ثم صحار، وساحل الجبل، ورؤس الجبال، وشعم، ويصل إلى رأس مسندم، ويزور هرمز، والظاهرة، والجبل الأخضر ثم مسقط. ويُغادرها إلى بندر عباس، وبو شهر ثم البصرة، ومنها إلى بغداد، ثم يعود إلى سوريا لينطلق منها في النهاية إلى بريطانيا. وتستمر رحلة

(1) إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: "بالجريف في ألف ليلة وليلتين"، مجلة ليوا، **العدد السادس**، (يونيو 2004م)، ص 84-105؛ فكري، محمد همام: "رحلة في وسط الجزيرة وشرقها لوليم جيفورد بلغريف"، مجلة **آفاق الثقافة والتراث**، العدد الأول، (ربيع الثاني 1416هـ/ سبتمبر 1995م)، ص 99-105.

هذا المغامر ما بين سنتي (1862-1863م)، ليكتب كتابًا في مجلدين إجمالي صفحاتهما تقريبًا حوالي ألف ومائتي صفحة من القطع الكبير، يحمل عنوان "رحلة في أواسط وشرقي الجزيرة العربية"، وقد طُبعا ونُشرا بلندن عام 1865م، ثم أعيد طبعهما عام 1969م. وتوفي في 30 سبتمبر 1888م ملحقًا في سفارة بريطانيا في الأوروجواي بأمريكا الجنوبية[1].

يورد بالجريف تجربته في قطر في الفصل الرابع عشر من كتابه، بعد أن وصلها عبر رحلته من وسط الجزيرة العربية إلى شرقها، وقد ذكر أنه أقام فترة في البدع، ووصفها بأنها عاصمة متواضعة لإمارة بسيطة، كما أبدى ملاحظات حول القلاع التي أحاطت بالثغور، وأفاد بأنها بُنيت لحماية الثروة التي تُجنى من الغوص على اللؤلؤ. ويذكر أن بمدينة البدع مسجدين، أحدهما بسيط دون زخارف، حسب توصيفه "يُمثل الذوق الوهابي"، أي السلفي. ويذكر أنه في يناير 1863م التقى بالشيخ محمد بن ثاني، حاكم البدع، الذي يعترف به الجميع رئيسًا للمنطقة كلها، ويصفه بأنه "داهية عجوز ...، يشتهر بالحكمة وبساطة السلوك، الذي يدل على خفة ظله، وإن كان عنيدًا عند المساومة، وهو رجل عملي في المقام الأول، استطاع عن طريق الدراسة أن يحوز معرفة أدبية وشعرية، وقدرًا من المعرفة بالطب. كما أنه رجل متدين جدًا يؤم الناس في الصلاة في المسجد الكبير في معظم الأحوال". ويزور بلجريف كذلك ولده وولي عهده قاسم، ويصفه بأنه "شخصية مندفعة أكثر من والده، وأن قصره يشبه القلعة". وانتقل بعد ذلك إلى الدوحة، التي وصفها بأنها "قرية شمال مدينة البدع، وتقع في نصف حجمها، ورئيسها ليس إلا جابيًا لحساب

(1) بالجريف، وليم جيفورد: **وسط الجزيرة العربية وشرقها**، جزآن، ترجمة صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001م، ج2، ص 229-296؛ بالجريف، وليم جيفورد: "رحلة شاهد عيان للجزيرة العربية والبحرين منذ أكثر من 100 عام"، **مجلة الوثيقة**، العدد 9، (يوليو 1986م)، ص 140-144.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

محمد بن ثاني". ويقدم بالجريف وصفًا للمدن القطرية، البدع والوكرة، ونشاط السكان والأسواق، وغيرها من ممارسات الحياة اليومية[1].

### ٦. صموئيل زويمر Samuel Zwemer (١٨٦٧-١٩٥٢م):

يبدأ الباحث والرحالة والمبشر الأمريكي من أصل هولندي صموئيل زويمر، أحد مؤسسي الإرسالية الأمريكية في البلاد العربية، نشاطه التبشيري كمبشر بروتستانتي في البصرة، وفي عام 1891م يقوم بأول رحلة تبشيرية إلى منطقة الخليج العربي، وكانت إلى جدة، وفي العام التالي يُسافر إلى الإحساء، ثم ينتقل مع زوجته إيمي إلى البحرين، ويظل بها حتى عام 1905م، رئيسًا للبعثة التبشيرية، ويتخذ منها محطةً للتبشير، ولا يمر حديث عن التبشير في الخليج العربي من دون ذكره، ويرى فيه المبشرون الأب الروحي والقدوة لحركات التبشير في العالم الإسلامي، حتى يُلقب بـ "أمير المبشرين"، وبـ"رسول التبشير" لمجهوده الكبير فى العالمين الإسلامي والعربي[2].

---

(1) Palgrave, William Gifford: "Notes of a Journey from Gaza, Through the Interior of Arabia, to El Khatif on the Persian Gulf, and Thence to Omàn, in 1862-63", **The Royal Geographical Society of London** Vol. 8, No. 3, (1863-1864), pp. 63-83; Palgrave, William Gifford: **Central and Eastern Arabia (1862-1863)**, MacMillan and co., London 1866, pp. 198-253

(2) البسام خالد (إعداد وترجمة): **صدمة الاحتكاك، حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية 1892-1925**، دار الساقي، بيروت 1998م، ص 6، 71-74، 171-185؛ البسام، خالد (إعداد وترجمة): **القوافل، رحلات الإرسالية الأمريكية في مدن الخليج والجزيرة العربية 1901-1926**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، المنامة، 1993م، ص 5-13، 42-48، 96-100، 102-106؛ زويمر، صموئيل: **رحلات متعرجة في بلاد الإبل**، ترجمة وتعليق أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2012م، ص 101-115.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

يقوم زويمر في عام 1900م بأول زيارة رسمية استطلاعية لساحل عُمان المتصالح، ووصل إلى البريمي قادمًا من أبو ظبي، ثم انتقل إلى الباطنة في عُمان، كما زار مسقط. إضافة إلى ذلك قام زويمر بعدّة رحلات دوّنها بنفسه منها رحلاته إلى الهفوف 1904م، وإلى جدة 1917م، وتختلف الروايات وتتضارب، وتتراوح بين أنه استطاع أن يُبشر سرًّا، كغيره من المبشرين الذين أتوا الجزيرة بصفة أطباء. ويزور زويمر قطر برفقة كورنيلا دانبيرج، أو شريفة الأمريكانية، والدكتور ستورم، ويلتقي بالشيخ عبد الله بن قاسم، أمير قطر (1913-1948م)، في قصر الريان، وكان الهدف هو الطب، حيث رغب الشيخ عبد الله في تأسيس مستشفى في قطر، وبالفعل وضع حجر أساس مستشفى الرميلة[1].

### ٧. جون لوريمر John Lorimer (١٨٧٠-١٩١٤م):

تزداد الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية للخليج العربي، منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بسبب اشتداد التنافس الأوروبي، مما أدى إلى تزايد الاهتمام البريطاني بالمنطقة، وبالتالي ظهرت الحاجة لمسح شامل لها، إذ رأى اللورد كيرزون Lord Curzon، نائب ملك بريطانيا في الهند (1899-1904م)، بعد جولة له في الخليج أواخر سنة 1903م، ضرورة إعداد دليل جغرافي تاريخي؛ ليكون مرجعًا في متناول المسؤولين السياسيين البريطانيين في حكومة الهند. وفي

(1) Zwemer S. M.: Arabia: The Cradle of Islam, Fleming H. Revell Company, New York, 1900, PP. 110-118; Zwemer, Samuel M.: "Three Journeys in Northern Oman", The Geographical Journal, Vol. XIX, No. 1 (1902), pp. 54-64; "Annual Keport of the Arabian Mission 1948," **Arabia Calling (formerly Neglected Arabia)**, Annual Report NO. 216, (spring, 1949). pp. 5-15; Zwemer S. M.: "Oman and Eastern Arabia **Bulletin of the American Geographical Society** , Vol. 39, No. 10 ," (1907), pp. 597-606



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

شتاء (1904-1905م) يُشكّل لوريمر، بتكليف منه فريقًا من الباحثين السياسيين والعسكريين والجغرافيين، يرافقونه في جولة إلى سواحل الخليج لجمع المعلومات عن مناطق الخليج وأواسط الجزيرة العربية، وليُسجلوا ويجمعوا ما أمكنهم[1].

يكتب جون جوردن لوريمر، دليل الخليج مُعتمدًا على مصادر عدة أبرزها الدراسة الميدانية المباشرة، والمعاينات اليومية النابضة، التي كان يقوم بها بنفسه، أو يقوم بها بعض موظفي وممثلي الإنجليز، واعتمد على الوثائق الرسمية البريطانية المتمثلة بمستندات وزارة الخارجية البريطانية، كما وضعت حكومة الهند البريطانية تحت تصرفه كل سجلاتها ومعلوماتها ووثائقها، وتقارير السفارات والبعثات السياسية والعسكرية والتجارية، ومجموعة المعاهدات والاتفاقيات والمستندات. فضلًا عن كتابات الرحالة الأوروبيين حول المنطقة، كما استفاد من رحلات واستطلاعات كثيرة سبقته قام بها ضباط بريطانيون، فضلًا عن بعض المصادر العربية التي تُرجمت إلى الإنجليزية في عصره، مثل كتاب "كشف الغمة"، الذي ترجمه الوكيل السياسي في الخليج، وكتاب "الفتح المبين لسيرة السادة البو سعيدين". بعد أن ترجمه المستشرق بادجر. وقد استطاع لوريمر أن يستفيد من ذلك في وضع معلوماته وبياناته، وتدقيقها وتصنيفها على النحو الذي صدر به هذا السفر الضخم (1908-1915م)[2].

تقوم حكومة دولة قطر ممثلة في قسم الترجمة في ديوان أميرها بترجمة الدليل إلى اللغة العربية في أربعة عشرة مجلدًا، موزعة بالمناصفة بين قسميه التاريخي،

(1) رونالدشاي، إيرل: **حياة اللورد كرزون، السيرة الذاتية لجورج ناثانييل كرزون**، ثلاثة أجزاء، ترجمة محمد عدنان السيد، مراجعة وتحرير أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2013م، ج2، ص 319-324.

(2) Lorimer, **J. G.: Gazetter of the Persian gulf, Oman and Central Arabia**, Archive Editions, Buckhamshire,1988, (Orig 1908, 1915)



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الذي نشر على نفقة سمو حاكم دولة قطر، وهو آنذاك الشيخ أحمد بن علي آل ثاني (1960-1972م)، عام 1967م، والجغرافي عام 1969م، يختص كل جزء منها بجانب من الجوانب، مع اختزال عنوانه إلى "دليل الخليج". وطبع بمطابع علي بن علي بالدوحة، إلا أن الترجمة الأولى جاءت سريعة، وفيها الكثير من الأخطاء، ووجهت لها الكثير من الانتقادات، فأعيدت الترجمة مرة ثانية عام 1976م في عهد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، أمير قطر (1972-1995م). وأعيد طباعته في طبعة ثالثة سنة 2002م على نفقة الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، أمير قطر (1995-2013م)، لتُضاف إلى مآثره في اهتمامه بالتراث الثقافي والوثائق التاريخية، وليستفيد منها أبناء الأمة العربية[1].

وتصدر ترجمة أخرى أشرفت عليها جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان تحمل عنوان "السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية"، تولت طباعته ونشره دار غارنت للنشر بلندن، عام 1995م، وذلك في قسمين، تضمن كل قسم 7 مجلدات. ووفرت هذه الطبعة النص الإنجليزي في مقابل النص العربي، في حيز مادي واحد يقع في مدى البصر والبصيرة، فجاءت كل صفحة عربية تُقابلها صفحتها باللغة الإنجليزية. وصدرت ترجمة ثالثة عام 2013م عن الدار العربية للموسوعات بعنوان "دليل الخليج العربي وعمان ووسط الجزيرة العربية"، في 20 مجلدًا، القسم التاريخي يتكون من 10 مجلدات، من ضمنه مجلد حاصر (داخل علبة) يضمّ لوحات نسب ملوك وسلاطين وأمراء الخليج العربي. والقسم الجغرافي والإحصائي جاء في ستة مجلدات، وألحق بها أربعة مجلدات للفهارس.

(1) لوريمر، ج. ج.: **دليل الخليج، قسمان: جغرافي وتاريخي**، 14 مجلد، الديوان الأميري، الدوحة، 2002م؛ غازي، علي عفيفي علي: **نخيل الخليج العربي في دليل لوريمر**، تقديم عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2015م، ص 31-54.

وقد التزمت جميع هذه الطبعات العربية بما التزمت به الطبعة الإنجليزية الأصل في عرض الأحداث التاريخية، وأسماء الأماكن والقبائل بالأبجدية الإنجليزية مخالفة بذلك الترتيب المعجمي العربي، وعلى هذا الأساس دخلت المناطق والقبائل ذات الأسماء المبتدئة بحرف العين باللغة العربية جنبًا إلى جنب مع الأسماء المبدوءة بحرف الألف أول الحروف الإنجليزية[1].

والدليل في صورته النهائية عبارة عن موسوعة من أجزاء متعددة تتناول الحياة الطبيعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للسكان، ووصفًا للمنطقة وقبائلها وإماراتها ومشيخاتها وإحصائيات متنوعة. وعلى الرغم من أن المعلومات الواردة في القسم الجغرافي، قد تجاوزها الزمن، باستثناء ما يتعلق بالجغرافيا الطبيعية، إلا أنها مع ذلك تبقى لها وظيفتها ومصداقيتها، لأنها إطار توضع فيه الوقائع والأحداث، وعلى هذا لا يزال كتاب لوريمر من أهم المصادر التي يعتمد عليها مؤرخو المنطقة. ويمثل هذا الدليل أهمية خاصة لدراسة جغرافية قطر الطبيعية والسكانية والاجتماعية والتاريخية، وغيرها. وقد جمع مترجمو الدليل ما يخص قطر في كتاب بعنوان "قطر في دليل الخليج" يمثل مصدرًا لا غنى عنه للباحثين في تاريخ قطر وثقافتها وآثارها ومجتمعها[2].

(1) لوريمر، ج. ج: **السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، قسمان: الجغرافي، التاريخي**، دار غارنت للنشر، لندن، 1995م؛ لوريمير، ج. ج.: **دليل الخليج العربي وعمان ووسط الجزيرة العربية، قسمان: الجغرافي، التاريخي**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2013م.

(2) العناني، أحمد: **قطر في دليل الخليج**، قسم الوثائق والأبحاث، الدوحة، 1981م، ص 7 وما بعدها؛ غازي، علي عفيفي علي: "رحالة زارو الإمارات جون لوريمر"، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد 53، (فبراير 2017م)، ص 26-28.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

### ٨. هيرمان بورخات Hermann Burckhardt (١٨٥٧ - ١٩٠٩م):

يُسافر الرحالة والمصور الفوتوغرافي الألماني هيرمان بورخارت؛ في جولة عبر الخليج العربي، في شتاء عام 1903-1904م، على ظهر مركب "بوم" شراعية صغيرة، ويُصرح بورخارت، في مقاله المنشورة عام 1906م، بالسبب الذي دعاه للترحال، قائلًا: "ما من عربي صدقني بأنني أُسافر من أجل المتعة، ففي نظرهم لا يُسافر الواحد منا إلا بغاية كسب المال، أو لأجل التجسس على بلدهم". كما نجد في مذكراته اليومية نصًّا ذا صلة بتاريخ 29 يناير 1904م، يصف زيارته لشيخ الدوحة، الشيخ أحمد بن محمد آل ثاني، حيث أثار هو ورفيق سفره أبو إبراهيم فضول بقية الضيوف الحاضرين، الذين رغبوا بمعرفة الدافع الذي حدا بهذا الغريب ليتجشم عناء هذه الرحلة الشاقة من أوروبا عبر أثباج البحر، ومفاوز الصحراء، وصولًا إلى الدوحة، وكانت قائمة أسئلتهم تُشابه الأسئلة المطروحة في الأحاديث الودية، وفي النصوص العلمية المكتوبة: "ما اسمك؟ من أين أنت؟ لماذا تُسافر؟ هل تقبض مالًا من حكومة بلدك؟ ألديك منصب رسمي؟". ولم تكن هذه الأسئلة تُطرح بدافع الفضول، ولكن بدافع توخي معرفة إن كان هذا الغريب أهلًا للثقة[1].

تعيّن على بورخارت انتظار ساعي بريد عثماني حتى يتمكن من متابعة رحلته لزيارة قطر، حيث موطن الحامية العثمانية. واستغرقت رحلته عبر منطقة ذات التفافات حصوية ورملية لاجتياز المسافة الفاصلة من الهفوف إلى الدوحة تسعة أيام، برفقة ساعي البريد في قافلة مكونة من صغار التجار يصحبهم عبيد وإماء. ويقود الدرب بورخارت عبر أراضي أربع قبائل مختلفة، كلٌ منها تجبي رسوم

(1) نيبا، أنيغريت وهربستروبت، بيتر: **رحلة عبر الخليج العربي من البصرة إلى مسقط من خلال صور نادرة للرحالة الألماني هرمان بورخارت**، ترجمة أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ابو ظبي، 2009م، ص 107، 141، 153.

مرور أو مرافقة، وفي بعض الأحيان يقوم فرد من إحدى هذه القبائل بمرافقة القافلة لتقديم الأمن. وتتوقف القافلة عدّة مرات في اليوم، إما لسقاية الجمال، أو للصلاة، أو لأجل استراحة لشرب القهوة. فيمر بمنطقة دوحة سلوى، ويصف أرضها بأنها حصوية تتخللها المرتفعات الصغيرة، وتكثر بها النباتات، وأخيرًا يصل الدوحة في 26 يناير، فيُشاهد في مينائها الصف الطويل من السفن الكبيرة العاملة في الغوص على اللؤلؤ، ويتوجه إلى ثكنة الجيش العثماني، ولم يقم بزيارة الشيخ قاسم؛ لأنه كان يُقيم على بُعد خمس ساعات إلى الغرب من الدوحة. وعندما يريد التقاط الصور، ينصحه القائد العثماني بطلب إذن الشيوخ، فيُقرّ بأن "سلطة الترك ليست سوى سلطة اسمية". ويمنحه الشيخ أحمد آل ثاني، الإذن بالتصوير ورسالة تعريف إلى شيخ أبو ظبي، الشيخ زايد بن خليفة، وأخيرًا يُغادر الدوحة ليرسو في ميناء أبو ظبي بعد ظهر يوم 4 فبراير؛ ليحل ضيفًا على شيخها لعدة أيام، ثم يتابع على امتداد ساحل عُمان المتصالح إلى سلطنة عُمان[1].

يترك بورخارت تفاصيل رحلاته في كتاب شائق وثمين بعنوان "عبر الخليج العربي من البصرة إلى مسقط" يوثق فيه رحلته التي قام بها من ديسمبر 1903م حتى أبريل 1904م، طبع في ألمانيا عام 2006م، ونشرت فيه للمرة الأولى صور فوتوغرافية قيِّمة عن بلدان الخليج العربي. ويحرص الناشر على أن يكتب على الغلاف الأخير للكتاب: "يُقدم لنا هذا الكتاب وقائع رحلة ارتياد لبلدان منطقة الخليج العربي في مطلع القرن العشرين من خلال ناظري رحالة ألماني شغوف بفن التصوير الفوتوغرافي.. لم يكن هذا الرحالة مكلفًا بمهمة سياسية، ولا كانت له من

(1) بورشارت، هيرمان: **بورشارت في اليمن، رحلات مصورة للأعوام 1900 إلى 1909م**، سفارة جمهورية ألمانيا الاتحادية، صنعاء، 2005م، ص 117-120، 130-132، 150.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

وراء رحلته مصلحة مادية أو غايات اقتصادية. وبدلًا من أن يعمد إلى إبداء النقد أو أن يُحاول تغيير الواقع الراهن، لم يكن في نية الرجل على الإطلاق سوى أن يلتقط صورة، لا أكثر ولا أقل"[1].

### ٩. بول هاريسون Poul Harrison (١٨٨٣-١٩٦٢م):

يُمارس الطبيب المبشر الأمريكي بول هاريسون، أحد أطباء البعثة العربية الأمريكية في الخليج العربي، وأحد أنشط قادتها، نشاطه الطبي والتبشيري في الكويت (1912-1913م) قبل أن ينتقل إلى البحرين. ثم يزور الرياض في شهر أغسطس 1917م، ثم تكررت زيارته لها كلما اقتضت الحاجة. وفي سبتمبر 1919م، يزور الأحساء، ويُكرر زيارته لها بين فترة وأخرى: مرة للعلاج، ومرات لكتابة التقارير، وأخرى للتبشير غير المُعلن. ويُرسل من قبل الإرسالية للتبشير في مسقط عام 1919م، بعد أن اعتاد لسانه على "مبادئ اللغة العربية". وفي عام 1927م يقوم وزوجته والممرضة كورنيلا دالنبيرج بزيارة الدمام والقطيف، ويقدمون الخدمات الطبية لأهلها، ويدرسون أوضاعها الاجتماعية. ويدعوه أهالي مشيخات ساحل عُمان المتصالح مرتين عام 1922م، وعام 1928م بطلب من شيخ دبي، وناصر بن لوتاه، أحد تجار عجمان، ويؤسس في عجمان مستشفىً من سعف النخيل لمعالجة المرضى، الذين يُحضرون أسرّتهم وطعامهم من بيوتهم[2].

---

(1) Nippa, Annegret & Herbstreuth, Peter: **Along the Gulf from Basra to Muscat, Photographs by Herman Burchardt**, Verlag Hans Schiler, London, 2006, pp. 13-17

(2) هاريسون، بول: **العرب في ديارهم**، ترجمة محمد منير الأصبحي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1433هـ، ص 75-96؛ التميمي، عبد المالك خلف: **التبشير في منطقة الخليج العربي، دراسة في التاريخ الإجتماعي والسياسي**، مؤسسة الكميل، الكويت، 1988م، ص 245-259.

يزور هاريسون قطر ضمن البعثة التنصيرية، تحت ستار العمل الطبي، بتكليف من الإرسالية التبشيرية الأمريكية في البحرين، عدّة مرات قبل أن يحصلوا على إذن بمزاولة العمل بها. ففي عام 1918م توجه والقس جيريت والقس بنينجس، وديم تومس والممرضة كورنيلا دالنبيرج بدعوة شخصية من الشيخ عبدالله بن قاسم، حاكم قطر (1913-1948م)، تطلب منهم التوجه إلى الدوحة بأسرع وقت. ويستقبلهم الشيخ بحفاوة، ويُقدّم لهم ضيافة عربية معتادة، ويُخصص لإقامتهم بيتًا، ويقومون بالتجول في الدوحة، وزيارة الأسواق، وبعض الأماكن الأخرى، ويتمّ تجهيز مستوصف لعلاج المرضى، وبعد شهرين يطلبون مغادرة قطر لقرب شهر رمضان. وتصف كورنيلا دالنبيرج، أو شريفة الأمريكانية كما يُطلق عليها الأهالي، رحلتهم تقول: "وقد قمنا بزيارة قصر الحاكم في الريان، حوالي ثلاث مرات، وكانت إحدى المرات لقضاء اليوم بالكامل هناك، وقد قابلنا الشيخ عبدالله بن قاسم بكل لطف، وكان كثير الامتنان لكل ما نفعله من أجل رعاياه، ولما سبق أن قدمه أطباء الإرسالية السابقون... لأهالي قطر". ويطلب منهم الشيخ أن يُكرروا الزيارة لافتتاح مستشفىً وبعض العيادات الطبية في مشيخته، ووعدهم بأنه سيبنى لهم مستشفى، فوجدوا في هذا الأمر فرصة جيدة لافتتاح مقر جديد للإرسالية. ويطلب منهم الشيخ وضع تصميم للمستشفى، ويعدهم بأن يبدأ العمل فيه فورًا، وعند الانتهاء من البناء سيعهد به إليهم لإدارته. ولكن هذه الخدمة الطبية لم يُكتب لها الاستمرار طويلًا؛ ففي عام 1952م اضطرت الإرسالية إلى التوقف عن العمل في قطر بسبب الصعوبات المتعلقة بتأمين الهيئة الطبية، وتمّ إرجاع المستشفى إلى الحكومة القطرية، وباءت محاولتهم لأجل افتتاح مقر للبعثة في قطر بالفشل[1].

(1) السبيعي، عبد الله ناصر: "نشاط الإرسالية الأمريكية العربية للتبشير في شرقي الجزيرة العربية"، **مجلة الدارة**، العدد الأول، السنة الثامنة، (شوال 1402هـ/ يوليو 1982م)، ص 129-150؛ الدرعي، موزة عويص علي: **إمارات الساحل المتصالح في إنطباعات طبيب أمريكي عام 1918**، دار كتاب للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2012م، ص 27-30.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

### ١٠. وليم ريتشارد وليمسن William Richard Willamson (١٨٧٢-١٩٥٨م):

يُعين البريطاني، الضابط البحري، والباحث الجغرافي، الأسكتلندي الأصل، وليم ريتشارد وليمسن، أو عبد الله وليمسن، بشركة النفط الإنجليزية الفارسية في عام 1924م من قبل أرنولد ولسون، الذي ترك عمله في العراق كمقيم سياسي بريطاني سنة 1920م، والتحق بشركة النفط الإنجليزية الفارسية في عبادان مفتشًا لجميع وكالات الشركة في الخليج العربي، ويظل في هذا المنصب حتى سنة 1937م حيث أُحيل إلى التقاعد لبلوغه الخامسة والستين من العمر. ويبدأ وليمسن في عام 1925م جولة مع أربعة أعضاء: اثنين من الجيولوجيين، المستر جي. إم. ليز، والمستر واشنطن جراي، وعالم النبات فرناندیز، والرئيس إكلس أحد ضباط الشرطة الإنجليز في عدن، حيث استقلوا إحدى بواخر الشركة إلى البحرين، ومنها إلى جزر الخليج العربي ثم الكويت، وشبه جزيرة قطر، ليستقل الباخرة «خوزستان» إلى الساحل المهادن (الإمارات العربية المتحدة حاليًا)، فيزور رأس الخيمة وشبه جزيرة مسندم، ثم ينتقل إلى مسقط بسلطنة عمان، والباطنة وظفار والعقير والأحساء والهفوف والقطيف، وأخيرًا أبو ظبي، والشارقة. وقد مهدت هذه الجولة لشركة النفط البريطانية أن تضع يدها على منابع النفط، ودوّن وليمسن عددًا من الوريقات القلائل التي تحوي معلومات عن أوضاع بلدان الخليج العربي، وأحوال سكانها، وطريقة معيشتهم وحياتهم، وبعض الحوادث الطريفة التي رافقتها[1].

يرتدي وليمسن في رحلته الملابس العربية من الطراز الذي يرتديه سكان نجد، وله مكاتبات متبادلة مع الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان، حاكم أبو ظبي،

(1) غازي، علي عفيفي علي: "رحالة زارو الإمارات وليم ريتشارد وليمسن، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد 47، (أغسطس 2016م)، ص 32 -34.

والشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني، حاكم قطر، والشيخ سلطان بن صقر القاسمي، حاكم رأس الخيمة وما يتبعها. ولم ينل وليمسن الشهرة لأنه لم يضع المؤلفات أو المذكرات عن تفاصيل حياته وأعماله وأسفاره رحلاته ومغامراته في البلاد العربية. كما لم يكتب عنه وعن مغامراته أي من المؤلفين سواء الغربيين أو العرب، مثلما فعل المؤلفون مع غيره من المغامرين، ولذلك ظل غير معروف خارج الجزيرة العربية، وبقيت أعماله محجوبة عن الغرب إلى أن قام صديقه الرحالة الإنجليزي "ستانتون هوب" في عام 1951م بإخراج كتاب "رحلات المغامر العربي"، وهو المصدر الوحيد الذي يتناول أسفار ورحلات وليمسن[1].

يذكر وليمسن أن عاصمة قطر هي الدوحة، ويحكمها الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني، ثم يقول: "عندما وصلت إلى هنا دُهشت فعلًا من وضع المدينة بسوقها الدائب الحركة، وعدد مساكنها الحسنة البناء، وجو الرخاء العام، الذي يسودها بعد أن قرأت ما كتبه بالجريف عن العاصمة البائسة لذلك الإقليم البائس، خاصة وأن سكانها الأقدمين يقولون إنها لم تكن في حالة مزدهرة كما كانت أيام زارها بالجريف، ففي الزورق البخاري، الذي يبلغ طوله خمسة وثلاثين قدمًا حاولنا أن نزور جزر حالول وداس، وكنا على وشك أن تتحطم السفينة، ولم نستطع النجاة إلا بعد أن سارعنا بالالتجاء إلى الشاطئ قبل أن يهب علينا إعصار هائل ببضع ساعات". "وفي الدوحة كنا ضيوفًا على مأمور الجمرك، وهو رجل عربي نبيل من سكان لنجة، والمستشار الرئيس للشيخ عبد الله بن ثاني، وكان واسطة لإدخال السيارات إلى هذه المنطقة، الأمر الذي استلزم تحسين بعض الطرق التي بناها هو

(1) هوب، ستانتون: **رحلات المغامر العربي الحاج عبد الله وليمسون المسلماني**، ترجمة إنعام إيبش، تحرير وتلعليق أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2011م، ص 11-20.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

بنفسه، حيث تتفرع الطرق اليوم من الدوحة إلى المدن الكبرى"[1].

"ولقد دُعينا من الدوحة لزيارة الشيخ، الذي كان يُعسكر بخيامه على بعد ثلاثين ميلًا من العاصمة، فقد كان الفصل ربيعًا، ويبدو أنه يُنفق فصلي الشتاء والربيع الباردين في السهول المكشوفة مع أتباعه من أفراد القبائل يصيدون ويقتنصون، وعلى بعد اثني عشر ميلًا من الدوحة بلغنا الريان، التي تقع فيها بساتين الشيخ عبد الله، والماء هنا عذب، وفير، وقريب من سطح الأرض، وهذه البساتين تُنبت التمر واللوز بالدرجة الأولى، وفيها مضخة هوائية، ولكنها تعتمد في الري على الكرود بصفة رئيسة. ولقد علمنا أن جميع البساتين في عهد حكم الشيخ قاسم والد الشيخ عبد الله كانت قد دمرت بأمر منه؛ لأن بعضهم أخبره أن الطاعون وغيره من الأمراض المعدية الوافدة من الهند قد وصلت إلى قطر بسبب بعض النباتات الموجودة فيها. ولذلك أمر الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني بإتلاف البساتين وأصدر قانونًا يحظر زرع هذه البساتين في بلاده، وظل ذلك القانون نافذ المفعول إلى أن قام بعدئذ ابنه الشيخ عبد الله، وسمح بزراعة البساتين والحدائق". ولا نعتقد في صحة رواية وليمسن، التي يذكر فيها أن سبب ندرة الزراعة اعتقاد الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني بأنها تجلب الأمراض، فالسبب الرئيس لذلك هو ندرة الأمطار، فضلًا عن طبيعة السكان، حيث كانوا ينظرون إلى الأعمال اليدوية بأنها مشينة، لذلك لم يعمل في الزراعة إلا العبيد[2].

يواصل وليمسن سرد جولاته في قطر، فيُسهب في تفاصيل زيارته لمنطقة الريان، فيقول: "وفي الريان وجدنا أحمد ابن الشيخ ينتظرنا؛ لكي يصحبنا إلى والده، وقد

(1) وليمسن، عبد الله: **رحلة إلى الخليج العربي**، ترجمة سليم أحمد خالد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2005م، ص19، 49.

(2) هوب، ستانتون: **رحلات المغامر العربي**، ص 353-360؛ وعن نظرة البدو للزراعة راجع غازي، علي عفيفي علي: **رؤية الرحالة لقيم وعادات عشائر العراق 1800-1958م**، رسالة دكتوراه غير منشورة، بكلية الآداب جامعة دمنهور، دمنهور، 2014م، ص 375-380.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

أعد عددًا من الإبل لنركبها؛ لأن الطرق التي كان المخيم فيها وعرة لا تصلح لسير السيارات. وصلنا إلى المخيم بعد الظهر، وبعد أن حيينا الشيخ أخذنا إلى خيمة أُعدت لنا، وبعد الغروب بفترة قصيرة توافد الخدم علينا، وهم يحملون أطباق الطعام لوجبتنا المسائية، وكان الطبق الرئيس يحوي خروفًا بكامله في حين قدم صحن كبير آخر من الرز ناء بحمله ثمانية من البدو الأشداء. لقد كُنا جياعًا بعد السفر الطويل الذي قطعناه، وكنا نرقب اللحظة التي نُدعى فيها لنجلس على حصير مصنوع من سعف النخيل مدت بشكل مائدة". وبعد أن يوقع مع شيخ قطر معاهدة التنقيب عن النفط في بلاده، يُغادر قطر على متن الباخرة "خوزستان" إلى ساحل عُمان المتصالح[1].

### ١١. بيرترام توماس Birtram Thomas (١٨٩٢-١٩٥٠م):

يُعدّ الرحالة الإنجليزي بيرترام توماس، واحدًا من الرواد؛ فهو أول أوروبي يعبر صحراء الربع الخالي المُهلكة، الخالية من كافة أشكال الحياة، لصعوبة ووعورة ظروف الحياة المناخية فيها. ويُسجل توماس تجربته عبر مجاهيله، وينشرها بعنوان: "رحلة على ظهر جمل عبر صحراء الربع الخالي"، وقد بدأها من صلالة بظفار في ديسمبر 1930م، وانتهى إلى الدوحة بقطر في فبراير 1931م، وقدم وصفًا دقيقًا للكُثبان الرملية وآبار المياه، وجمع عينات جيولوجية وحيوانية، وأدوات حجرية من التكوينات الطبيعية سواء من الربع الخالي أو من قطر، ولهذا تُعدّ معلومات هذا الرحالة مُفيدة في دراسة البيئة القطرية[2].

(1) وليمسن، عبد الله: **جولة في الخليج العربي**، ترجمة، سليم طه التكريتي، دار منشورات البصري، بغداد، 1962م، ص6-10، 33-35.

(2) توماس، برترام: **البلاد السعيدة**، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1981م، ص 393-397؛ توماس، برترام: **مخاطر وجولات في جزيرة العرب من العراق إلى عمان 1918-1930م**، ترجمة سهير الجدا، مراجعة وتحرير أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2014م، ص 155-240.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يُجمع المؤرخون على أن مُساهمة توماس الكُبرى تكمن فيما يُقدمه من معلومات قيّمة عن الربع الخالي، وعن الصحراء القطرية، فلا يُضاهيه في التعريف بهذا الجزء من شبه الجزيرة العربية أحد، فقد كانت اهتماماته واسعة، إذ اهتم بالقصص الشعبي المروي بين البدو، واهتم اهتمامًا خاصًا بعلم الحيوان، واهتم كذلك بدراسة الناس القاطنين على حواف الرمال، والذين يعتبرهم من بقايا سكان شبه الجزيرة العربية الأصليين، قبل أن ينزح الساميون إليها، فدرس لهجاتهم، ووصف رقصاتهم الشعبية البدوية. وهو ما يجعله يستحق توصيف روبن بدول له بأنه رحالة "محترف من قمة الرأس إلى أُخمص القدمين". كما يتضمن كتاب توماس Arabia Felix أول صورة للشيخ عبد الله بن قاسم مع بعض خاصته، منهم حمد بن عبد العزيز بن مانع، وعبد اللطيف بن مانع[1].

### ١٢. ألن فاليرز Alan Villiers (١٩٠٣-١٩٨٢م):

تلعب الصدفة دورًا في زيارة الرحالة الإنجليزي ذو الأصول الأسترالية آلن فاليرز، أو الشيخ ماجد كما يُسميه البحارة العرب، إلى الخليج العربي، فبعد أن يصل عدن، المستعمرة البريطانية في اليمن، في أواخر عام 1938م، وكان عمره لا يتجاوز 35 عامًا، يلجأ إلى مكتب التاجر خالد عبد اللطيف الحمد وإخوانه في عدن. وكان يرغب في الذهاب إلى الخليج عن طريق سفينة شراعية، ويتعرف على

(1) "Thomas, Bertram: "A camel Journey Across the rub'Al khali (**Geographical Journal**, vol. LXXVIII, No. 3, (September 1931); Thomas, Bertram: "A journey into Rub' Al khali- The bouthern Arabian Desert", **Geographical Journal**, vol. LXXVII, No. 1, (January 1931); ,"Thomas, Bertram: "The south Eastren bordelands of Rub' Al khali ,**Geographical Journal**, vol. LXXVII, No. 3, (March 1929); Thomas Bertram: **Arabia felix**, Foreword by T. E. Lawrence, Jonathan Cape, London,1932)

مدن الخليج، فقدمه التاجر إلى النوخذة الكويتي علي بن ناصر النجدي، قبطان السفينة الشراعية البوم "بيان"، والذي كان موجودًا في عدن حينئذ، لإكمال رحلة شراعية موسمية بدأت من الكويت إلى شط العرب، ثم إلى مسقط، وعدن، وبعدها إلى بنادر الساحل الأفريقي الشرقي في الصومال وزنجبار، ثم العودة إلى مسقط والبحرين، وأخيرًا الكويت[1].

يُسجل فاليرز قصة رحلاته في كتاب بعنوان "أبناء السندباد"، والتي كتبها في عام 1940م، وترجمها الدكتور نايف خيرما، رئيس قسم اللغة الإنجليزية في جامعة الكويت، وراجعها الدكتور يعقوب يوسف الحجي، فيما يُقارب 600 صفحة، ونُشرت عن مركز البحوث والدراسات الكويتية، عام 2006م. يُلخص فاليرز كتابه على الغلاف فيكتب: " قصة الإبحار مع العرب في سفنهم الشراعية في البحر الأحمر، وحول ساحل الجزيرة العربية، إلى زنجبار وتنجانيقا، وقصة الغوص على اللؤلؤ في الخليج العربي، مع وصف لحياة النواخذة، أي ربابنة السفن، والبحارة والتجار في الكويت "[2].

يأتي ذكر قطر عند حديثه عن موانيء الخليج العربي، حيث يصفها بأنها مُحاطة بمياه مضطربة، ويصف الزبارة بأنها مدينة مهجورة، ومن الواضح أن وصفه هذا قد جاء بعد رؤية المدينة مدمرة عقب حرب الزبارة عام 1937م، فيقول: "وجدنا أنفسنا مقابل شاطئ قطر، وهي شبه جزيرة رملية، منخفضة تبرز إلى البحر عند الزاوية الجنوبية الغربية من الخليج العربي، تُحيط بها مياه ضحلة خضراء اللون، تكثر فيها الحواجز المرجانية، وكانت هذه المياه مياهًا خطرة، وقد رأينا الوهج

(1) غازي، علي عفيفي علي: "رحالة زاروا الإمارات ألن فاليرز"، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد 48، (سبتمبر 2016م)، ص26-28.

(2) فاليارس، آلان: **أبناء السندباد**، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت، ص396 وما بعدها.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

ينبعث من رمال الصحراء خلفنا، قبل أن نُشاهد تلك الأرض الوطئة، وعددًا من الغواصين وهم يحاولون الاحتماء من العاصفة بالحجر المُرجاني. فالرياح كانت قوية في ذلك اليوم، وأمواج البحر عالية، قصيرة، يعلوها الزبد الأبيض، ولم تكن هذه الظروف مناسبة لمركبنا العريض، ذي الصواري العالية، فأخذ يعلو ويهبط ويهتز وترتجف صواريه دون تقدم يُذكر. وكنا قريبين جدًا من شواطئ قطر، مما مكننا من رؤية إحدى البلدان الخربة، قبل أن نمضي في سيرنا. وعندما سألت نجديًّا عن تلك البلدة، أجاب بأن اسمها "زبارة" وأنها كانت مكانًا مُهمًا في يوم من الأيام، وأنها الموطن الأصلي لعدد من الكويتيين، وكذلك لعدد ممن يسكنون البحرين الآن. ولكن المكان لم يكن يبدو ذا أهمية الآن، ولذلك فرحت عندما انقلبنا واتجهنا بسيرنا بعيدًا عن قطر". وأخيرًا يظهر اسم قطر على خريطته التي رسمها عام 1939 للخليج العربي[1].

### ١٣. كورنيلا دالنبيرج Cornelia Dalenberg (١٨٩٣-١٩٨٨م):

تلتحق المبشرة الأمريكية الآنسة كورنيلا دالنبيرج، أو شريفة الأمريكانية كما أطلق عليها الأهالي، بالعمل ممرضة في بعثة الإرسالية التبشيرية العربية في الشرق، وفي شتاء عام 1921م تصل البحرين، وتتعلم اللغة العربية من اليوم التالي لوصولها، ولأن المسلمين لا يسمحون للطبيب الرجل بالمساعدة في الولادة، فلم يمض وقت طويل حتى باتت كورنيلا تقوم بهذه المهمة سواء في مستشفى الإرسالية، أو في المناطق المحيطة بها. وظلت تعمل بها ما بين عامي (1921-1952م)[2].

(1) فاليرز، ألن: **أبناء السندباد**، ترجمة وتحقيق نايف خرما، مراجعة يعقوب يوسف الحجي، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 2006م، ص 477 ما بعدها.

(2) الصايغ، فاطمة حسن: "الساحل المتصالح في كتابات المنصرين"، في كتاب: عبيد علي بن بطي: **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1996م، ص 299-321.

يتقدم في عام 1940م الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني، أمير قطر، بطلب إلى شركة الامتيازات البترولية القطرية يطلب منها إرسال طبيبة لمعالجة رعاياه من النساء. ويتمّ تحويل الطلب إلى الدكتور هارولد ستورم Harold Storm في إرسالية البحرين الأمريكية، الذي أخبرهم بدوره بعدم وجود طبيبة، ولكنه مستعد لإرسال ممرضة، حيث يقع الاختيار على كورنيلا، ويرضى الشيخ بالبديل، وتستعد كورنيلا لمغادرة البحرين إلى قطر، ويُبحر الفريق المكون من الممرضة ومساعدتين عربيتين إلى الدوحة. وتصف قطر بأنها صحراء جرداء ليس بها أي زراعة على الرغم من الروايات التي كانت تسمعها عن وجود خضرة فيها خلال فصل الشتاء. كما تصف الدوحة بأنها مدينة غير مسورة، وتبدو للناظر إليها من الخارج صغيرة نسبيًا، ويبلغ عدد سكانها حوالي 7-10 آلاف نسمة. وتمضي تقول: "عند وصولنا إلى المدينة تمّ أخذنا إلى منزل درويش فخرو، وقد استقبلنا رب الدار وربته بالضيافة العربية الأصيلة، التي أشعرتنا في الحال أننا في بيتنا... والتفت حولنا النساء اللاتي بدت أعينهن سوداء وبراقة وجميلة على الرغم من البراقع اللاتي كُن يلبسنها، وجلسنا جميعًا للغداء، على أن نبدأ عملنا بعد انتهاء الطعام"[1].

تبدأ كورنيلا المهمة التي جاءت من أجلها، وهي تقديم الخدمة الطبية، والتنصير الذي قالت عنه في مذكراتها إنه "هدف حياتي الأول". وتتوافد عليها النسوة الراغبات في الخدمة العلاجية الحديثة، ويتمّ فحصهن وتقديم الأدوية اللازمة لهن. وبدأت الأمور سهلة، كما تروي كورنيلا، فكل نساء الدوحة جئن يطلبن الخدمة الطبية الحديثة. وبدا الشيخ مسرورًا من تقديم العون لرعاياه، بل إنه عمل جاهدًا على تسهيل مهمة أفراد الإرسالية في تقديم رسالتهم الإنسانية لرعاياه. ويُساعدهم مدير

(1) الصايغ، فاطمة حسن: "صور من النشاط التبشيري في الخليج، دراسة تاريخية وتحليلية لنشاط الإرساليات الأمريكية"، **مجلة الوثيقة**، العدد 31، (يناير 1997م)، ص 105-135.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

الجمارك باستخدام بيته كمستشفى لاستقبال المرضى المترددين لمدة أسبوعين تقريبًا، وهي فترة بقائهم في الدوحة، حيث تمكنوا من تقديم العلاج لحوالي 800 من النسوة القطريات. وتصف المعاملة التي تتلقاها من الأهالي بأنها معاملة حسنة وودوة جدًا[1].

يقوم أفراد البعثة الطبية بزيارة قصر الحاكم في الريان حوالي ثلاث مرات، ويقابلهم الشيخ عبدالله بن قاسم بكل لطف، وكثير الامتنان. وتمضي كورنيلا تقول: "يبدو أن نساء القصر متعودات على رؤية النساء الغربيات، وعلى أسلوب حياتهن، فقد سبق لهن أن رأين السيدة ديم، زوجة الطبيب لويس ديم، مرات عديدة من قبل. ولكنهن كُن متعجبات من ملابسنا الإفرنجية. فقد كانت النساء الأمريكيات اللاتي زرن قطر من قبل يلبسن الملابس العربية (الثوب الطويل والعباءة)، لذلك طلبت النسوة مني أن أُلبِس لهن ملابسي الغربية الغريبة بالنسبة لهن". وتصف مجتمع الحرملك في قصر الحاكم بقولها: "إنه مجتمع صغير قائم بذاته، فكل شيخ لديه عدد من الزوجات، وحتى الخدم يبدو أنهم قد تأثروا بأسلوب حياة أسيادهم، فلديهم أيضًا عدد من الزوجات"[2].

تقضي كورنيلا أسبوعين تقريبًا في الدوحة، وتقوم بزيارات لمعظم قرى قطر، لتُقدِّم خدماتها الطبية للمئات من النساء، وتستغل وجودها بينهن لتقوم بالتبشير، حيث كان دومًا يبدأ بتلاوة فقرات من الإنجيل والصلوات الدينية، وفق ما ذكرته في كتابها. وقبيل مغادرتها تلقت دعوة أخرى للقدوم لقطر حالما يتحسن الطقس. والتقارير التي تكتبها مهمة من الناحية الوصفية، فهي تصف أوضاع النساء والعادات

(1) دانبيرج، كورنيلا: **مذكرات شريفة الأمريكانية، قصة البعثة الأمريكية في البحرين 1922م**، مطبوعات بانوارما الخليج، المنامة، 1989م، ص 243-248.

(2) Dalenberg, Cornelia: "A trip to Qatar", **The Arabian Mission, Neglected Arabia**, No. 212, (March, 1948), PP. 3-14

والتقاليد السائدة بدقة متناهية، مما يعتبر نظرة واقعية في أوضاع المجتمع القطري خلال الأربعينيات من القرن العشرين. وتكتب كورنيلا عن تجاربها في البحرين والعراق وقطر ومسقط في دورية الإرسالية Neglected Arabia. وتُسجل تجربتها في منطقة الخليج العربي في كتاب نشرته عام 1983م بعنوان "مذكرات شريفة الأمريكانية"[1].

**الخاتمة:**

يتبين من استقراء علاقة قطر بالرحالة الغربيين، ومن تحليل المتناثرات التي وردت عنها بين ثنايا كتاباتهم أن موقع قطر الجيوستراتيجي جعلها تحظى باهتمام جُل الرحالة الذين مروا بمنطقة الخليج العربي، بعضهم كتب عنها عن رؤية العين، والآخر كتب عنها بالسمع، وآخرين زاروا ولم يكتبوا عنها، وهو ما يجعل من كتابات الرحالة الغربيين مصدرًا مهمًّا لدراسة تاريخ قطر الحديث والمعاصر.

كما تؤكد الدراسة التحليلية للنصوص التي تناولت قطر في كتابات الرحالة الغربيين، أنهم كتبوا عن جوانب عديدة عن قطر: جغرافيًا، ومناخيًا، واقتصاديًا، وتجاريًا، واجتماعيًا، وحظيت بعض العادات والتقاليد القطرية باستحسان الرحالة، كما أن بعضهم لم يغفل الجوانب السياسية، ووصف بعض المدن القطرية، وأن بعضهم كان له دور في الاكتشافات الأثرية في أراضي شبه الجزيرة القطرية، وبعضهم الآخر ترك صورًا تؤرخ للحظة التي التقطها فيها، وأخيرًا شارك بعضهم في بعض جوانب النهضة في قطر، وخاصة الجوانب الصحية، إذ كان لبعضهم دور فاعل في تأسيس المؤسسات الصحية الأولى في قطر، وتظهر كتابات الرحالة الغربيين، مدى اهتمام حكام قطر من أسرة آل ثاني برعاياهم، وسعيهم إلى إدخال النهضة والتطور والتحديث إلى دولة قطر.

(1) دانبيرج كورنيلا: **مذكرات شريفة الأمريكانية**، ص 248-254.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

## المصادر والمراجع

### أولا- العربية والمعربة:

١- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله: **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م.

٢- البسام، خالد (إعداد وترجمة): **صدمة الاحتكاك، حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢-١٩٢٥م**، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٨م.

٣- البسام، خالد (إعداد وترجمة): **القوافل، رحلات الإرسالية الأمريكية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٢٦**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، المنامة، ١٩٩٣م.

٤- التميمي، عبد المالك خلف: **التبشير في منطقة الخليج العربي، دراسة في التاريخ الإجتماعي والسياسي**، مؤسسة الكميل، الكويت، ١٩٨٨م.

٥- الحميري، محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في أخبار الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

٦- الدرعي، موزة عويص علي: **إمارات الساحل المتصالح في إنطباعات طبيب أمريكي عام ١٩١٨م**، دار كتاب للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠١٢م.

٧- الصايغ، فاطمة حسن: "الساحل المتصالح في كتابات المنصرين"، في كتاب: عبيد علي بن بطي: **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ١٩٩٦م.

٨- العناني، أحمد: **قطر في دليل الخليج**، قسم الوثائق والأبحاث، الدوحة، ١٩٨١م.

٩- بالبي، كاسبارو: **رحلة الإيطالي كاسباروا بالبي إلى حلب- دير الزور- عنه- الفلوجة- بغداد سنة ١٥٩٧م**، ترجمة بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨م.

١٠- بالجريف، وليم جيفورد: **وسط الجزيرة العربية وشرقها**، جزآن، ترجمة صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م.

١١- بورشارت، هيرمان: هيرمان **بورشارت في اليمن، رحلات مصورة للأعوام ١٩٠٠ إلى ١٩٠٩م**، سفارة جمهورية ألمانيا الاتحادية، صنعاء، ٢٠٠٥م.

١٢- تخسيرا، بيدرو: **تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدرو تخسيرا**، ترجمة عيسى أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، ١٩٩٦م.

١٣- تكسيرا وجونز وجون آشر: **معرفة الشرق في العصر العثماني، الرحلة الأوروبية إلى العراق**، ترجمة جعفر خياط وعبد الوهاب الأمين، المركز الأكاديمي للأبحاث، مونتريال، ٢٠١٥م.

١٤- توماس، برترام: **البلاد السعيدة**، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٩٨١م.

١٥- توماس، برترام: **مخاطر وجولات في جزيرة العرب من العراق إلى عمان ١٩١٨-١٩٣٠م**، ترجمة سهير الجدا، مراجعة وتحرير أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٤م.

١٦- دانبيرج، كورنيلا: **مذكرات شريفة الأمريكانية، قصة البعثة الأمريكية في البحرين ١٩٢٢م**، مطبوعات بانوارما الخليج، المنامة، ١٩٨٩م.

١٧- رونالدشاي، إيرل: **حياة اللورد كرزون، السيرة الذاتية لجورج ناثانييل كرزون**، ثلاثة أجزاء، ترجمة محمد عدنان السيد، مراجعة وتحرير أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي ٢٠١٣م.

١٨- زويمر، صموئيل: **رحلات متعرجة في بلاد الإبل**، ترجمة وتعليق أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٢م.

١٩- سلوت، ب. ج.: **عرب الخليج ١٦٠٢-١٧٨٤م**، ترجمة عايدة خوري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٣م.

٢٠- سيتون، ديفيد: **يوميات ديفيد سيتون في الخليج ١٨٠٠-١٨٠٩م**، تحقيق سلطان بن محمد القاسمي، منشورات القاسمي، الشارقة، ٢٠١١م.

٢١- سيرايت، سارا: "رحلة البرتغالي تاكسيرا إلى العراق في القرن السابع عشر"، ترجمة فؤاد قزانجي، في كتاب: **رحالة أوروبيون في العراق**، دار الوراق للنشر المحدود، لندن، ٢٠٠٧م.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢٢- غازي، علي عفيفي علي: **نخيل الخليج العربي في دليل لوريمر**، تقديم عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م.

٢٣- غازي، علي عفيفي علي: **رؤية الرحالة لقيم وعادات عشائر العراق ١٨٠٠-١٩٥٨م**، رسالة دكتوراه غير منشورة، بكلية الآداب جامعة دمنهور، دمنهور، ٢٠١٤م.

٢٤- فاليارس، آلان: **أبناء السندباد**، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت.

٢٥- فاليرز، ألن: **أبناء السندباد**، تحقيق وترجمة نايف خرما، مراجعة يعقوب يوسف الحجي، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٦م.

٢٦- لوريمر، ج. ج.: **السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، قسمان: الجغرافي، التاريخي**، دار غارنت للنشر، لندن، ١٩٩٥م.

٢٧- لوريمر ج. ج.: **دليل الخليج**، قسمان: جغرافي وتاريخي، ١٤ مجلد، الديوان الأميري، الدوحة، ٢٠٠٢م.

٢٨- لوريمير ج. ج.: **دليل الخليج العربي وعمان ووسط الجزيرة العربية، قسمان: الجغرافي، التاريخي**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٣م.

٢٩- نيبا، أنيغريت وهربسترويت، بيتر: **رحلة عبر الخليج العربي من البصرة إلى مسقط من خلال صور نادرة للرحالة الألماني هرمان بورخارت**، ترجمة أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠٠٩م.

٣٠- نيبور، كارستن: **رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر**، ترجمة محمود حسين الأمين، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥م.

٣١- نيبور، كارستن: "بغداد في رحلة نيبور"، ترجمة مصطفى جواد، في كتاب: **بغداد بأقلام رحالة**، دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، ٢٠٠٧م.

٣٢- نيبور، كارستن: **رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها**، جزآن، ترجمة عبير المنذر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٧م.

٣٣- نيبور، كارستن: **مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة ١٧٦٥م**، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥م.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

٣٤- نيبور، كارستن: **وصف أقاليم شبه الجزيرة العربية**، ترجمة مازن صلاح، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٣م.
٣٥- هاريسون، بول: **العرب في ديارهم**، ترجمة محمد منير الأصبحي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٣٣هـ.
٣٦- هانسن، توركيل: **من كوبنهاجن إلى صنعاء**، ترجمة محمد أحمد الرعدي، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ٢٠٠١م.
٣٧- هوب، ستانتون: **رحلات المغامر العربي الحاج عبد الله وليمسون المسلماني**، ترجمة إنعام إيبش، تحرير وتعليق أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠١١م.
٣٨- وليمسن عبد الله: **رحلة إلى الخليج العربي**، ترجمة سليم أحمد خالد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥م.
٣٩- وليمسن عبد الله: **جولة في الخليج العربي**، ترجمة سليم طه التكريتي، دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٢م.

## ثانيًا-مقالات في دوريات:

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: "بالجريف في ألف ليلة وليلتين"، مجلة ليوا، **العدد السادس**، (يونيو ٢٠٠٤م).
٢- أبو حاكمة، أحمد مصطفى: "الرحالة الدنمركي نيبور يؤكد أن الخليج عربي"، **مجلة العربي**، العدد ١٣، (ديسمبر ١٩٥٩م).
٣- الحمداني، طارق نافع: "الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر"، **مجلة الوثيقة**، العدد ١٥، (يوليو ١٩٨٩م).
٤- السبيعي، عبد الله ناصر: "نشاط الإرسالية الأمريكية العربية للتبشير في شرقي الجزيرة العربية"، **مجلة الدارة**، العدد الأول، السنة الثامنة، (شوال ١٤٠٢هـ/ يوليو ١٩٨٢م).
٥- الصايغ، فاطمة حسن: "صور من النشاط التبشيري في الخليج، دراسة تاريخية وتحليلية لنشاط الإرساليات الأمريكية"، **مجلة الوثيقة**، العدد ٣١، (يناير ١٩٩٧م).



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٦- بالجريف، وليم جيفورد: "رحلة شاهد عيان للجزيرة العربية والبحرين منذ أكثر من ١٠٠ عام"، **مجلة الوثيقة**، العدد التاسع، (يوليو ١٩٨٦م).

٧- تكسيرا: "مشاهدات تكسيرا في العراق سنة ١٦٠٤"، ترجمة جعفر الخياط، **مجلة الاقلام**، العدد الرابع، السنة الأولى، (أبريل ١٩٦٤م).

٨- تينخسيرا، بيدرو: "تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدرو تينخسيرا"، ترجمة عيسى أمين، **مجلة الوثيقة**، العدد ٣١، السنة ١٦، (يناير ١٩٩٧م).

٩- تينخسيرا، بيدرو: "تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدرو تينخسيرا (٢)"، ترجمة عيسى أمين، **مجلة الوثيقة**، العدد ٣٣، السنة ١٧، (يناير ١٩٩٨م).

١٠- سيرايت، سارا: "رحلة البرتغالي تاكسيرا إلى العراق في القرن السابع عشر"، ترجمة فؤاد قزانجي، **مجلة المورد**، المجلد ١٨، العدد الرابع، (شتاء ١٩٨٩م).

١١- غازي، علي عفيفي علي: "قطر والرحالة: بيدرو تكسيرا"، **مجلة الجسرة الثقافية**، العدد ٣٩، (خريف ٢٠١٥م).

١٢- غازي، علي عفيفي علي: "رحالة زارو الإمارات جاسبارو بالبي"، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد ٤٩، (أكتوبر ٢٠١٦م).

١٣- غازي، علي عفيفي علي: "رحالة زارو الإمارات ديفيد سيتون"، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد ٥٠، (نوفمبر ٢٠١٦م).

١٤- غازي، علي عفيفي علي: "رحالة زارو الإمارات جون لوريمر"، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد ٥٣، (فبراير ٢٠١٧م).

١٥- غازي، علي عفيفي علي: "رحالة زارو الإمارات وليم ريتشارد وليمسن، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد ٤٧، (أغسطس ٢٠١٦م).

١٦- غازي، علي عفيفي علي: "رحالة زارو الإمارات ألن فاليرز"، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد ٤٨، (سبتمبر ٢٠١٦م).

١٧- فكري، محمد همام: "رحلة في وسط الجزيرة وشرقها لوليم جيفورد بلغريف"، مجلة **آفاق الثقافة والتراث**، العدد الأول، (ربيع الثاني ١٤١٦هـ/ سبتمبر ١٩٩٥م).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

## ثالثًا–الكتب الأجنبية:


1. Balbi, Gasparo: Viaggio Dell'indie Orientali, Appereffo Cainillo Borgoinimeri, Venetia, 1590.
2. Niebuhr c..: Description de l'arabie, chez brunet libraire rues des ectivains, Paris 1779.
3. Nippa, Annegret & Herbstreuth, Peter: Along the Gulf from Basra to Muscat, Photographs by Herman Burchardt, Verlag Hans Schiler, London, 2006,
4. Palgrave, William Gifford: Central and Eastern Arabia (1862-1863), MacMillan and co., London, 1866.
5. Teixeira, Pedro: The travels of Pedro Teixeira, translation by Sinclair, William. The Hakluyt Society, London, 1902.
6. Thomas, Bertram: Arabia Felix, Foreword by T. E. Lawrence, Jonathan Cape, London, 1932.
7. Zwemer, S. M.: Arabia: the Cradle of Islam, Fleming H. Revell Company, New York, U. D.


### رابعًا–مقالات أجنبية في دوريات:


1. Dalenberg, Cornelia: "A trip to Qatar", The Arabian Mission, Neglected Arabia, No. 212, (March, 1948).
2. Palgrave, William Gifford: "Notes of a Journey from Gaza, Through the Interior of Arabia, to El Khatif on the Persian Gulf, and Thence to Omàn, in 1862-63", the Royal Geographical Society of London, Vol. 8, No. 3, (1863-1864).

3. Slot, B. J.: "Images of Qatar c.1300-1772, A cartographic fata morgana", Rewaq History & Heritage Magazine, Issue 0 (June, 2015).
4. Thomas Bertram: "A camel Journey Across the rub'Al khali", Geographical Journal, vol. LXXVIII, No. 3, (September 1931).
5. Thomas, Bertram: "A journey into Rub' Al khali- The bouthern Arabian Desert", Geographical Journal, vol. LXXVII, No. 1, (January 1931).
6. Thomas, Bertram: "The south- Eastren bordelands of Rub' Al khali", Geographical Journal, vol. LXXVII, No. 3, (March 1929).
7. Zwemer, S. M.: "Oman and Eastern Arabia", American Geographical Society, Vol. 39, No. 10 (1907).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

مجلة دراسات تاريخية

دورية علمية محكمة

مجلة دورية، علمية، محكمة، تصدر عن مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، بترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.